الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في خلق الإنسان وبعثه وحسابه

د. ماهر أحمد الصّوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدّم للموسوعة

د. محمد سعيد رمضان البوطي

د. عكرمة سليم صبري — د. محمد جمعة سالم

د. فاروق حمادة — د. عبد المعطي البيومي

صيدا - بيروت

الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في خلق الإنسان وبعثه وحسابه

د. ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدم لها:

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور عكرمة سليم صبري — الدكتور محمد جمعة سالم

الدكتور فاروق حمادة — الدكتور عبد المعطي البيومي

١٤

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-800-6

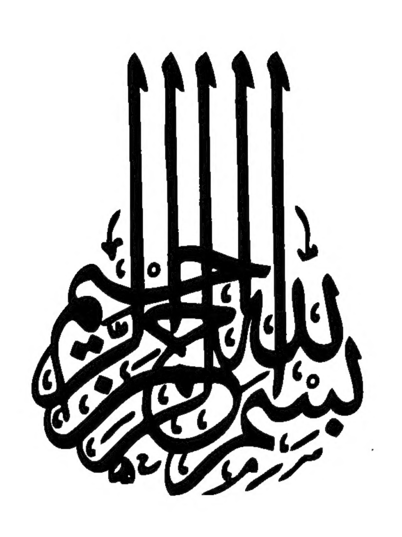
بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم
للموسوعة الكونية الكبرى
كل من السادة الأفاضل

١ ـ **الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي** ـ المفكر والداعية الإسلامي الكبير دمشق ـ سوريا .

٢ ـ **الدكتور : عكرمة سليم صبري** ـ خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة .

٣ ـ **الدكتور : محمد جمعة سالم** ـ وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف . دولة الإمارات العربية المتحدة .

٤ ـ **الدكتور : فاروق حمادة** ـ أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس المغرب ـ الرباط .

٥ ـ **الدكتور : عبد المعطي البيومي** ـ عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر ـ القاهرة جمهورية مصر العربية

أسماء وعناوين أجزاء
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ الجزء الأول : آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية .

٢ ـ الجزء الثاني : آيات العلوم الكونية وفق أحدث النظريات العلمية .

٣ ـ الجزء الثالث : آيات اللّه في خلق الكون ونشأة الحياة .

٤ ـ الجزء الرابع : آيات اللّه في السماء الدنيا والسماوات السبع .

٥ ـ الجزء الخامس : آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية .

٦ ـ الجزء السادس : آيات اللّه في خلق الأرض وتأمين معايشها .

٧ ـ الجزء السابع : آيات اللّه في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان .

٨ ـ الجزء الثامن : آيات اللّه في البحار والمحيطات والأنهار .

٩ ـ الجزء التاسع : آيات اللّه في الجبال والصحاري والغابات .

١٠ ـ الجزء العاشر : آيات اللّه في النبات والثمار والأزهار والألوان .

١١ ـ الجزء الحادي عشر: آيات اللّه في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها.

١٢ ـ الجزء الثاني عشر: آيات اللّه في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات.

١٣ ـ الجزء الثالث عشر: آيات اللّه في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل.

١٤ ـ الجزء الرابع عشر: آيات اللّه في خلق الإنسان وبعثه وحسابه.

١٥ ـ الجزء الخامس عشر: آيات اللّه في النوم والرؤى والأحلام ورؤيا الاستخارة.

١٦ ـ الجزء السادس عشر: آيات اللّه في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

١٧ ـ الجزء السابع عشر: آيات اللّه في الإعجاز التشريعي والغيبي في القرآن الكريم.

١٨ ـ الجزء الثامن عشر: آيات اللّه في الأرقام ومعانيها وفواتح السور في القرآن الكريم.

١٩ ـ الجزء التاسع عشر: آيات اللّه في الموت ونهاية الكون.

٢٠ ـ الجزء العشرون: آيات اللّه في قيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل السماوات والأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

قال تعالى:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٣٩]

قال تعالى:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

حديث شريف

قال رسول اللَّه ﷺ:

- عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع: رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ أو سعيد» رواه البخاري ومسلم.

قال رسول اللَّه ﷺ:

- عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهم قال:

مر يهودي برسول اللَّه ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد ممَّ يخلق الإنسان؟ قال: «يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأمَّا نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم» فقام اليهودي فقال هكذا كان يقول من قبلك» رواه مسلم رقم الحديث ٢٦٠٥.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلمَّا خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة اللَّه فزادوه ورحمة اللَّه فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن» رواه البخاري رقم الحديث ٦٢٢٧.

الإهداء

وهبت عملي:

إلى اللَّه تعالى.... ربنا ورب السماوات السبع والأرضين السبع، وما بينهما ورب الخلق أجمعين، الذي لا تضيع عنده الأعمال الصالحات، القائل في محكم كتابه:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٦]

والقائل: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٠٥]

فتقبل مني إنك أنت العليم الخبير.

وإلى رسول اللَّه ﷺ الذي بيَّن لنا في أحاديثه الشريفة الكثير عن حقائق الخلق، ونشأة الكون وخلق السماوات والأرض، والإنسان، والحيوان، والنبات، والبحار، والأنهار، والجبال، والطب.... وبيَّن لنا كيف تكون نهاية الحياة، وانفطار السماوات، وقيام الساعة، وكيف يكون البعث والنشور والحشر، ويوم القيامة..

اللَّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين، واجعلنا اللَّهم بالصلاة عليه من الفائزين، وبسنته من العاملين، وعلى حوضه من الواردين، وبشفاعته من الناجين، ومنه ومن آله وصحبه في جنات النعيم من المقربين.

هذه الموسوعة الكونية الكبرى

تشتمل في أجزائها العشرين على علوم جمعت أكثر من خمسين علماً فصلت القول فيها مستمداً العون من:

١ ـ كتاب اللَّه تعالى.

٢ ـ سنة رسول اللَّه ﷺ.

٣ ـ من كبار المفسرين لكتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٤ ـ من العلوم والمعارف الإنسانية وفق أحدث النظريات العلمية الحديثة.

٥ ـ من الموسوعات العالمية والإسلامية والعربية.

٦ ـ من الموسوعات الشخصية لكبار الكتاب والمؤلفين المعاصرين.

٧ ـ من كبار المفسرين والعلماء والباحثين والمفكرين.

٨ ـ وقد استمدت هذه الموسوعة الآراء والأفكار من ٢٦٩ عالماً وباحثاً في شتى العلوم والمعارف الإنسانية.

وقد تحدثت هذه الموسوعة عن خلق الكون، والأرض، ونشأة الحياة، وخلق الإنسان، والحيوان والطير والحشرات، والنبات، والنوم، والرؤى، والأحلام، وتحدثت عن الإعجاز في الأرض، والجبال، والبحار، والفضاء، وكذلك تحدثت عن الإعجاز التشريعي والغيبي، والرقمي، واللغوي، وآيات اللَّه في الرياح، والمطر، والبراكين.

وقد تحدثت عن نهاية الكون، والحياة، والموت، وقيام الساعة، والحشر، وتبديل السماوات، والأرض.

تقديم

بقلم
المفكر والداعية الإسلامي الكبير
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
دمشق ـ سوريا

«الموسوعة الكونية الكبرى»!!

استوقفني هذا العنوان.. وسألت نفسي: من الذي يملك أن يضع موسوعة علمية عن الكون كله؟... وهل الكون إلا معجم لكلمات الله؟.. ألم يقل الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٠٩]

إذاً، فلا بد أن يستنفد الباحث الجليل الشيخ ماهر، مياه البحار كلها، مداداً لرسم الكلمات الكونية كلها، مترجمة إلى ظواهر علمية!!.. ولكن أفيمكن هذا؟!..

غير أني نظرت، وأنا أستعرض من هذه الموسوعة بعض أجزائها العشرين، وإذا الباحث حفظه اللَّه ينظم من عناوين هذا الكتاب الكوني وحدها هذه الموسوعة الشاملة الكبرى.. ترى ماذا سيكون حجم عمله لو حاول أن يعرض لما تحت العناوين؟..

ومع ذلك، فممَّا لا ريب فيه أن إنشاء موسوعة كونية من هذه العناوين وحدها، يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل، وعرض لكل ما يقال اليوم وقيل بالأمس عنها... غير أن التوفيق الذي حالف باحثنا العالم النشيط عندما أخرج لنا «موسوعة الآخرة» سيكون رفيقه إن شاء اللَّه في رحلته الكونية هذه.

العقبة التي أود أن أذكِّر أخي الشيخ ماهر بها، وهو ماضٍ في رحلته العلمية

الفريدة هذه، هي: أنه سيجد الباحثين العلميين الأجانب، لم يتركوا ظاهرة كونية، في سماء الله وأرضه وبحاره، وفي غابر الأزمنة ومستقبلها، إلا وأدلوا بتقرير (علمي) حسب قناعاتهم بشأنها، فيتلقفها الناس أَو جُلُّهم على أنها حقائق علمية ثابتة. ولا ريب أن هذا التعميم في الحكم ينطوي على خطأ كبير.

إن قرار «**المنهج العلمي لمعرفة الحقائق**» يقول: إن الظواهر الكونية المادية الخاضعة للتجربة والمشاهدة، لا يمكن أن يتم الوصول إلى يقين علمي بشأنها إلا عن طريق التجربة والمشاهدة.. وأقول: إن هذا ممكن وميسور لا سيما في هذا العصر الذي تكاثرت وتطورت فيه أجهزة المشاهدة والتجربة.. أما حقائق الماضي السحيق أو المستقبل البعيد، فهي من الغيب الذي لا سبيل إلى العلم به إلا عن طريق الاعتماد على الخبر الصادق بشروطه العلمية المعروفة.

غير أن الغربيين اليوم يقتحمون بأفكارهم ظلمات الماضي واحتمالات المستقبل، وينسجون من تخيلاتهم التي يعودون بها، ما قد يجزمون بأنه من الحقائق العلمية، كحكمهم الغيبي بأن الكون قد انبثق أيام كان معدوماً من **الانفجار الأعظم**، وكقرار كثير منهم بأن الإنسان كان ينتمي إلى فصيلة حيوانية أقل شأناً، ثم تطور صعداً تحت سلطان قانون البقاء للأصلح، وكالتوقعات المستقبلية المتعلقة بالفلك ومصير الأرض والإنسان.. فهذه الأحكام وأمثالها لا تعلو فوق درجة الفرضيات أو النظريات. ومن ثم لا يجوز اتخاذها سنداً في تفسير أو تأويل شيء من كلام الله عز وجل عن الكون في القرآن.

إن المأمول أن يكون لهذه الموسوعة صدى إيجابي كبير في الأوساط العلمية والإسلامية، إن سار باحثنا الجليل في رحلته العلمية الموسوعية هذه، ملتزماً قواعد منهج البحث عن الحقيقة، واضعاً الأحكام الغربية المتسرعة عن غيبيات الكون تحت مجهر النقد. وذلك من واقع اهتماماته العلمية ونشاطاته الفكرية وغيرته الدينية.

والله ولي التوفيق.

الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي

تقديم

بقلم
الدكتور عكرمة بن سليم صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين المبجلين وصحابته الغر الميامين المحجّلين، ومن تبعهم وسار على دربهم واقتفى أثرهم وسن سنتهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني أمام موسوعة كبيرة في حجمها، غزيرة في معانيها، عميقة في أفكارها، إيمانية في توجهاتها، إنها تجسد جهداً مباركاً فتحه اللّه رب العزة للأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي حفظه اللّه ورعاه، وزاده بسطة في العلم وما حواه، وجعل الجنة مأواه.

وحينما تمعنت في هذه الموسوعة الزاخرة أيقنت أن أمتنا الإسلامية لم تمت ولم تسترخ بل فيها رجال وعلماء يبحثون وينقبون في كنوز القرآن التي لا ينضب معينها.

فهذه الموسوعة الكونية لم تترك شاردة ولا واردة تتعلق بالآيات الكونية في القرآن الكريم إلا تناولتها للدلالة على عظمة الخالق رب العالمين وقدرته على تيسير الكون وتنظيمه، هذا الكون الذي يسبِّح للّه عز وجل ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣].

هذه (الموسوعة الكونية الكبرى) التي ضمت بين دفتيها عشرين جزءاً بموضوعات متعددة ومتنوعة ومتناسقة ومتكاملة تبرز فيها آيات اللّه عز وجل

وقدرته في أكبر أجرام الكون وتتجلى في أصغر مخلوقاته، سبحانك يا رب ما أعظم قدرك وما أعلى شأنك!.

وأرى أن هذا العمل الكبير غير مسبوق في تعداد أجزائه، وتنسيق معلوماته، واشتماله على كثير من العلوم الموثوقة منذ خلق اللّه السماوات والأرض، إلى نهاية الكون وقيام الساعة، وفق أحدث النظريات العلمية المعاصرة.

وإنّه لَمِن البديهيات أن التفكر في نظام الكون وفي مخلوقاته هو عبادة من العبادات، لأنها تقود إلى إيمان فوق إيمان، وإلى يقين فوق يقين.

وعليه فإني أوصي كل إنسان مثقف، مسلماً كان أو غير مسلم، أن يقتني هذه الموسوعة العظيمة ليزداد المسلم إيماناً ومعرفة، ولينشرح صدر غير المسلم للإيمان وقلبه للإسلام.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول: **جزى اللّه الأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي على إخراج هذه الموسوعة الكبيرة خير الجزاء**، وأسأله عز وجل أن يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم وأن تكون في ميزان حسناته: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩].

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للّه رب العالمين.

الدكتور: عكرمة بن سليم صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

تقديم

بقلم
الدكتور محمد جمعة سالم
وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبو ظبي

الحمد للَّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وجعل القرآن هداية ونوراً وبشّر فيه عباده الصالحين أن لهم من اللَّه أجراً عظيماً، ورفع فيه ذكر الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات فضلاً منه ورحمة وتكريماً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى اللَّه بإذنه وسراجاً منيراً. . . فالقرآن الكريم آيات بينات جعله اللَّه سبحانه تبياناً لكل شيء بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

فقد نهل منه المفسرون والعلماء على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان مادة أصيلة لكتبهم وعلومهم ومؤلفاتهم، وبذلك تفرعت منه عشرات الآلاف من الكتب تنهل من معينه وعلمه وإعجازه وما أودعه اللَّه فيه من علم الأولين والآخرين ولم يبق علم من العلوم إلا استقى مادته واستشهد من هذا الكتاب العظيم فقهاً وتشريعاً وتفسيراً وعلماً، فهو الكتاب الذي أنزله اللَّه سبحانه بعلمه ليكون منظماً لحياة الناس في شؤون دينهم ودنياهم.

قال اللَّه تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٦]

ولا شك أن القرآن الكريم لما نزل على سيدنا محمد ﷺ نقل البشرية نقلة كبيرة حيث أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم بما تحتويه آياته الكريمة من إشارات علمية عن هذا الكون العظيم. . . وكانت هذه الإشارات

العلمية مفتاح العلوم والدراسات ومنذ العصور المتقدمة، وعمد مفسرونا السابقون إلى تفسير هذه الإشارات العلمية القرآنية بما آتاهم اللّه سبحانه من علم فمنهم من برع في علوم التفسير خاصة في الآيات الكونية والإشارات العلمية كالإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير المسمّى بمفاتيح الغيب ولكن الحركة العلمية لتفسير آيات الإعجاز العلمي في القرآن لم تبدأ فعلياً إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين. وذلك بعد التطور الكبير الذي شهدته العلوم الحديثة والاكتشافات الكونية في شتى أنحاء العالم، وقد شجعت هذه الاكتشافات العلمية الحديثة في الكون والتي وافقت ما ذُكِر في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، لذا سارع العلماء والكتاب والمفسرون إلى شرح وبيان إعجاز هذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون والأرض والإنسان والجبال والنبات والحيوان، وكثرت هذه المؤلفات وتعددت مناهجها وسبل طرحها وتفسيرها واستشهادها بالنظريات العلمية الحديثة وكلها تؤكد بالحجة والبرهان والعلم والعقل أن هذا القرآن هو من عند اللّه سبحانه، وقد سارع المسلمون وخاصة في الآونة الأخيرة إلى مدارسة القرآن الكريم وتوسعوا في فهم علومه وبيانه وإعجازه ذلك أن اللّه سبحانه رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات. يقول تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

ومن هذه المؤلفات ما تناول علماً واحداً كعلم السماء، ومنها ما تناول الإنسان، ومنها ما تناول النبات، أو الجبال، أو البحار ومن الكُتَّاب من جمع أكثر من علم في كتاب واحد، وجميع هذه المؤلفات جمعت ما بين إعجاز الآيات الكريمة والعلم الحديث وهذا أدى إلى تفاعل العلوم والتفسير فأصبحت هذه الكتب رافداً علمياً جيداً للمسلمين فمع بيان إعجاز اللّه سبحانه في كتابه جاءت التفصيلات العلمية وأحدث النظريات مثل تفسيرهم لقوله تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

استعرض المؤلفون علم النجوم، والكواكب، والمجرات، وجاؤوا بأحدث ما توصل إليه العلم في هذ المجال العلمي وكذلك تعرضوا لآيات

الإنسان، وآيات النبات، والحيوان والبحار، والمطر والرياح وغيرها كثير.

. . . . . ومن هؤلاء الذين شاركوا في هذا العلم وهذه المؤلفات العلمية الكونية وبيان إعجاز القرآن الكريم في الآيات الكونية الباحث ماهر أحمد الصوفي في موسوعته الجديدة غير المسبوقة **(الموسوعة الكونية الكبرى)** حيث وصل عدد أجزائها إلى عشرين جزءاً، والمطلع على عناوين هذه الموسوعة يجد أن هذه الموسوعة شملت أنواعاً كثيرة من العلوم حيث بدأ المؤلف هذه الأجزاء بآيات العلوم الكونية ثم آيات اللّه في خلق الكون وآيات اللّه في السماوات، ثم انتقل إلى آيات اللّه في الأرض في خلقها وتأمين معايشها ونشأة الحياة عليها وظهور الإنسان، ثم انتقل الباحث المؤلف إلى آيات اللّه في البحار والجبال والنبات والحيوان وممالك الطير والحشرات وكذلك آيات اللّه في الرياح والأمطار ـ والأعاصير ـ وتحدث عن خلق الإنسان ـ والرؤى والأحلام وكذلك تحدث في الأجزاء الخمسة الأخيرة عن الإعجاز اللغوي والبياني والغيبي والتشريعي والإعجاز الرقمي والعددي وآخر الأجزاء تحدثت عن الموت ونهاية الكون والبعث والنشور وتبديل السموات والأرض التي بدأ الحديث عن خلقها في الأجزاء الأولى. . . حقاً إنها موسوعة نادرة وحديثة ولم يسبق إليها أحد في هذا المستوى العلمي والعددي وتنوع العلوم وبيان إعجاز آيات اللّه سبحانه في هذا الكون العظيم من الذرة إلى المجرة ومن بداية الخلق إلى يوم القيامة.

أسأل اللّه العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً للّه وابتغاء وجهه الكريم وأن يجعل له انتشاراً واسعاً في عالمنا الإسلامي كما نأمل من المؤلف أن يسعى إلى ترجمة هذا العمل الكبير إلى مختلف اللغات لتعم الفائدة جميع المسلمين على مختلف أقطارهم وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات المؤلف وكل من ساهم في هذه الموسوعة من مقدمين وعلماء ومدققين وناشرين، وجعل موعدهم الجنة أجمعين وصدق رسول اللّه ﷺ إذ يقول: « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللّه له طريقاً للجنة** » وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الدكتور محمد جمعة سالم

وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف

أبو ظبي/ دولة الإمارات العربية المتحدة

تقديم

بقلم
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة
أستاذ السنة وعلومها
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب

الحمد للَّه رب العالمين ـ والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد اللَّه، وعلى آله الطيبين، وصحابته الغُرّ الميامين ـ أما بعد:

أخي العزيز الطَّلعة الأستاذ ماهر أحمد الصوفي ـ زادك اللَّه توفيقاً، فقد اطلعت ـ وأنا على جناح سفر، وشغل بالٍ ـ على طرفٍ من كتابك المسمى «الموسوعة الكونية الكبرى» وليس هذا بأول أعمالك وفضائلك، فقد سعدت من قبل بكتابك النافع المتميِّز (موسوعة الآخرة). وها أنت تتبعه اليوم بموسوعة الكون ـ في وقت تعاظم فيه الحديث عن نتائج العلوم وخطواتها الواسعة، وميادينها الشاسعة في دراسة الحياة، والكون ومظاهره، وشارك في هذه الدراسات كل شعوب الأرض ـ وإن كان ذلك بنسب مختلفة ـ من خلال مسيرة طويلة بدأت منذ آماد بعيدة، وهي متتابعة إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

وتقوى هذه المسيرة حيناً، وتضعف حيناً آخر. وقد وصل الدارسون إلى حقائق أصبحت قطعية، وأخرى لا زالت في حيز النظر والتخمين. وأخرى انكشف عُوارُها، وثبت خطؤها وبوارها.

لقد كان نزول القرآن الكريم منعطفاً عظيماً، ومحطة هامة في توجيه الإنسان للنظر في الكون ـ والحياة، فالكون بما فيه ـ دال على اللَّه، هادٍ إلى

معرفته، مظهر لأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وهو خاشع خاضع، مسبِّح لبارئه.

لهذا كانت دعوة القرآن من أول يوم من نزوله. إلى التأمل فيه، وإدراك قوانينه، ومعرفة أحواله، وتقلباته، وأصنافه، ومتفقاته ومختلفاته. وقد بين لنا القرآن الكريم قواعد وحقائق عنه حتى لا يزلّ الإنسان ولا يتيه...

فمن كتاب اللّه المنظور، ينتقل العاقل المتأمل الرشيد إلى كتاب اللّه المسطور ليوقن بصدق الوحي، فيسمو بروحه وفكره إلى درجة الخاشعين المصدقين الذين تنطلق من حناجرهم ومشاعرهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وإن النظر في كتاب اللّه المسطور، والوقوف أمام آيات الكون خاصة، والنظر فيها بحقائق العلم، ويقينيات المعرفة المعاصرة ستكشف عن صدق هذا الكتاب العزيز. وأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتزول غيومُ شكٍّ وأوهامُ غفلةٍ رانت على بعض القلوب، وغشيت بعض العقول، كيف لا؟ واللّه تعالى قد أخذ العهد على نفسه أنه سييسر للمكلفين هذه السبيل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؟!

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وإنك بعملك هذا الذي قدمته أيها الأخ الباحث ماهر أحمد الصوفي في الموسوعة الكونية الكبرى ـ من ضمِّ الآيات ذات الموضوع الواحد، والعطف عليها بما توصلت إليه الدراسات العلمية في موضوعها، وخاصة تلك الدراسات التي أنجزها الباحثون في القرن العشرين للميلاد، قد أفدتَ فيه وأجدتَ.

وعملك هذا يأتي في السياق القرآني في الجمع بين الآيات المسطورة والمنظورة، وتثير بذلك وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني المستمر الدائم، المتنامي المتعاظم، وتثبت كذلك أنه لا يُوجد في القرآن الكريم ـ على كثرة الدراسات وتنوعها في الكون والحياة ـ خطأ، أو تناقض، أو قصور.

وهذا جهد جليل في الدلالة على اللّه والهداية إليه وإقامة الحجة على الشاردين المعرضين تحت شعار العلم، وتقدمه، بمعطيات العلم وقطعياته بل وظنياته وفرضياته. مما يتعلق به المعرضون المدبرون وغيرهم.. **فهنيئاً لك بهذا الجهد العلمي الضخم الواسع**، ولكم كنت أتمنى أن يكون البحث في هذا الموضوع من كل مَنْ كتب فيه مركزاً مقصوراً على القطعي اليقيني ـ حتى لا تصبح آيات القرآن الكريم وتفسيرها في هذا الباب مهيعاً لا حدود له ولا ضوابط. وفي الختام أسأل اللّه تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويهدي به، وبغيره من الكتب التي ألفتها إلى الحق والصواب. وأن يرزقنا وإياك الإخلاص والسداد والرشاد في القول والعمل وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

وكتبه
خادم القرآن والسنة
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور عبد المعطي البيومي
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر ـ مصر

أرسل اللّه سبحانه الرسل، وأنزل الكتب، لترسم معالم المنهج الصحيح لرقي الإنسان المعرفي والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ولتكون حياته البشرية على أتم ما يكون الكمال والسعادة في الحياة، وما بعد الحياة.

ولا يتم ذلك إلا باستيعاب الرسالات السماوية، وتدبر الكتب التي نزلت بها تدبراً يتسع به وعي الإنسان، لتحقق سعادته حين يتعقل كلية.

والقرآن الكريم نزل آخر الكتب السماوية ليفسر العالم وجوده ومظاهر الطبيعة فيه ليستطيع الإنسان تسخير كل ما في الكون، والانتفاع به. كما يقول تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

ومن ثم اشتمل القرآن على آيات كونية وأخرى إنسانية، ولفت النظر إلى السماء والأرض والجبال والبحار والنبات والحيوان، ليشير إلى القوانين التي سخرت بمقتضاها هذه الأكوان، وحضَّ الإنسان على معرفة مفاتيح هذه القوانين، وسبب تسخير هذه الأكوان، ثم التوصل بها إلى معرفة الخالق لها، وإبداعه في خلقها.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٢]

ولذلك توارد المفسرون منذ نزل القرآن الكريم على تفسير واكتشاف آياته الكونية وإعجازه العلمي، كل على حسب مستواه العلمي، ومستوى ثقافة عصره وإحاطته بمعاني آياته، وإلمامه بإنجازات عصره.

وكان الإمام «فخر الدين الرازي» من أشهر هؤلاء المفسرين الذين وقفوا على الآيات الكونية في القرآن الكريم فحاولوا مبكرين أن يفسروها في ضوء ثقافة عصرهم مطبقين ومتمثلين لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فكان تفسيره الجليل مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أكثر التفاسير وقوفاً عند الآيات الكونية وتأمل إعجاز الخالق وإعجاز القرآن معاً.

لكن القرآن نزل لكل العصور، ويكشف عن نفسه ومعاني آياته لكل الأجيال، في ضوء ما تحرز هذه الأجيال من الثقافة العلمية، وكذلك جاء بعد الرازي **الشيخ حسن العطار** من أوائل شيوخ الأزهر العظماء الذين تعرضوا لشرح الآيات الكونية، وجاء بعده **الشيخ طنطاوي جوهري** الذي توسع في شرح هذه الآيات الكونية، بأكثر ممَّا فعل الشيخ العطار وتوالت المحاولات.. حتى من الذين لم يدرسوا الثقافة الإسلامية دراسة مبكرة أو تخصصوا في علومها الدينية واللغوية، وكونهم تخصصوا في العلوم الكونية فعرفوا العلم، وقارنوا ما استطاعوا بين القرآن والعلم، ليكشفوا آيات اللّه في الكون، ويمكن أن يؤخذ هنا على سبيل المثال لا الحصر الدكتور **«موريس بوكاي»** في كتابه عن **حقائق العلم في ضوء الكتب المقدسة الثلاثة** بل إن الموضوع اتسع لغير المسلمين أحياناً كثيرة من أولئك الذين بهرهم القرآن بإعجازه في الإشارة إلى حقائق الكون وإشارات لا تخطئها الحقائق العلمية في عصر تقدم العلم واتساع آفاقه، حتى إن تقدم العلم واتساع آفاقه أيّد قضية القرآن وكشف توافق القرآن في تعبيره وإشاراته مع الحقائق التي اتفق عليها العلماء.

ومن ثم كان لدينا فريقان من الذين اهتموا بالآيات الكونية في القرآن الكريم:

١ ـ فريق متخصص في العلوم، مطلع على الآيات القرآنية، يفهمها في ضوء تخصصه العلمي، ويعرفها في ضوء العلم.

٢ ـ وفريق متخصص في الدراسات الإسلامية، مطلع على حقائق العلم، يفهمها في ضوء مقررات الإسلام وآيات القرآن، ويعرض حقائق العلم في ضوء هذه المقررات والآيات.

وهناك فارق ملحوظ بين الفريقين:

ذلك أن «**معالم الأمان**» أكثر توفراً لدى الفريق الثاني الذين استوعبوا الحقائق الدينية ويعرضون مقررات العلم في ضوئها لطول خبرتهم بالدراسات الإسلامية فإنتاجهم أكثر أماناً من الخطأ في المقارنة بين الإسلام والعلم، من الفريق الأول الذي قد تُؤَثِّر ثقافة بعضهم العلمية على حساب الحقائق الدينية.

وعلى كل حال، خطأ المتخصصين في الإسلام إن أخطؤوا في حقائق العلم، أهون من خطأ الدارسين للعلم ـ وإن حدث ـ في حقائق الإسلام. لأن الرصيد في العلم الشرعي يحمي الدارسين له أكثر مما يحمي المطلعين على هذا العلم الشرعي مجرد اطلاع دفعت إليه الرغبة أو الهواية التي انطلقت أساساً من العلم التجريبي ونصرته بالدين، بينما انطلقت رغبة الفريق الثاني من نصرة الدين بالعلم.

ولا يمنع من هذا الفارق ما قد يوجد من بعض هؤلاء وهؤلاء ممن نجحوا في المقارنة بين الدين والعلم، دون خطأ في الدين أو العلم.

... على أن العمل العلمي الضخم الذي بين أيدينا الآن لكاتبه الباحث ماهر أحمد الصوفي هو من الفريق الثاني حيث تخصص كاتبه في الدراسات الإسلامية وسبق له العمل الموسوعي في مجال الدين حيث قدم لقراء العربية «**موسوعة الآخرة**» من بداية أشراط الساعة حتى بلوغ أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، مع وصف موسع للجنة والنار وبهذا الاتساع والاستيعاب في البحث بدأ عمله العلمي الضخم بدراسة الكون منذ قوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾

[سورة هود، الآية: ٧]

واستعرض البدايات المبكرة لعلم الفلك، وما جرى من خلق الكون بسماواته وأراضيه، وما في الكون من حياة وأحياء، وما فيه من بحار ومحيطات وأنهار، ومن جبال ووديان وصحاري وسهول وأدغال، ومن حيوان ونبات وألوان حتى بلغ أحدث النظريات، والحقائق العلمية في ساعة كتابة ما كتب في هذا العمل الكبير.

فهو بالإضافة إلى تخصصه الديني الذي يجعله أكثر أماناً من الخطأ لأنه يقف على حقائق العلم ويراها في ضوء الدين أكثر مما يرى المتخصص في العلم حقائق العلم، ويقرأ الآيات القرآنية في ضوء معارفه العلمية، فإنه يتوسع بهذه المرجعية الدينية المأخوذة في عرض المسائل العلمية على حقائق القرآن ولا يعرض ـ كما يفعل بعضهم ـ حقائق القرآن على مقررات العلم وهكذا اجتمع لهذا العمل العلمي الكبير عدة ميزات:

١ ـ **هذه المرجعية الدينية الأولى** التي أشرنا إليها، وهي مرجعية آمنة، وأمينة على حقائق الدين، يواكبها التزام بحقائق العلم الثابتة والأخبار العلمية الصحيحة.

٢ ـ **يقدم أحدث ما أنتج العلم** مع الأصالة فيما قرره الدين.

٣ ـ **يقدم بالمقارنة بين الدين والعلم في اتساق واضح،** لأنه يلتزم بالحقائق العلمية الثابتة التي لا تتغير حتى لا تتغير المفاهيم القرآنية بتغير بعض النظريات العلمية المتطورة دائماً، وقد يؤدي تطورها إلى تغيرها بالكلية، فلجوؤه إلى ثوابت العلم أنسب في تناول الموضوع حين يكون مقارنة مع ثوابت الدين.

٤ ـ **كل ذلك مع سهولة الأسلوب، وتبسيط العلم، وتيسير عرض حقائقه للقارئ. ولعل ذلك هو الذي دفع الباحث ماهر أحمد الصوفي كاتب هذه «الموسوعة الكونية الكبرى»** إلى عرض عمله العلمي بطريقة تختلف عن الموسوعات الأخرى التي تلتزم بالموضوعات وفق حروف الهجاء، مع ما يترتب على هذه الطريقة من عرض المعلومات المتفرقة المفككة فهي

تحتاج إلى رابط بينها، لكن الطريقة التي اعتمد عليها الكاتب الباحث تقدم عرض الموضوعات تحت عنوان موضوعي يجمع شتات الموضوع في عرض تاريخي علمي كأن يعرض المعلومات المتفرقة تحت عنوان آيات اللَّه في السماء، أو آياته في البحار والمحيطات والأنهار، فذلك أجمع في عرضه لذهن القارئ وأكثر إفادة في ربط المعلومات في سياق واحد مفيد.

نرجو اللَّه أن يجعل له ذلك في ميزانه، خدمة للدين والعلم، ومرضاة له، وتجلية لما احتوى عليه القرآن الكريم من وجوه الإعجاز في مجال الخلق والعلم على السواء.

الأستاذ الدكتور عبد المعطي البيومي
عميد كلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الإنسان هذا المخلوق الذي خلقه اللَّه سبحانه بعلمه وقدرته لا شك أنه درة هذا الكون، أما لماذا؟ فهذا لا يملك جوابه إلا اللَّه سبحانه الذي خلق هذا الإنسان ولقد أصبح من العلم الواضح اليوم أن الإنسان هو آخر المخلوقات خلقاً على هذه الأرض.. وهذا الأمر واضح من خلال الآيات القرآنية وفي كثير منها وكذلك ما بينته السنة النبوية المطهرة، وأيضاً ما أكده العلم تماماً بما لا يدع مجالاً للشك أن الإنسان هو آخر المخلوقات خلقاً على هذه الأرض إذ لا يتعدى في أحسن وأكثر الفرضيات العلمية أن عمر الإنسان على الأرض يتجاوز أكثر من بضع عشرات من الآلاف من السنين.. ولا نقول بضع مئات لأن هذا خطأ جسيم واللَّه سبحانه أعلم بهذا ولكن الدلائل والقرائن والشواهد والآثار والمستحاثات إضافة إلى ما أكدته السنة النبوية تشير أن عمر الإنسان على الأرض قليل لا يتجاوز بضع عشرات آلاف السنين

.... ومما أكده العلم اليوم أو أصبح قريباً من التأكيد أن عمر الكون بحدود ١٣,٥ مليار سنة، أمّا عمر الأرض فقد أكد العلماء بعد طول دراسات وتجارب أن عمرها بحدود ٤,٥ مليار سنة، والأهم من هذا أيضاً أن عمر أول حياة بدائية بكتيرية أو جرثومية أو طفيلية على الأرض لا يتجاوز مليار سنة، أما عمر النبات فهو أقل بكثير.. وعمر أول خلق فيه روح من حيوانات فأيضاً لا يتجاوز بضع مئات الملايين من السنين... إذاً هناك فترة قد تمتد إلى ٣,٥ مليار سنة من الأرض بداية من خلقها ونهاية بظهور أول نوع من حياة على الأرض.. هذه الفترة بعلم اللَّه سبحانه.. ولا يمكن لبشر أو علم أن يعرف شيئاً عنها.. ما قدّمت كي نتصور كم هو عمر الإنسان قصير على الأرض فهو في النهاية أجيال معدودة منذ آدم عليه

السلام إلى يومنا هذا. . . وكثير من العلماء استطاعوا أن يقدموا لنا تسلسلاً زمنياً وتاريخياً منذ عهد آدم إلى عهدنا اليوم. . . ولقد تطورت الحياة على ظهر هذا الكوكب بداية من خلق الحيوانات حيث تنوعت الحيوانات وكثرت أنواعها وانقرض منها الكثير فمثلاً يقول العلماء: إن الديناصورات عاشت مائتي مليون سنة. . وانقرضت منذ (٦٥) مليون سنة وكذلك كثير من الحيوانات عاشت فترة طويلة ثم انقرضت ومنها أيضاً على سبيل المثال (الماموث) الذي انقرض منذ مليون سنة تقريباً. . ثم ظهرت أخيراً الحيوانات الثديية وهي التي تعيش معنا حتى هذا اليوم لم ينقرض منها إلا القليل جداً.

. . . نقول: إن الحياة لمّا اكتملت على الأرض بجبالها وأنهارها ومائها وبحارها، ونباتها وحيوانها وحشراتها وأصبحت جاهزة لاستقبال الإنسان. . خلق اللّه سبحانه بعلمه هذا الكائن العاقل (الإنسان) وسيّده على هذا الكون. . وكانت البداية.

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

وبعد أن تهيّأ كل ما في الأرض لحياة الإنسان خاطب اللّه سبحانه الملائكة وأعلمهم أنه سيخلق مخلوقاً بشراً (الإنسان) على الأرض وأنه إذا خلقه وسوّاه ونفخ فيه من روحه عليكم أن تقعوا له ساجدين سجود تحية وتقدير، يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠]

ثم بين اللّه سبحانه للملائكة أن هذا البشر (الإنسان) سيكون خليفة في الأرض يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

إذاً خلق اللَّه سبحانه الإنسان بعد أن جهز له كامل ما يؤمن له حياة آمنة سعيدة ثم جعله خليفة في الأرض، وأمر الملائكة أن تسجد له سجود تحية. . ولكن اللَّه سبحانه من عظيم فضله وكرمه على الإنسان لم تكن هذه الميزات التي ذكرت آخر المطاف بالنسبة للإنسان، بل توجه اللَّه سبحانه في كتابه الكريم وأعلم الإنسان أنه سخّر له ما في الأرض جميعاً فهي طوعه ورهن استخدامه ولن تعصيه في شيء أبداً.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

بل أكرم الإنسان إكراماً عظيماً عندما سخَّر له ليس ما في الأرض وحسب، وإنما سخر له كل ما في السماوات والتي لا يعلم عظمتها وما فيها إلا اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

ثم حمله اللَّه سبحانه الأمانة العظمى التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال يقول تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

ثم وقع عليه بعد كل هذا الكرم والعطاء والتسخير الإلٰهي الابتلاء والامتحان يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

فقصة الإنسان عظيمة منذ خلقه وإلى أن يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها، فمن هو هذا الإنسان؟ وكيف خلق؟ وممَّ خلق؟ ولماذا خلق؟ ولماذا

يموت؟ وإلى أين يذهب بعد الموت؟ وما هي آيات خلقه في الجسد والنفس والروح والعقل والفؤاد؟

ففي هذا الجزء من الموسوعة الذي يحمل عنوان (آيات اللّٰه في خلق الإنسان وبعثه وحسابه) نرحل مع خلق الإنسان منذ النطفة الأولى إلى أن يصبح مخلوقاً متكاملاً. . ثم نقوم بعملية جلاء علمي تشريحي إعجازي لهذا الجسد وكيف خِلقته ومراحله، ثم نتحدث عن النفس الإنسانية ودورها في حياة الإنسان، ثم نفرد فصولاً عن الروح والعقل والفؤاد وعملها في هذا الجسد الإنساني، وكذلك نتحدث عن الاستنساخ الذي طلع لنا به علم الوراثة، ثم نتحدث عن موت الإنسان وبعثه وحسابه، ومع الكتاب وفقراته عسى أن نكون قدَّمنا مادة نافعة تفيد الناس وتكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

د. ماهر أحمد الصوفي

الفصل الأول

المقدمة .

١ ـ وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

٢ ـ الخلية الحية في الإنسان .

٣ ـ مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم .

٤ ـ كيف تتكون النطفة الأولى (الخلية الأولى)؟

٥ ـ ما الخلية؟

٦ ـ ما البويضة؟

٧ ـ الحيوان المنوي .

٨ ـ كيف يتم لقاء الحيوان المنوي والبويضة ويتم خلق الإنسان؟

٩ ـ أولاً: النطفة (الأسبوع الأول من التلقيح) .

١٠ ـ ثانياً: العلقة (من اليوم السابع وحتى الأسبوع الثالث) .

١١ ـ ثالثاً: المضغة (من أول الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع السابع) .

١٢ ـ رابعاً: تكوين العظام (يبدأ في الأسبوع السابع) .

١٣ ـ خامساً: تكوين الجسم (من الأسبوع الثامن) .

١٤ ـ آيات إلٰهية أثناء الحمل .

١٥ ـ خلق الإنسان (من نفخ الروح إلى المخاض والولادة) .

ـ خصائص مرحلة النشأة .

١ ـ التطور للأعضاء والأجهزة .

٢ ـ نفخ الروح .

٣ ـ التغيرات في مقاييس الجسم ، واكتساب الصور الشخصية .

٤ ـ تحديد الجنس .

٥ ـ أطوار مرحلة النشأة .

١ ـ النشأة خلقاً آخر .

أ ـ النمو السريع .

ب ـ تغيير طبيعة الجنين وتطور أعضائه .

ج ـ أقل مدة للحمل .

٢ ـ الحضانة الرحمية .

٣ ـ المخاض أو الولادة .

ـ الخلاصة .

ـ الترابط بين الشواهد القرآنية فيما يتصل بالمراحل الرئيسة للتخلق البشري .

وفي أنفسكم أفلا تبصرون

يقول تعالى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ٢٠ ـ ٢٣]

لما كان الإنسان كثير النسيان، فقد أمده اللّه سبحانه وتعالى بالعديد من الآيات البينات التي تذكره بما يحتوي عليه الكون من العجائب والمعجزات وتنير له طريق الهداية والصواب؛ ذلك أن الحياة من حوله عالم متكامل من المخلوقات يصلح بعضه بعضاً في سبيل الحياة والبقاء، منها ما ينفع أو يضر، ومنها ما لا ينفع ولا يضر والإنسان على رأس هذا العالم سيد المخلوقات جميعاً، أعزه اللّه سبحانه وتعالى بالعقل والحكمة، وخصه بحسن المظهر وجمال التكوين، يقول تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

[سورة التين، الآية: ٤]

ولا تقتصر معجزات الخلق الإلٰهي على أنواع كتلك المخلوقات التي نراها كل يوم فيما حولنا، بل تمتد إلى الإنسان نفسه، ليكون الدليل قائماً بيناً وواضحاً وتحت أبصارنا في كل حين. فجسم الإنسان الذي نراه كل يوم في أنفسنا أو فيمن هم حولنا من البشر هو بناء عجيب على أكبر جانب من الدقة وحسن المظهر وجمال التنسيق وقد أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يلفت أنظارنا إلى هذا البناء الدقيق لنقف على حقيقة واضحة تدلنا على عظمة الخالق وجمال الخلق.

وبعد مشوار طويل من البحث العلمي الشاق أصبحنا نعرف اليوم أن جسم الإنسان يتركب من وحدات أساسية دقيقة للغاية يطلق على كل منها اسم الخلية، ويحتوي جسم الإنسان على ما يقرب من ألف مليار خلية

متناهية في الصغر لا يمكن رؤيتها إلا بمساعدة مجهر (ميكروسكوب) قوي.

والواقع أن خلايا الجسم ليست كلها على نمط واحد من حيث الشكل أو الحجم أو الوظيفة، فهي تختلف فيما بينها اختلافات واضحة، كما أنها تتنوع بشكل يثير الدهشة والإعجاب فهناك ـ على سبيل المثال ـ كرات الدم الحمراء ذات الشكل المستدير ويبلغ قطر الواحدة منها **٢٥** ميكروناً، والخلايا العضلية ذات الشكل المغزلي أو الأسطواني إلى **٣٠٠٠** ميكرون (ملليمترات) والخلايا العصبية التي تمتد عبر الجسم على هيئة ألياف يصل طولها إلى مليون ميكرون (أي متر) أو أكثر.

وهذه الخلايا التي يتركب منها جسم الإنسان لا تبقى منفصلة بعضها عن بعض، بل تعيش في تنظيمات متجانسة، ويقوم كل تنظيم بأداء عمل خاص من الأعمال العديدة التي تتطلبها حياة الإنسان. ويطلق علماء الأحياء على هذا التنظيم المتجانس اسم (النسيج) ومن أمثلة هذه الأنسجة، النسيج العضلي الذي تتركب منه عضلات الجسم على اختلاف مواقعها وأنواعها، والنسيج الإفرازي الذي يدخل في تكوين الجسم والذي يقوم بإمداد الجسم بجميع احتياجاته من الأنزيمات أو الهرمونات أو المواد الكيميائية الأخرى، والنسيج الطلائي الذي يغلف الجسم من الخارج أو يبطنه من الداخل وهكذا.

والأنسجة بدورها تندمج في تنظيمات أكبر يطلق عليها اسم **(الأعضاء)** فالمعدة مثلاً عضو هام يتركب من عدة أنسجة منها النسيج الإفرازي الذي تتدفق منه العصارات الهضمية، ومنها النسيج العضلي الذي تؤدي تحركاته المنتظمة المتتالية إلى خلط الطعام مع العصارات ودفع الطعام المهضوم جزئياً إلى الأمعاء، **وهناك أيضاً النسيج الدموي** الذي يحمل إلى خلايا المعدة احتياجاتها، وكذلك يوجد النسيج الضام الذي يربط الأنسجة السابقة بعضها مع بعض برباط محكم لتتكون منها وحدة متماسكة وقادرة على أداء وظيفتها كأحسن ما يكون الأداء.

وتندمج الأعضاء والتركيبات التي تؤدي وظيفة حيوية واحدة في جسم الإنسان في تنظيم واحد كبير يطلق عليه **اسم الجهاز** وهو أكبر التنظيمات الجسدية وأكثرها تعقيداً. والأجهزة الموجودة في جسم الإنسان هي: الجهاز الجلدي، والجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، والجهاز الدوري، والجهاز

العصبي، والجهاز الحسي، والجهاز الهيكلي، والجهاز العضلي، وجهاز الإفراز الداخلي المكون من الغدد الصماء. ومن مجموعة هذه الأجهزة ـ التي تختلف اختلافاً جوهرياً في سلوكها ووظائفها وصفاتها التشريحية ـ يتركب جسم الإنسان، فتبارك الله أحسن الخالقين، وتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين.

الخلية الحية في الإنسان:

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

تؤكد هذه الآية الكريمة وعد الله سبحانه وتعالى لعباده بالكشف عن آياته المنبثة في الآفاق والأنفس ليعرفوها وتكون طريقاً إلى هدايتهم وتعميق إيمانهم بخالق الكون والحياة. والخلية الحية هي الوحدة البنائية التي يتكون منها الإنسان والحيوان والنبات، وينشأ عنها مختلف الأجهزة التي تتفاوت في أشكالها ونظامها ومكوناتها، بل إن الجهاز الواحد الناتج عن الخلية يختلف في أجزائه تبعاً لعمله وما خلق من أجله.

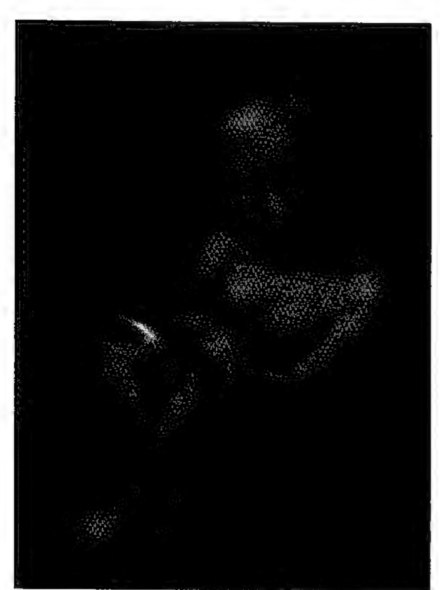

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ طفل مكتمل النمو بعد الولادة مباشرة وبعد مرحلة من التخلق الطويل تمت داخل الرحم

وإذا قصرنا الحديث عن الخلية الحية في الإنسان نجد أن كل نواتجها صور مختلفة لتحقيق أغراض الحياة، فهي تنتج الدماء والعظام واللحم والأعصاب، بل إنها تنتج تحت ظروف المرض خلايا جديدة للدفاع والمقاومة. ولعل أعجب ما نجده في سير الخلية الحية هو أسلوب انقسامها فمن المعروف أن الجنين يتكون بتلقيح الحيوان المنوي، الذي يعتبر أساساً نصف خلية حية، لنصف خلية مؤنثة، وهي نصف البويضة، فتنشأ

من هذا التلقيح خلية حية واحدة تنقسم على الفور بسرعة مذهلة إلى خليتين. كل واحدة بحجم الخلية الأصلية، ويستمر الانقسام والنمو في كل خلية. ويقف العلم عاجزاً والعلماء مذهولين إزاء عملية الانقسام على هذا النحو المعجز الذي يجعل الكائن البشري يحصل على ثلاثين ألف مليون خلية من انقسام كل أقسام الخلية الأولى خمسين مرة في فترة وجيزة لتكوّن جسمه.

وقد باشر العلماء منذ أن عرفت الخلية الحية دراسة مكوناتها باستخدام التقنيات المتقدمة، ومحاولة الوقوف على بعض أسرارها التي بها تنقسم وتنمو وتتغذى، فوجدوا أن أساس الخلية الحية هو (البروتين) الذي يتكون من أحماض أمينية.. وعلى ذلك فإن هذه (الأحماض الأمينية) هي أساس الخلية الحية، وفيها تكمن أسرارها، ولقيام الحياة لا بد أن يأخذ الجسم إلى خلاياه بروتينات تفتتها الخلية وتحللها إلى أحماضها الأمينية، ثم تعيد التحامها مرة أخرى في أشكال جديدة، لذلك قالوا: إن هذه الأحماض الأمينية، أو البروتين **الذي يتكون منها، هو أصل الحياة**.

ولقد تمكن العلماء من الوصول إلى أنواع الأحماض الأمينية ومعرفة تركيب الجزيء البروتيني، أما أصناف البروتينات التي تتكون من الأحماض الموجودة في الخلية فيفوق عددها كل خيال(١).

ويوالي البحث العلمي مهمته في كشف المزيد من أسرار الخلية الحية التي تكاثرت في الجنين لتكونه فتوقف أمام قيامها بعملية عجيبة تتمثل في هدم البروتين وإعادة بنائه وأقرب مثل يمكن ضربه لإيضاح ما يتم داخل الخلية الحية في هذا الشأن هو المثل لمنزل قائم، ثم يجري هدمه ومن حجارته وخشبه ورمله وبلاطه يجري بناء شيء جديد لمواجهة حاجة ملحة، ولك أن تتخيل كم من الوقت والجهد والخبراء يلزم لدراسة هذا العمل والتخطيط الدقيق له، والقيام بتنفيذه.

وإن من أدق أسرار عملية الهدم والبناء التي تقوم بها الخلية الحية هي السرعة الفائقة التي يعجز العلم بكل أجهزته وتقنياته المتقدمة عن أن يتابعها

---

(١) يقول الدكتور إميل فيشر الحائز على جائزة نوبل في دراسة البروتين أنه يمكن إنتاج أصناف من البروتين عن ثلاثين حامضاً أمينياً يبلغ عددها رقم ١٢٨ وأمامه ٢٥ صفراً. (أي ١٢٨ × ٢٥ صفراً).

أو يلاحقها، **وإن كانت تقنية العلم في الوقت الحاضر تفتح باب الأمل لدراسة هذه العملية العجيبة**، واختبار الأحماض التي يعاد تجمعها بطريقة مغايرة للأصل من أجل تكوين الصنف الجديد المطلوب تحديداً للبروتين، **بل إن انتقال الأحماض الأمينية واتحادها في أوعية خاصة داخل الخلية الحية يعتبر من الآيات الباهرة** التي تستلزم بالضرورة العقلية إيماناً خالصاً صادقاً بوحدانية اللَّه سبحانه وتعالى ذلك أن الخلية الواحدة بها العديد من الأوعية التي تسمى (ريبوسوم)، ولكن كيف تنقل أحماض بعينها ولا تدخل غيرها؟ هذا ما لا يتم الإجابة عنه إلا باللجوء إلى الخالق الواحد الذي يقول للشيء كن فيكون.

إن هذه العمليات المعجزة قليل من كثير مما يحدث في الخلية الحية التي لا ترى بالعين المجردة، ولا يزال هناك الكثير من المواد المجهولة لم يعرف العلم بعد تركيبها **ليظل الفرق موجوداً دائماً بين العجز والمعجزة، العجز في العلم البشري المحدود، والمعجزة الدالة على قدرة اللَّه** الذي أحاط بكل شيء علماً، وأخبر بنسبية العلم البشري ومحدوديته في قوله عز من قائل:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

والحديث عن أسرار الخلايا الحية في الإنسان **يتطلب أولاً أن نفرق بين هذه الخلايا، النوع الأول** هي الخلايا الجنسية الذكرية (أي الحيوانات المنوية) **والثاني** الجنسية الأنثوية (أي البويضات). والاندماج بين أنوية هذه الخلايا الجنسية الذكرية والأنثوية ينتج ذريات جديدة تحمل صفات أبويها. وبالرغم من أن البشر جميعاً يتكاثرون بهذا الأسلوب إلا

هذه هي الخلية الحية الأولى التي يتكون منها الإنسان الذي أبدع اللَّه سبحانه في خلقه وجعله خليفة في الأرض

أنهم ليسوا جميعاً نسخاً مكررة بعضهم من بعض. فإن تكوين سحناتهم وأصواتهم وألوانهم وبصماتهم وفصائل دمهم وطباعهم وملكاتهم إنما يتم نتيجة عوامل وراثية محددة تكمن في أنوية الخلايا الجنسية للنوع. ولقد أوضح علماء الرياضة البيولوجية بالحساب والمعادلات أن مجيء اثنين متشابهين شبهاً مطلقاً (يستثنى من ذلك التوائم المتشابهة) احتمال نادر غاية الندرة يقرب من أن يكون مستحيلاً.

أما النوع الثاني من الخلايا الحية في الإنسان فهي الخلايا الجسدية يبلغ عددها من ٦٠ إلى ١٠٠ مليون مليون خلية، ولكل خلايا نواتها (عدد كرات الدم الحمراء) اشتقت هذه الأعداد الهائلة من الخلية الأولى الملقحة (المخصبة)، وقد تميزت بعد ذلك إلى خلايا عظام وعضلات ومخ وأمعاء وكبد وطحال.. إلى آخره. فهي مأمورة من الخالق بهذا التميز وإلا من أعطى الأمر لها بهذا التميز ولا شك أن هذه الخلايا تختلف عن بعضها في الشكل والحجم والوظيفة.. فوظيفة الأمعاء مثلاً تفرز وتهضم وتمتص.. ولا يمكن أن تصلح لوظيفة أخرى أي أنها لا تستطيع أن تقوم بعمل خلايا المخ أو العين أو الرئة مثلاً.

ويعتقد العلماء أن قيام الخلايا الجسدية في جسم الإنسان بوظائف دون الوظائف الأخرى على حسب مكانها في أجهزة الجسم المختلفة ليس عجزاً منها، فهي كلها دائماً موجودة في نواتها. بمعنى أن أية نواة في أية خلية جسدية تحمل في طياتها السمات الوراثية التي اشتقت من الخلية الملقحة.

ولكي نوضح هذه العملية الحيوية بمثال نقول: إن أي كتاب مطبوع كانت له أصول ثم جمعت كلماتها وفقراتها وصفحاتها في المطبعة، ومن الممكن بعدْ ذلك طبع ما نشاء منها طبق الأصل من النسخ الأخرى. وكذلك تكون الخلية الملقحة، **ففي نواتها أودع اللَّه سبحانه وتعالى فكرة الخلق كله،** أي أنها تحتوي ـ بلغة العلم الحديث ـ على برنامج وراثي كامل، فإذا تكاثرت إلى مئات وآلاف الخلايا النسيجية أو الجسدية فإن كل خلية ناتجة تمتلك في نواتها نسخة طبق الأصل من البرنامج الوراثي المشتق من الخلية الأولى (المخصبة)، وكأنما هذه الخلية بدورها تطبع نسخاً طبق الأصل من ذاتها.

وهنا تبرز تساؤلات محيرة: كيف تحولت هذه الأصول المتشابهة في بدايات الأجنة إلى تكوينات خلوية قد تحسبها ـ لاختلافها ـ شيئاً آخر غير الأصل الذي منه قد جاءت؟ وما الذي حول هذه الخلية الجنسية لتكون خلية جسدية من خلايا العين أو اللسان أو الكبد أو الجلد أو العظام؟

التحام الحيوان المنوي
بالبيضة ـ صورة أخذت من داخل الرحم

الواقع أن هذه التساؤلات وغيرها لمن أعظم التحديات التي تواجه العلماء حتى الآن فقد عرفوا من أسرار الخلية وتشكل الأجنة القليل، وبقي أمامهم الكثير، وكلما اكتشفوا سراً أو عرفوا لغزاً، عظمت في عقولنا سنن اللَّه سبحانه وتعالى في خلقه، وإبداعه في تلك التكوينات الدقيقة التي تتمخض عن إنسان مدرك ناطق عاقل يبحث في أسرار الكون والحياة.. فتبارك اللَّه أحسن الخالقين[١].

مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم
النطفة (الخلية) ـ العلقة ـ المضغة

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

(١) رحيق العلم والإيمان، الدكتور/ أحمد فؤاد باشا.

هذه آية كريمة تحدَّث فيها اللَّه سبحانه وتعالى عن مراحل خلق الإنسان في يوم لم يكن أحد يعرف عن هذا الأمر شيئاً، وليس من علم تشريحي أو طبي يبين حال خلق الإنسان في رحم أمه، وأنه يمر بهذه المراحل من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ثم إلى إكساء العظام لحماً.

وفي زماننا اليوم وبفضل تقدم العلوم والتشريح الطبي عرف الإنسان مراحل تخلق الإنسان في رحم أمه، وذلك بتقدم أدوات البحث التكنولوجية وآلات التصوير التي استطاعت أن تصور الجنين في رحم الأم ومنذ النطفة الأولى وحتى ولادة الطفل، **وما عرفه العلم أتى مطابقاً تماماً لما جاء به القرآن الكريم** في كثير من الآيات الكريمة... والقرآن الكريم توسع في أكثر من أربعين آية كريمة تتحدث عن خلق الإنسان.. ذلك أن المخاطب في القرآن الكريم هو الإنسان، ومن رحمة اللَّه بالإنسان أعلمه كيف يتم خلقه في رحم أمه.. بل وكيف يكون الحمل وتكوين النطفة وتطورها وانتقالها من مرحلة إلى مرحلة في رحم الأم وفي ظلمات ثلاث.. حتى يتنبه الإنسان إلى قدرة اللَّه سبحانه وتعالى في خلقه..
وبما أن هذه الآية الكريمة تمثل أهم مراحل خلق الإنسان بداية من التراب ثم من النطفة، فلا بد من أن نستعرض تلك المراحل في تخلق الإنسان علمياً لنتبين عظمة اللَّه سبحانه وتعالى، ثم نستعرض رأي المفسرين في هذه الآية المهمة...
وإن توسعت في إعطاء هذه الآية تفسيراً ورأياً وحقائق علمية فذلك أنها من أهم ما يجب أن يعلمه الإنسان عن نفسه، وأرى أنها ثقافة عامة واجبة المعرفة لكل إنسان على ظهر الأرض.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ٢٨]

والطين: هو مزيج من التراب والماء. . . وفي الآيات الثلاث إشارة إلى أصل الإنسان ومعدنه الأساسي إنما هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها. . وبشكل أدق: خلاصة من هذه الأرض.

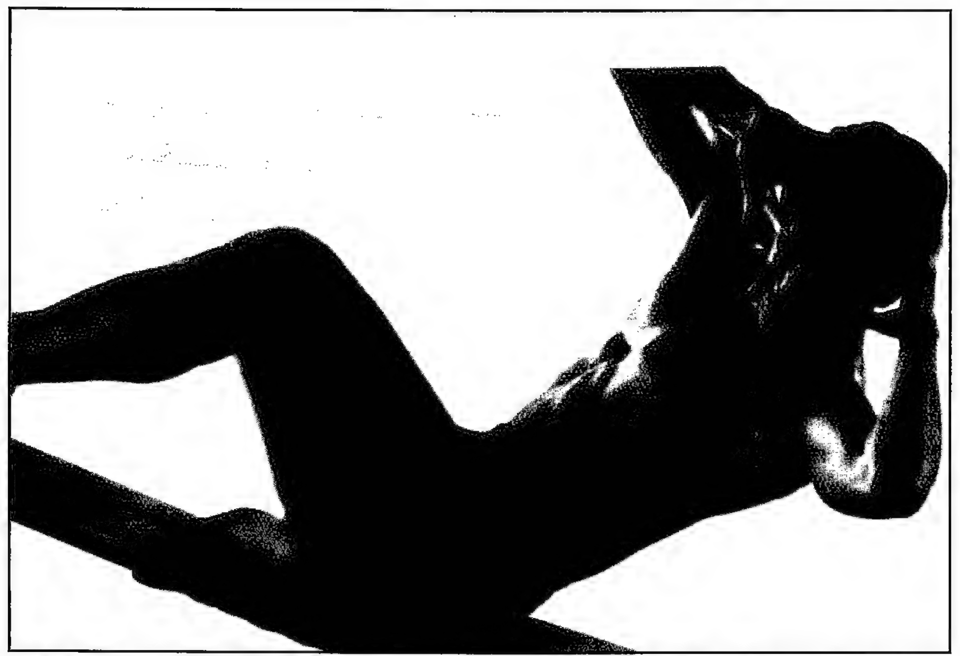

هذا هو الإنسان في أوج شبابه وقوته وجماله خلق من طين ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾

ويقول التحليل الكيميائي:

إننا لو حللنا الإنسان إلى عناصره الأولية لوجدناه أشبه بمنجم صغير يشترك في تركيبه اثنان وعشرون عنصراً تمَّ اكتشافها حتى الآن وتتوزع كالآتي:

١ ـ أوكسجين وهيدروجين، وهما يُكوِّنان الماء. . والماء يؤلف ٦٥ ـ ٧٠٪ من أجسادنا، والإنسان لا يستطيع أن يستمر حياً أكثر من أربعة أيام بدون ماء برغم ما يمتلكه من إمكانات للتأقلم مع الجفاف، وينطبق هذا على جميع كائنات الكون.

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

٢ ـ **الكربون والهيدروجين والأوكسجين**، وتؤلف أساس المركبات العضوية من سكريات ودسم وبروتينات وفيتامينات وهرمونات وأنزيمات.

٣ ـ **سبع مواد جافة هي**: (الكلور ـ الكبريت ـ الفوسفور ـ الماغنيسيوم ـ الكالسيوم ـ البوتاسيوم ـ الصوديوم) وهي تؤلف ٦٠ ـ ٨٠٪ من المواد الجافة.

٤ ـ **سبع مواد أخرى جافة نسبتها أقل وهي**: (الحديد ـ النحاس ـ اليود ـ المنغنيز ـ الكوبالت ـ الزنك ـ المولبيديوم).

٥ ـ عناصر أخرى نادرة وعددها ستة.

يقول الدكتور محمد طلعت في كتابه (محيط العلوم):

(يتكون جسم الإنسان مما يتكون منه الكون بأسره... ثم يقول بعد أن يعدد مكونات الجسم البشري من العناصر الأرضية: إذا نحن جمعنا كل أولئك في وعاء واحد ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يبعث الحياة في هذا الخليط تكونت فتاة... وقد تكون ربة حسن وجمال... وقلب عطوف ونفس صافية... وربما شاء الله لذلك الخليط أن يصير رجلاً).

وبما تقدم يتبين إجماع المختصين على أن جسم الإنسان ككتلة من التراب يشتمل على جميع العناصر المعدنية الموجودة في الأرض.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٠]

ثم يقول تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾.

فكيف تتكون النطفة الأولى (الخلية الأولى)؟

يتكون جسم الإنسان ـ وأي كائن حي ـ من كومة هائلة من الجزيئات، وتتكون الجزيئات من خلايا متجاورة تتكون من مادة تسمى السيتوبلازما، وداخل كل خلية جسم صغير **اسمه النواة**، وتحتوي هذه النواة على أجسام

صغيرة اسمها **الكروموزمات**، وجميع الخلايا البشرية باستثناء بويضة المرأة والحيوان المنوي الذكري تحتوي على (٤٦ كروموزم)، وكل كروموزم يحتوي على عدد هائل من الأجسام الدقيقة **تسمى بالجينات**، وهذه الجينات هي المسؤولة عن تحديد الصفات الوراثية للكائن الحي.

هذه الجينات عبارة عن (معلومات) أو (خرائط)، أو خطط تركيبة الكائن الحي، إنها الكلمات التي **تشكل كتاباً ما يصبح هو الإنسان**، أو كتاباً آخر يصبح عصفوراً، أو كتاباً ثالثاً يصبح زهرة، وكتاب الإنسان منقوش، ولكن كما تختلف نسخة كل كتاب عن الأخرى، يختلف البشر.

هذه الجينات تتكون من مادة: هي مثل الحبر والورق الذي نكتب به الكلمات، ولا يمكن أن توجد بدونهما، هذه المادة اسمها (د ـ ن ـ أ) والجين قطعة من المعلومات المشفرة مكتوبة على قطعة من ال ـ (د ـ ن ـ أ) ويحمل جسم الكائن الحي نسختين من كل جين ـ الجين المسؤول عن لون العين مثلاً.

انقسام البيضة بعد تلقيحها من الحيوان المنوي
٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٨ وتبقى تنقسم حتى تصبح علقة ثم مضغة

وعندما يلتحم الحيوان المنوي بالبويضة يحدث الآتي:

نواة الحيوان المنوي ونواة البويضة يحتوي كل منهما على ٢٣ كروموزم وليس ٤٦ وباتحادها معاً يكون الناتج نواة واحدة كاملة تتناسخ وتتكرر فيتحول إلى جنين، ثم إلى إنسان، **ويحمل كل كائن نسختين من الجين** ـ كما قلنا ـ أحدهما من الأب والثاني من الأم، أحدهما يقول: إن لون العين يجب أن يكون أزرق، والثاني يقول: إن لون العين يجب أن يكون أسود، ولكن إذا تشابهت الجينات القادمة من الأم والأب، فإن النتيجة تكون مزيداً من الشبه بالاثنين ومزيداً من الأمراض أيضاً لأن الجين حامل المرض (والأمراض صفات بمعنى ما) لن يجد جيناً آخر يتغلب عليه، وهكذا اكتشف العلماء أن زواج الأقارب يسبب كوارث صحية.

وقد قلنا: إن الأب والأم يحملان نسختين من كل جين، ويمكن بنسبة٥٠٪ أن تنتقل إلى الابن النسخة التي تحمل الصفة (المتنحية) أو (الكامنة) وليس النسخة التي تحمل الصفة (السائدة) ما معنى ذلك؟

سنفترض أن الأم عيناها سوداوان، ولكن جسمها يحوي على جين ثانٍ لعيون زرقاء، وهذا الجين الذي ينتقل إلى الابن ونفس الشيء مع الأب، وفي هذه الحالة يولد الابن بعينين زرقاويين، رغم أن أباه وأمه يحملان عيوناً سوداء.

كيف يحدث الحمل، وتتكون أول خلية في الإنسان؟

عندما يندمج الحيوان المنوي مع البويضة يتحولان إلى خلية واحدة تتكون من ٤٦ كروموزوماً ـ العدد المحدد لخلايا الإنسان ـ وفي حدود ٤٨ إلى ٧٢ ساعة تنقسم الخلية على نفسها لتصبح اثنتين ثم أربعاً ثم ثمانياً، فيكون بذلك الحد الأدنى من خلايا الجنين، ثم يستمر الانقسام والتكاثر بعد ذلك، ولكن تبدأ الخلايا باتخاذ تشكيلات مختلفة تحدد كل منها جزءاً معيناً من أعضاء الإنسان، فخلايا العين تختلف عن خلايا الرئتين في شيء واحد، هو أنها مركبة ومشكلة بطريقة مختلفة.

وحتى يكون الكائن الحي طبيعياً لا بد أن تتكون كل خلية من خلاياه من ٤٦ كروموزوماً، وإذا حدث أثناء الحمل أي خلل بسبب زيادة أو نقص الكروموزومات عن هذا العدد يموت الجنين أو يصبح غير طبيعي، وهذا كشف آخر ينتج عنه علاج ملايين الحالات الصعبة من الإنجاب.

وكل هذه الاكتشافات وغيرها لم يكن من الممكن اكتشافها بدون الأبحاث المعملية التي يقف الناس ضدها، وبدأت الخطوة الأولى لهذه الأبحاث عن طريق تخصيب بويضة بحيوان منوي خارج رحم المرأة، وبالتحديد في بيئة صناعية داخل المعمل، وفي حالات أطفال الأنابيب كما يطلق عليها ـ والأصح هو التخصيب خارج الجسم ـ يحدث أن تتم العمليات الأولى خارج الجسم، ثم تنقل بعد ذلك إلى رحم المرأة لتواصل نموها الطبيعي، وتصبح طفلاً.

ما الخلية؟

الخلية تعتبر حجر الأساس في بناء الكائن الحي بمجموعه العام ومن الخلية يبدأ سر الحياة المحير.

الحيوان المنوي لحظة اختراقه للبويضة (الخلية الأولى) ملايين من الحيوانات المنوية تنطلق لتحظى بهذا اللقاح وواحد فقط هو الذي ينجح

وتحت المجهر تتراءى لنا الخلية الواحدة والتي يبلغ قطرها وسطياً سبع ميكرونات[١] ويبلغ وزن الخلية جزءاً من مليار من الغرام (ويمثلها خاصة نطفة الإنسان التي يتم بواسطتها التلقيح مع بويضة المرأة[٢] لإنشاء خلية جديدة كاملة يتم خلق الإنسان منها فيما بعد).

والخلية تتكون على وجه العموم من حجرة يغلفها غشاء مضاعف وتملأ هذه الحجرة مادة سائلة تسمى علمياً (السيتوبلاسما) تستقر فيه (النواة) وفيها يكمن سر الحياة للخلية لأن الخلية إذا جردت من النواة لم تستطع أن تتابع سيرها في الحياة.

والنواة داخل الخلية بناؤها دقيق لأنه يحيط بها أيضاً غشاء نووي مضاعف، ويستقر بداخلها ما يسمى (بالمورثات) التي يتم بواسطتها نقل صفات النوع إلى ذراريه ويستقر داخل النواة أيضاً نواة لها تسمى (بالنويَّة) بالإضافة إلى شبكة كروماتينية، وفي الخلية يكمن سر الحياة وخاصة في النواة حيث ترقد (الكروموسومات) أي (الصبغيات) التي تحدد الجنس وصفات النوع إلى الأجيال القادمة وفيها يكمن السر الإلهي، والخلية تسير في تطورها وفق برنامج إلٰهي وضعه فيها ومأمورة بتنفيذ الأوامر الإلٰهية في النمو والتكاثر والانقسام، وكأن الخلية مبرمجة بشيفرة معقدة ولا يعلم سر هذه الشيفرة إلا

---

(١) الميكرون: جزء من ألف من الملمتر.

(٢) قطر البويضة ٢٠٠ ميكرون.

اللّٰه الخالق، وهنا يكمن سر الخلق الذي اختصه اللّٰه لنفسه دون العالمين.

والخلية (البويضة) تنقسم بعد اللقاح من الذكر إلى ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ ٣٢ ـ ٦٤ ـ ١٣٢ ـ ٢٦٤ وتظل تتزايد في كل مراحل نمو الإنسان حتى يصبح في جسم الإنسان الكامل ألف مليار خلية[١]، ويشكل هذا العدد الهائل من الخلايا مجموع الأجهزة في الإنسان مثل الجهاز التنفسي ـ جهاز الهضم ـ الجهاز البولي ـ الجهاز التناسلي ـ الجهاز العصبي إلخ.

فالإنسان عبارة عن كتلة من الخلايا اتحدت لتؤلف هذا الجسد العجيب كانت البداية خلية واحدة وعند الاكتمال ألف مليار خلية.

ما البويضة؟

يعتبر المبيض المصنع الذي يكون بويضات المرأة وهذا المصنع يُبنى وتوضع فيه المواد الأولية وهي الخلايا التي ستكون منها البويضات ولكنه لا يفتح أبوابه للإنتاج حتى سن بلوغ الفتاة.

وفي داخل المبيض يوجد ما يقرب من ٤٠٠ ألف جريب (والجريب الواحد) كيس يشبه الجراب الصغير فيه خلايا صغيرة تحيط بالبيضة الأصلية التي تحمل صفات الأم.

والبويضة تنطلق من المبيض مرة واحدة كل شهر عبر البوق والنفير وهما قناة تصل ما بين الرحم والمنطقة القريبة من المبيض لتستقر في الرحم لمدة (٢٤ ساعة) وأما عملية تشكل البويضة وانطلاقها عبر القناة واستقرارها بعد التلقيح في الرحم فإنها عملية يكاد العقل البشري يقف عاجزاً أمام دقة الخلق الإلٰهي[٢].

الحيوان المنوي:

تعتبر الخصية هي المصنع الذي يُكَوَّنُ فيه الحيوانات المنوية أو النطف والحيوان المنوي هو عبارة عن رأس قذيفة موضوعة على خيط طويل (ذنب)

---

(١) يفوق وزن الإنسان المولود ثلاثة آلاف مليون مرة عما كان عليه عندما يرقد في الخلية الأولى.

(٢) راجع كتاب الطب محراب الإيمان ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٦.

ويبلغ طول الذنب عشرة أضعاف رأس القذيفة وفائدة الذنب هو مساعدة الحيوان المنوي على السباحة السريعة ورأس هذا الحيوان المنوي الذي سميناه بالقذيفة (يشبه الكمثرى) حتى أنه يتطاول ويأخذ شكلاً مدبباً، كما أنه مصفح من طرفه الأمامي حتى يستطيع بهذا أن يدخل البيضة بسرعة وفي هذه القذيفة يكمن السر الإلٰهي حيث جعل اللّٰه سبحانه وتعالى في الحيوان المنوي نصف المورثات أو الصبغيات **٢٣** كروموزوماً والنصف الآخر **٢٣** كروموزوماً في البويضة، فيكون المجموع **٤٦** كروموزوماً تحمل صفات الجنين الذي سينتج من لقاح الحيوان المنوي بالبويضة، وذلك كي يأخذ الجنين من صفات الأم كما يأخذ من صفات الأب تماماً إنصاف إلٰهي، والخصية لا تصنع حيواناً منوياً واحداً كي يلتحم بالبويضة ولكنها تصنع كما يقول الطب **٤٠٠** مليون حيوان منوي يخرجون جميعاً من قضيب الرجل يتجهون إلى لقاء البويضة والذي ينجح واحد فقط يلتحم مع البويضة ويموت الباقي، وحينما لا تجد هذه الحيوانات المنوية بويضة تنتظرها في اللقاء الجنسي بغير فترة الإخصاب تؤدي مهمتها وتموت بعد ثلاثة إلى أربعة أيام.

كيف يتم لقاء الحيوان المنوي والبويضة ويتم خلق الإنسان؟

قلنا: إن اللّٰه سبحانه وتعالى قسم المورثات **٢٣** كروموزوم في الحيوان المنوي و**٢٣** كروموزوماً في البويضة وكلاهما يكمل الآخر لذا ترى أن هناك شوقاً لأن يجد كل نصف نصفه الآخر، فالبويضة تفتح أبوابها لنصفها الآخر الذي تنتظره بفارغ الصبر، والحيوان المنوي يَجِدُّ في السير ليلتقي بنصفه الآخر ويطفئ لهيب الشوق ومنطقة اللقاء البوق، والحيوان المنوي يمكن أن يدخل كل يوم ولكن البويضة لا تتشكل إلا مرة واحدة كل شهر وهنا تكمن إرادة اللّٰه وعلمه فلو أن البويضة تنزل إلى البوق كل يوم لوقع الحمل الدائم المستمر بدون انقطاع وهذا يرهق جسد المرأة إرهاقاً كبيراً وذلك لأن العملية الجنسية قد تكون مطلوبة من الرجل والمرأة في كل يوم احتمال الحمل قائماً.

ويتم الإلقاح بأن يفرز الحيوان المنوي السبَّاق حينما يقترب من البويضة أنزيماً خاصاً يعتبر كرسول يخبر البويضة أن ها قد جئت فافتحي بابك فتبعث له إشارة من جدارها الخارجي أن اقترب وهو كما قلت مخروط الجذب فتتبارز منطقة صغيرة من الجدار الخارجي للبويضة فيقترب الحيوان المنوي

من هذا التبارز وإذا بالجدار ينفلق من جهته ويلجه الحيوان المنوي بقلنسوته المصفحة من جهة ثانية ويترك وراءه الذنب الطويل الذي ساعده في هذه الرحلة(١).

وتقترب النواتان وتندمج الصبغيات وتكتمل وإذا بالكروموسومات تتراكب على بعضها وتخلق إنساناً جديداً له صفات الأب والأم معاً فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين.

قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨]

يفرز الحيوان المنوي عند اقترابه من البويضة أنزيماً خاصاً لها فترسل له إشارة من جدارها الخارجي أن اقترب وإذا بالجدار ينغلق من جهته ويلجه الحيوان المنوي بقلنسوته المصفحة سبحان مسيرها ومسخرها وآمرها

هذا إيجاز شديد للطريقة التي يتم بها خلق الإنسان كما بينها لنا العلم الحديث بمعنى أن الإنسان وبتطوره العلمي استطاع أن يكتشف طريقة التخلق وربما هناك طرق أخرى للتخلق لم يكتشف الإنسان منها إلا واحدة، واليوم اكتشف العلم طريقة أخرى للخلق وسموه (الاستنساخ) الجيني وربما هناك طرق أخرى كثيرة للخلق لم يكتشفها الإنسان وربما لا يكتشفها أبداً، لكن اللّٰه سبحانه وتعالى اختار لنا الطريقة الأولى وارتضاها لأنها أفضل الخلق وأكرمه للإنسان ومسيرة حياته... ثم تتابع الآية الكريمة الحديث عن مراحل الخلق فيقول الحق تعالى:

(١) كتاب الطب محراب الإيمان ٦٤ ـ ٦٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

فكيف تتكون النطفة ثم العلقة ثم المضغة.. لنستمع إلى العلم الحديث في تفصيل هذا الأمر.

أولاً

النطفة: (الأسبوع الأول من التلقيح)

عندما يحدث الجماع فإن ملايين الحيوانات المنوية تقذف قريباً من فوهة الرحم لكن ليست كلها صالحة لتلقيح البويضة، لذلك يموت عدد كبير منها أثناء الرحلة ولا يصل منها إلا ٥٠٠ حيوان منوي فقط إلى الثلث الأخير من قناة الرحم (قناة فالوب). ومن هذه الدفعة لا يلقح البويضة إلا حيوان منوي واحد فقط يستطيع اختراق جدار البويضة وتتكون النطفة الأمشاج ثم تبدأ بالانقسام والتكاثر مباشرة.

إن التقاء الحيوان المنوي بالبويضة في الثلث الأخير من قناة الرحم هو شرط أساسي لكي تتم عملية التلقيح ولا يصلح أي مكان آخر من القناة، فعندما يخترق الحيوان المنوي جدار البويضة فإنها تغلق بابها وتبدأ بالتكاثر والانقسام والنمو، وفي أثناء طريقها إلى جوف الرحم تنقسم إلى خليتين بعد ثلاث ساعات، ثم إلى أربع خلايا بعد ٣٨ ساعة، ثم إلى ٨ خلايا بعد ٥٠ ساعة، ويطلق على هذه الخلايا (**الخلايا الأم الثمانية**) لأنها متشابهة في التركيب ومتساوية في الحجم. لكنها ما تلبث أن تبدأ بالانقسام والتمايز إلى **مجموعتين مختلفتين** عن بعضهما في التركيب والحجم:

المجموعة الأولى: كبيرة الحجم ومستقرة في مركز البويضة وُتكَوِّنُ فيما بعد المضغة المخلقة ثم الجنين بكامله، المجموعة الثانية: صغيرة الحجم ومستقرة في محيط البويضة وتكوّن فيما بعد المضغة غير المخلقة ثم المشيمة وهي المسؤولة عن تأمين الغذاء للجنين طيلة فترة الحمل وذلك عن

طريق العروق الدموية للأم وكذلك عن طرح الفضلات وتعليق الجنين وربطه بجدار الرحم.

في الصورة الأولى ينجح حيوان منوي واحد باختراق البويضة وفي الصورة الثانية وضع الحيوان المنوي والبويضة في مراحل اللقاء

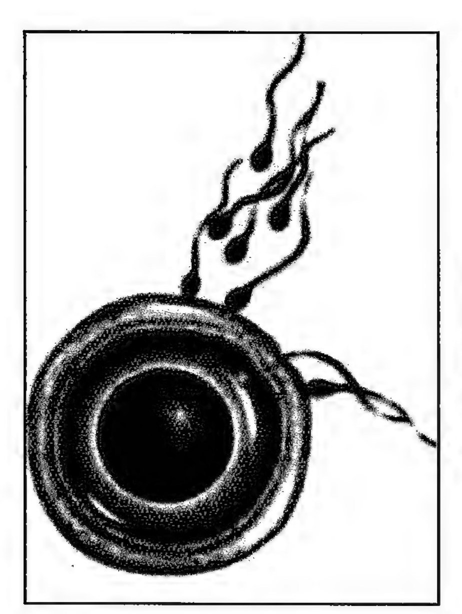

ثانياً

العلقة (من اليوم السابع وحتى الأسبوع الثالث)

عندما يصل انقسام الخلايا في البويضة إلى **٦٤** خلية عندها تأخذ البويضة شكل ثمرة التوت وذلك بعد **٥** أيام من التلقيح، ثم تعلق في جدار الرحم الخلفي فتصبح العلقة. وتبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة خطيرة لأن أي اضطراب يمكن أن يؤدي إلى إسقاط العلقة.

ثالثاً

المضغة (من أول الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع السابع)

تبدأ العلقة بظهور كتل بدنية منذ اليوم **٢١** وبذلك يبدأ تشكل المضغة المخلقة وقد سميت بالمضغة لأنها تشبه قطعة اللحم الممضوغة هذه المضغة تتميز بثلاث طبقات (خارجية ـ وسطى ـ وداخلية).

١ ـ طبقة خارجية ويغطي الجلد والجهاز العصبي والنسيج المخاطي للفم والشفتين واللثة وشبكة العين.

٢ ـ طبقة وسطى ويغطي الهيكل العظمي والعضلات والجهاز البولي والتناسلي والدم..

٣ ـ طبقة داخلية ويغطي الكبد والبنكرياس والجهاز الهضمي والتنفسي..

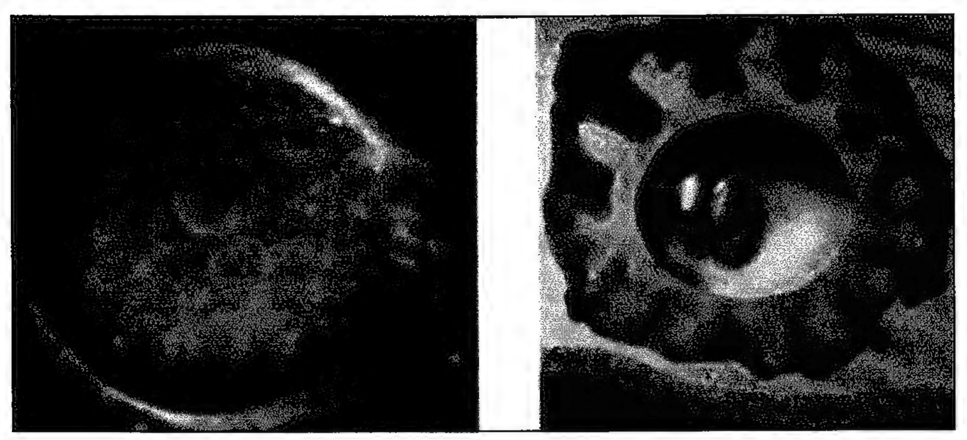

البيضة في بداية انقسامها وفي يسار الصورة الأسبوع الثاني للقاء البيضة مع الحيوان المنوي

رابعاً

تكوين العظام (يبدأ في الأسبوع السابع)

في هذه المرحلة يتحول قسم من الكتل البدنية للمضغة إلى أنسجة عظمية لتشكيل العمود الفقري والهيكل العظمي فيعطي شكلاً للجسم. فتظهر أول ملامح الإنسان في أول الأسبوع السابع أي بعد ٤٢ يوماً من اللقاح.

خامساً

تكوين الجسم (من الأسبوع الثامن)

في هذه المرحلة يتكون القسم الباقي من الكتل البدنية إلى عضلات تكسو العمود الفقري وعظام الأطراف.

سادساً

الشكل الإنساني (منذ الشهر الثالث وحتى الولادة)

وفي هذه المرحلة يأخذ الجنين الشكل الإنساني.

آيات إلٰهية أثناء الحمل:

١ ـ الحيوانات المنوية تدخل إلى بوق الرحم الذي يحتوي البويضة ولا تدخل إلى البوق الآخر الفارغ. وهذه معجزة.

٢ ـ عندما تلقح البويضة في الرحم فإنها تزداد نشاطاً وقوة فتصبح قادرة على الانقسام أما بقية الحيوانات المنوية فتموت في الطريق وإنه لولا هذا التزاوج لماتت البويضة خلال يوم واحد فقط، وبذلك نستنتج بأن حياة الأنثى مربوط بوجود حياة الذكر. إن حياة الحيوان المنوي داخل الرحم يستغرق من يومين إلى ثلاثة أيام أما خارج الرحم فلا يعيش سوى ساعات.

٣ ـ يبدأ الجنين بسماع الأصوات اعتباراً من الشهر الرابع حيث يسمع صوت أمه والأصوات الخارجية. ثم يكون جهاز البصر حيث يكتمل نمو الشبكية في الشهر السابع لذلك جاءت كلمة السمع قبل البصر في الآيات القرآنية.

٤ ـ في أول الشهر الرابع يبدأ الجنين بالحركة حيث يمص إصبعه ويمسك الحبل السري حيث يمكن التفريق بين الذكر والأنثى. وفي هذه الفترة تنفخ فيه الروح وما تبقى من الأشهر إنما تكون مرحلة نمو ونضج[١].

ما قدمت هو ما جاء به العلم المعاصر عن مراحل خلق الإنسان في رحم أمه.. وزيادة في المعرفة لنقرأ في كتب المفسرين للقرآن العظيم حول ما قالوه في هذه الآية الكريمة من سورة الحج:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

---

(١) د/ سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني.

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

يقول الفخر الرازي:

(المعاني) اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في إثبات الحشر والنشر وذمهم عليه فهو سبحانه وتعالى أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين: (أحدهما) الاستدلال بخلقه الحيوان أولاً وهو موافق لما أجمله في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

[سورة يس، الآية: ٧٩]

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥١]

فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا في خلقتكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أول مرة قادر على خلقكم ثانياً، ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر من مراتب الخلقة الأولى أموراً سبعة: (المرتبة الأولى) قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وفيه وجهان (أحدهما) إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب لقوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٩]

وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾.

[سورة طه، الآية: ٥٥]

(والثاني) أن خلقه الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية، والأغذية إما من حيوان أو نبات وغذاء الحيوان ينتهي قطعاً للتسلسل إلى النبات، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء، فصح قوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

(المرتبة الثانية) ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ والنطفة اسم للماء القليل أي ماء كان. وهو ههنا ماء الفحل فكأنه سبحانه وتعالى يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس ماء لطيفاً، مع أنه لا مناسبة بينهما البتة.

(المرتبة الثالثة) قوله ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقة قطعة الدم الجامدة، ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة (المرتبة الرابعة) قوله:

﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ فالمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة المسواة الملساء السالمة من النقصان والعيب، يقال خلق السواك والعواد إذا سواه وملسه ومن قولهم: صخرة خلقاء إذا كانت ملساء. ثم للمفسرين فيه أقوال (أحدها) أن يكون المراد من تمت فيه أحوال الخلق ومن لم تتم كأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين (أحدهما) تامة الصور والحواس والتخطيط.

(وثانيهما) الناقصة في هذه الأمور فبين أن بعد أن صيره مضغة منها ما خلقه إنساناً تاماً بلا نقص ومنها ما ليس كذلك وهذا قول قتادة والضحاك، فكأن اللّه سبحانه وتعالى يخلق المضغة متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو عكس ذلك فتبع ذلك التفاوت، تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم (وثانيها) المخلقة الولد الذي يخرج حياً وغير المخلقة أي غير المصورة وهو الذي يبقى لحماً من غير تخطيط وتشكيل.

(وثالثها) قال القفال: التخليق مأخوذ من الخلق فما تتابع عليه الأطوار وتوارد عليه الخلق بعد الخلق فذاك هو المخلق لتتابع الخلق عليه، قالوا: فما تم هو المخلق وما لم يتم فهو غير المخلق، لأنه لم يتوارد عليه التخليقات (والقول الأول أقرب) لأنه تعالى قال في أول الآية:

﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾ وأشار إلى الناس فيجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على من سيصير إنساناً وذلك يبعد في السقط لأنه قد يكون ساقطاً ولم يتكامل في الخلقة فإن قيل: هلا حملتم ذلك على السقط لأجل قوله:

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ وذلك كالدلالة على أن فيه ما لا يقره في الرحم وهو السقط، قلنا: إن ذلك لا يمنع من صحة ما ذكرنا في كون المضغة مخلقة وغير مخلقة. لأنه بعد أن تم خلق بعضهم ونقص خلق بعضهم لا يجب أن يتكامل ذلك بل فيه ما يقره اللّه في الرحم وفيه ما لا يقره، وإن كان قد أظهره في خلقه الإنسان فيكون من هذا الوجه قد دخل في السقط.

أما قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ ففيه وجهان (أحدهما) لنبين لكم أن تغيير المضغة إلى المخلقة هو باختيار الفاعل المختار، ولولاه لما صار بعضه مخلقاً وبعضه غير مخلق.

خلق الإنسان
من نفخ الروح إلى المخاض والولادة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يظهر على الجنين في نهاية الأسبوع الثامن خواص بشرية، فتكسى العظام بالعضلات التي يغطيها الجلد،

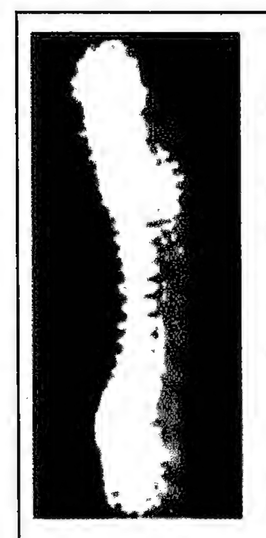

٢ - طور المضغة :

يكون الجنين في اليومين ٢٣ - ٢٤ في نهاية مرحلة العلقة انظر

(الشكل ٦ - ٣) ثم يتحول إلى مرحلة المضغة في اليومين ٢٥ - ٢٦ ويكون هذا التحول سريعاً جداً ، ويبدأ الجنين خلال آخر يوم أو يومين من مرحلة العلقة اتخاذ بعض خصائص المضغة ، فتأخذ الفلقات (Somites) في الظهور لتصبح معلماً بارزاً لهذا الطور .

الشكل ٦ - ٢ : صورة الجنين في نهاية مرحلة العلقة (العمر ٢٤ إلى ٢٥ يوماً) . ويمكن بسهولة تمييز ١٣ زوجاً من الفلقات . ويكون الجنين مستقيماً نسبياً ويشبه العلقة

البويضة في بداية انقسامها وفي الصورة الثانية
الأسبوع الثاني للقاء البويضة مع الحيوان المنوي

وتتميز بعد ذلك بشكل واضح كل أعضاء الجسم، وتبدأ بالعمل.

وتبدأ مرحلة النشأة في الأسبوع التاسع، ويكون معدل النمو بطيئاً حتى بداية الأسبوع الثاني عشر وحينئذ يدخل طوراً جديداً من النمو السريع والتغير الكبير.

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطور في الآية الكريمة:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٤]

تعريف المصطلح:

كلمة (نشأة) مشتقة من فعل (نشأ) ولها عدة معان منها:

١ ـ (بدأ)(١).

---

(١) لسان العرب ج١ ص١٧١.

٢ ـ (نما)[١].

٣ ـ (ارتفع، ربا)[٢].

وقد ورد عن علماء التفسير في هذه الآية المعنيان التاليان:

أ ـ تطور الجنين إلى مخلوق ناطق سميع بصير[٣].

ب ـ نفخ الروح في الجنين[٤].

وقد ورد حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ مع ﴿أَنشَأْنَهُ﴾ في الآية ليفيد أن مرحلة النشأة تأتي بعد مرحلة الكساء باللحم على التراخي في الزمن بصورة تدريجية.

وتبدأ مرحلة النشأة (المرحلة الجنينية) في الأسبوع التاسع، ولكن هذه المعاني كلها لا تبدأ في الوضوح إلا فيما بعد، كما أن نمو بعض الأعضاء يظهر في الأسبوع الحادي عشر. وتستمر مرحلة النشأة حتى نهاية الحمل أي: الأسبوع الثامن والثلاثين، ويشير القرآن الكريم إلى هذا التأخر بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾.

خصائص مرحلة النشأة

١ ـ التطور للأعضاء والأجهزة:

تتميز مرحلة الحمل ببداية تكون الأعضاء وظهورها، بينما تتسم مرحلة الجنين اللاحقة لها بتهيئة الأعضاء والأجهزة المختلفة للقيام بوظائفها.

وهذا هو المعنى الذي أشار إليه المفسرون (يصبح الإنسان كائناً ناطقاً سميعاً بصيراً)[٥].

---

(١) المعجم الوسيط ج٢ ص٩٢٠ الصحاح للجوهري ج١ ص٧٧.
(٢) لسان العرب ج١ ص١٧١، تاج العروس ج١ ص١٢٦.
(٣) البحر المحيط لأبي حيان ج٦ ص٣٩٨ ـ ٣٩٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣٨٦، روح المعاني للآلوسي ١٨ : ١٤.
(٤) تفسير القرطبي ج١٢ ص١٠٩، فتح القدير للشوكاني ج٣ ص٤٧٦، الجلالين ص٤٥٢، زاد المسير لابن الجوزي ج٥ ص٤٦٣.
(٥) الآلوسي: (روح المعاني) ج١٨ ص١٤.

وتعتبر نهاية طور كساء العظام باللحم الحد الفاصل بين مرحلتي الحمل والجنين.

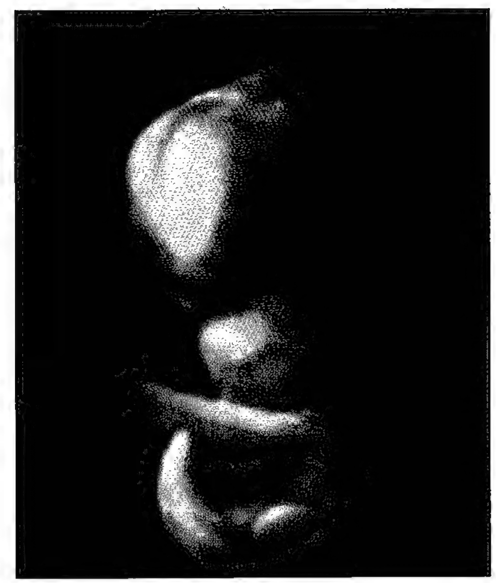
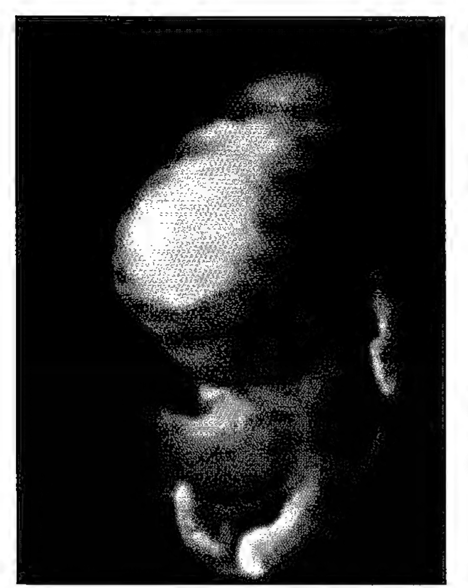

جنين في بطن أمه في الأسبوع الرابع وفي الأسبوع الخامس

ـ نفخ الروح :

قال تعالى :

﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ١٤]

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: حدثنا رسول اللّه ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:

(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)[١].

نشير إلى أنه تكون قبل ذلك حياة من نوع آخر أطلق عليها علماء المسلمين (الحياة النباتية).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٦، ح٢٦٤٣.

كما تدل النصوص الشرعية على أن الروح تغادر البدن وقت النوم وتعود إليه باليقظة. قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٢]

وقال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٦٠]

وكان رسول الله ﷺ يقول عند استيقاظه:

(الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)[١].

وعلى هذا يمكننا أن نعتبر ظاهرة النوم دليلاً على نفخ الروح في الجنين ودليلاً على وجودها (في أثناء النوم تحدث بعض الرؤى المنامية الصادقة التي تتحقق بعد رؤية النائم لها بفترة من الزمن وهذا دليل على أن النائم يمكن أن يرى شيئاً من المستقبل قبل وقوعه، ومن المؤكد أن جسم الإنسان لم ينتقل من مكانه ليرى ذلك الشيء، وهذا يدل على أن الروح هي التي رأت ذلك، وهي التي تعطي الإنسان إذا استيقظ الشعور بأنه كان في مكان بعيد ثم حضر لتوه، وأن الروح التي رأت الرؤيا هي نفسها التي تتذكرها في حالة اليقظة)، ولا بد من إجراء المزيد من الدراسات فيما يتعلق بنمو الأعصاب في الجنين، لتحديد وقت نمو أنماط النمو لديه، فلعل ذلك يكون محدداً لمرحلة نفخ الروح. كما أنه عندما يتمكن الجنين من التحرك إرادياً برغبة منه مقارنة بالحركة الانعكاسية غير الإرادية، يمكن اعتبار ذلك دليلاً على وجود الروح أيضاً.

---

(١) رواه البخاري انظر فتح الباري ١١: ١٣٠.

٣ ـ التغيرات في مقاييس الجسم، واكتساب الصورة الشخصية:

تحدث هذه العمليات كما هو مذكور في الآية التالية:

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾.

[سورة الانفطار، الآيتان: ٧ ـ ٨]

فالكلمة ﴿ فَسَوَّىٰكَ ﴾ في الآية الكريمة تعني جعل الشيء مستوياً ومستقيماً ومهيأ لأداء وظائفه، وتعني كلمة ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ تغير الشكل والهيئة لتكوين شيء محدداً[١] وتبدأ التسوية خلال طور العظام.

أما الحرف ﴿فَ﴾ قبل كلمة ﴿عَدَلَكَ﴾ فهو يشير إلى التسلسل المباشر.

ويكون المعنى بذلك: (وبعد ذلك عدل هيئتك) لأن عَدَلَكَ تبينها الآية التي تليها ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[٢].

وتتغير خلال مرحلة النشأة مقاييس الجسم، وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة.

فتنتقل الأذن على سبيل المثال من الرقبة إلى الرأس، وتتحرك العينان إلى مقدمة الوجه، ويصبح الطرفان السفليان أكثر طولاً مقارنة بالجسم.

ويشار إلى هذا بكلمة (تعديل) وتعني التقويم. (المعجم الوسيط٢ : ٥٨٨).

وتعني كلمة (صورة) في الآية الثانية (هيئة أو شكل). (المعجم الوسيط١ : ٥٢٨).

فالآية تعني إذاً عقب بدء عملية التسوية مباشرة يطرأ تغيير على الجنين، فيتخذ المقاييس الطبيعية (التعديل)، ويحدث اكتساب الصورة الشخصية (التصوير).

---

(١) تفسير أبي السعود (٩: ١٢١) بتصرف. وحاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص٤٩٩.
(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٣٠: ١٧٧.

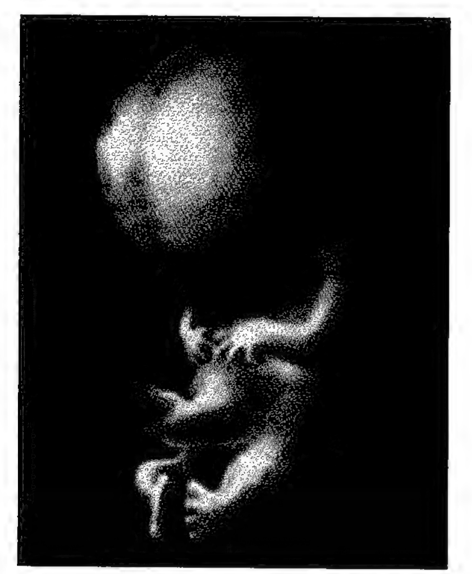

جنين في بطن أمه في الأسبوع السادس والأسبوع الثامن

٤ ـ تحديد الجنس:

ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي ثلاث خطوات تحدد نمو الخصائص الجنسية (التذكير والتأنيث).

وتحدث الخطوة الأولى:

في مرحلة النطفة (التقدير في النطفة).

أما الخطوة الثانية:

وهي تمايز غدتي التناسل على شكل خصيتين أو مبيضين، فإنها تحدث خلال مرحلة الكساء باللحم (في الأسبوع التاسع).

وتحدث الخطوة الثالثة:

وهي: تميز الأعضاء التناسلية الخارجية خلال مرحلة النشأة.

كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف الذي رواه مسلم عن حذيفة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اللّه إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك»(١).

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠٣٧ ح٢٦٤٥.

فالحديث يفيد أن الملك يستأذن اللَّه عز وجل في جعل الجنين ذكراً أم أنثى بعد خلق السمع والبصر واللحم والعظم والجلد، فيأذن اللَّه له بذلك.

وهذا يتحقق بخلق الأعضاء التناسلية الخارجية التي يتم بها التمييز النهائي للذكورة والأنوثة، وتكتمل أطوار تحديد الجنس، ويتم ذلك في الأسبوع الثاني عشر، وأن الأعضاء التناسلية الخارجية تكون متماثلة إلى الأسبوع التاسع.

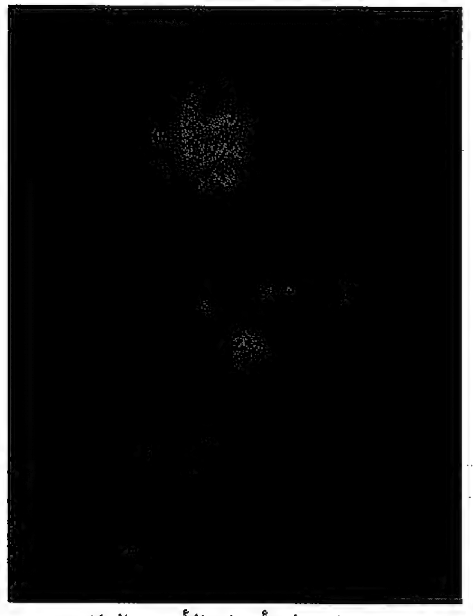
جنين في بطن أمه في الأسبوع العاشر

كما نلاحظ أنه يمكن التمييز بسهولة بين الأعضاء التناسلية الخارجية للجنسين في الأسبوع الثاني عشر، وتصعب قبل ذلك علماً بأن التطور الجنسي لمستقبل الجنين المتمثل في الغدد والأعضاء التناسلية الخارجية قد تحدد سلفاً وفقاً لجنس الكروموزوم. . . إلا أنه يحدث أحياناً أن الأعضاء التناسلية الخارجية تتطور في وضع مغاير للوضع الجيني السابق بالنسبة لتحديد نوع الجنس.

٥ ـ أطوار مرحلة النشأة:

وتشمل ما يلي:

١ ـ النشأة خلقاً آخر:

يبدأ هذا الطور في الأسبوع التاسع، ويستمر حتى الأسبوع الثاني والعشرين وتنضح في الجنين، الصفات التالية:

أ ـ النمو السريع:

والتطور الذي يتطابق مع معنى (النشأة) الذي تقدم.

فالجنين ينمو ببطء بعد طور اللحم (الأسبوع التاسع) مباشرة، وحتى الأسبوع الثاني عشر، ثم يتسارع النمو جداً.

ب ـ تغيير طبيعة الجنين وتطور أعضائه:

فالهيكل العظمي يتطور من العظام الغضروفية اللينة إلى عظام صلبة متكلسة، وفي الأسبوع الثاني عشر من الحمل تظهر مراكز التعظم في غالب العظام، وتتمايز الأطراف.

ومن الممكن رؤية الأظفار على الأصابع، وتتوازن أحجام الرأس والجسم والأطراف، ولا سيما بين الأسبوعين التاسع والثاني عشر.

ويظهر الشعر الزغبي على الجلد، الذي يتمايز في هذه المرحلة إلى بشرة وأدمة، ويزداد حجم الجنين بسرعة بصورة عامة، ويتم التمييز بين الأعضاء التناسلية الخارجية بصورة واضحة في الأسبوع الثاني عشر[١].

وتتطور العضلات الإرادية وغير الإرادية، ويُظهر الجنين في هذه المرحلة بعض الحركات العادية الذاتية، وبعض التقلصات العضلية الانعكاسية إذا ما نبهت بمنبه خارجي.

وبصورة عامة فإن التطور الوظيفي للجهاز العصبي يوازي تطور الدماغ والحبل الشوكي، وتظهر الحركات البدائية والغريزية كالمص والقبض بعد ذلك بفترة طويلة.

ومع ذلك فإن هذا الطور من مراحل التخلق يمثل مرحلة انتقال مهمة للجنين، حيث تظهر هذه الاستجابات الحركية المنسقة التي تتطور تدريجياً، وتكون أكثر شدة، وبالإضافة لذلك تحدث تطورات كثيرة ودقيقة في الجنين الذي انتقل من مرحلة خلقه الأولى حميل إلى مرحلة الجنين كما وصفه القرآن الكريم في قولـه تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾.

وفي نهاية هذا الطور تكون أعضاء الجنين قد اكتملت وأصبحت مؤهلة للقيام بوظائفها.

---

(١) التخلق البشري. كيث مور.

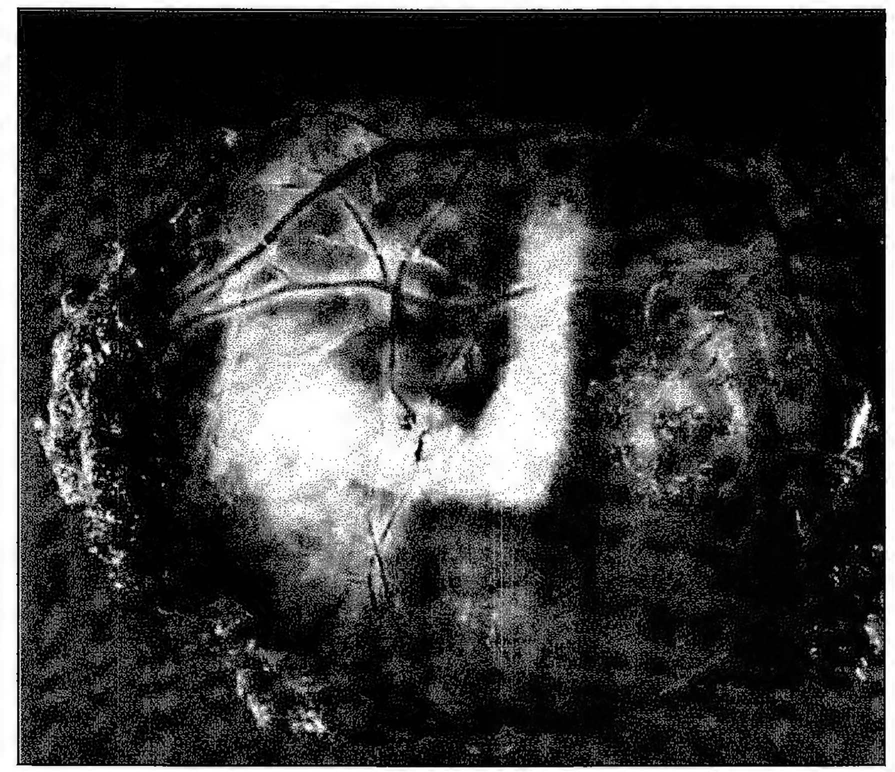

جنين محاط بالمشيمة داخل الرحم

ج ـ أقل مدة للحمل :

يصبح الجنين بعد مرحلة النشأة خلقاً آخر قادراً على الحياة أو البقاء خارج الرحم، عند تمام الشهر السادس من تخلقه، ويتفق هذا المعنى مع معاني الآيات القرآنية التالية :

قال تعالى :

﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَـٰلُهُ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ . [سورة الأحقاف، الآية: ١٥]

وقال تعالى :

﴿ وَفِصَـٰلُهُ فِى عَامَيْنِ ﴾ . [سورة لقمان، الآية: ١٤]

وقال تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٣٣]

فهي تدل على أن أدنى مدة للحمل هي ستة أشهر، وبهذا أفتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وأقره على ذلك الصحابة[١] رضوان اللّه عليهم أجمعين، وبه قال المفسرون.

٢ ـ الحضانة الرحمية:

لقد تبين من الآيات الثلاث السابقة أن أدنى مدة الحمل ستة أشهر، ولما كانت الولادة عادة تتم بعد تسعة أشهر فإنه يمكن اعتبار الأشهر الثلاثة الواقعة بين نهاية الحمل والولادة فترة حضانة رحمية، لأن الأشهر الستة كافية لخروج الإنسان ليبقى على قيد الحياة، وقد اعتبرها المفسرون أقل مدة ممكنة للحمل من خلال تلك الآيات. وقد أثبت العلم ما قرره المفسرون[٢] لاستحالة قدرة الجنين على التنفس قبل نهاية الأسبوع الرابع والعشرين نظراً لعدم اكتمال قدرته على ذلك ومن هذا يتبين ما يلي:

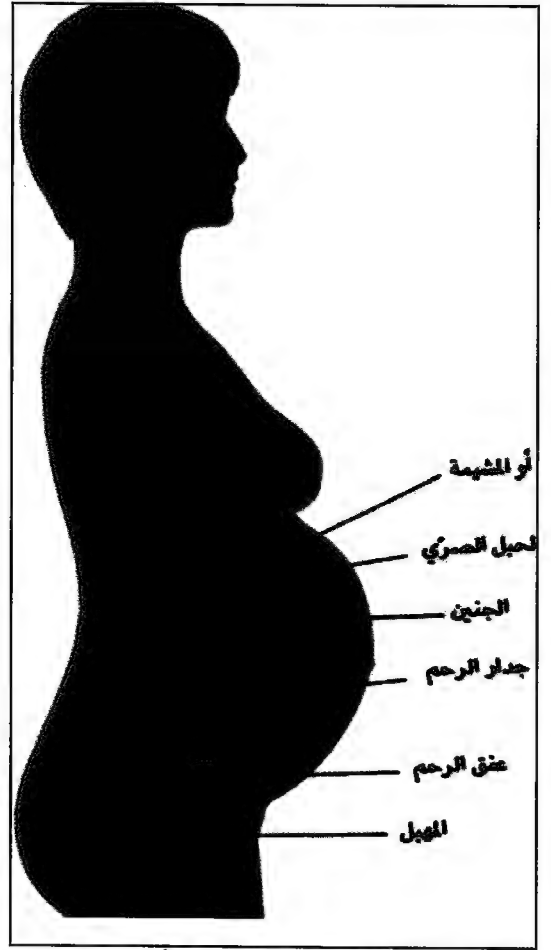

صورة تبين موقع الرحم والحمل عند المرأة وتبين الجنين ووضعه داخل هذا الرحم فسبحان من وضع هذا الجنين داخل هذا الرحم دون أن يؤثر على حياة المرأة وحركتها وعملها

أ ـ الدقة في تحديد أقل مدة للحمل، كما تشير إليها الآيات القرآنية.

ب ـ إمكان اعتبار مرحلة الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل مرحلة حضانة.

٣ ـ المخاض أو الولادة:

تنتهي الحضانة الرحمية بولادة الجنين، وقد ورد ذلك في الآية الكريمة:

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٧:٣٧٧، تفسير ابن كثير ٤:٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣:٧٠٨، البحر المحيط لأبي حيان ٨:٦٠.

قال تعالى:

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

[سورة عبس، الآية: ٢٠]

والتي من معانيها تيسير طريق الجنين لتيسير الولادة، حيث تبدو قناة الولادة في وضعها الطبيعي ممراً يصعب مرور الجنين منه، إلا أن عوامل كثيرة تسهل عملية الولادة.

واستناداً إلى المعلومات العلمية المتوفرة فإننا نعرف الآن الدور الذي تؤديه العوامل التالية:

أ ـ **هرمون ريلاكسين**: وهو هرمون يفرزه المبيضان والمشيمة، ويؤدي إلى تراخي أربطة مفاصل الحوض، وتليين عنق الرحم.

ب ـ **تقلصات الرحم**: وهي تبدأ في الجزء العلوي من الرحم، الذي يتكون من نسيج العضلات المتقلصة المتحركة النشطة، الذي يؤمن القوة اللازمة لدفع الوليد خلال الجزء السفلي الساكن الرقيق من الرحم.

ج ـ **أغشية السلى**: وهي عبارة عن كيس الماء الأمنيوني الذي يحيط بالجنين ويسهل انزلاقه.

وتبرز هذه الأغشية الممتلئة بالسائل المخاطي على شكل كيس مائي من خلال عنق الرحم مع كل تقلص من تقلصاته، وتعمل على تسهيل تمدده.

وتؤمن هذه الأغشية ـ بعد أن تتمزق ـ سطحاً لزجاً ناعماً ينزلق الجنين عليه[(١)].

آلية (هندسة) المخاض:

يتغير وضع الجنين عند مروره عبر تجويف الحوض الذي له شكل غير منتظم، وهذه التغيرات التي تطرأ على الوضع العكسي، هي على سبيل المثال، النزول والانثناء الداخلي والتمدد، واسترجاع الوضع الطبيعي، والدوران الخارجي، وتساهم العناصر المذكورة آنفاً بسبل شتى في تسهيل مرور الجنين عبر قناة الولادة، وصدق الله القائل: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

---

(١) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة: هيئة الإعجاز العلمي بمقر رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرَّمة).

الخلاصة :

ومما تقدم يتضح أن كلمة ﴿أَنشَأْنَاهُ﴾ بحسب استعمالها في القرآن الكريم تشمل أوضح التطورات والتغيرات الخارجية والداخلية في الملامح خلال المرحلة السادسة من التخلق البشري .

وتنطبق المعاني الثلاثة لكلمة (نشأة) بشكل بَيِّنٍ ومفهوم على هذه المرحلة .

فما ورد بمعنى (بدأ) فإنه يصف لنا بداية عمل الأعضاء والأجهزة المختلفة حيث نجد أن الكلْية قد بدأت في تكوين البول، وبدأ مخ العظام في تكوين خلايا الدم، وتبدأ حويصلات الشعر في الظهور في الأسبوع العاشر، وما إلى ذلك . . .

وأما معنى (نما) فإنه يبين النمو السريع والتطور الشامل في أعضاء وأجهزة الجسم خلال هذه المرحلة .

وأما المعنى (ارتفع، وربا) فإنه يصف تلك الزيادة الواضحة والسريعة جداً في طول الجنين ووزنه، والتي تبدأ في الأسبوع الثاني عشر . . .

ولذا فإن مصطلح (نشأة) ينطبق بصورة دقيقة ومناسبة للغاية في وصف مرحلة الجنين .

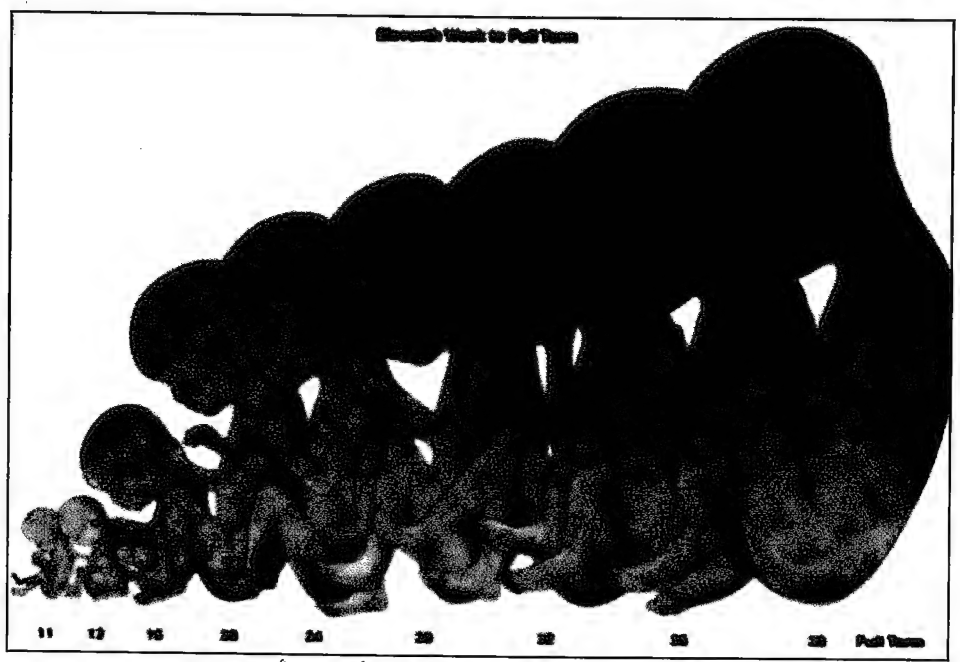

صورة تبين مراحل تخلق الجنين داخل رحم أمه من الأسبوع ١١
إلى الأسبوع ٣٨ عند الولادة . . ﴿هذا خلق الله أروني ماذا خلق الذين من دونه﴾

الترابط بين الشواهد القرآنية فيما يتصل بالمراحل الرئيسة للتخلق البشري

المراحل	سورة المؤمنون (١٣ ـ ١٤)	سورة القيامة (٣٧ ـ ٣٩)	سورة الانفطار (٧ ـ ٨)
(١) النطفة	ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ	أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى	
(٢) العلقة	ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً	ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً	
(٣) المضغة	فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً	فَخَلَقَ	الَّذِي خَلَقَكَ
(٤) العظام	فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا	فَسَوَّى	فَسَوَّاكَ
(٥) اللحم	فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا	فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى	فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ
(٦) النشأة	ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ		

الفصل الثاني

- آيات اللَّه في جسد الإنسان.
- مدخل.
- ماذا قدَّم العلم في اكتشاف آيات الإنسان
  وسر هذا الجسد الإنساني؟
- معجزة الإنسان في الخلية الأولى (النطفة).
- جسد الإنسان وحواسه وأعضاؤه.
- جلد الجسد.
- عظام الجسد.
- الجهاز العضلي في الجسد.
- المخ (الدماغ في الجسد)
- النخاع في الجسد.
- الأعصاب في الجسد.
- الحواس في الجسد.
- السمع والبصر في الجسد.
- السمع في الجسد وجهازه الأذن.
- البصر في الجسد وجهازه العين.
- الجهاز الهضمي في الجسد والغذاء.
- القلب في الجسد.
- الدم في الجسد.
- الجهاز التنفسي في الجسد.
- الجهاز البولي في الجسد (الكليتان).
- اللسان ـ الشفتان ـ الأنف.
- قراءة رقمية في جسد الإنسان.
- أرقام مذهلة في جسد الإنسان.
- رحلة مع بعض الاكتشافات التشريحية للجسد.

آيات معجزات في جسد الإنسان تبهر العقول والألباب:

- أجراس الإنذار المبكر في الجسم البشري.
- الجلد ـ خط الدفاع الأول عن الجسم.
- جهاز التكييف والتبريد في جسم الإنسان.
- جهاز التعرق عند الإنسان.
- الأسنان شجرة تنبت بلا نواة.
- إعجاز الجهاز البولي في الجسد.
- من أسرار الجسد.
- الحليمات الذوقية في اللسان.
- الذاكرة.
- اختلاف ألوان البشر.
- الشفاء الذاتي.
- الجديد في بحوث الطب البشري.
- الجديد في بحوث الخلايا الجذعية.
- بدء استعمال الخلايا الجذعية في علاج أمراض القلب.
- تناول الأسماك يؤخر تأثير تقدم العمر على المخ.
- على طريقة جينات الزواحف.
- مشروع علمي لإعادة نمو الأطراف المبتورة لدى الإنسان.
- السمك ضروري لاكتمال نمو دماغ الجنين والحفاظ على ذاكرة المسنين.
- هرمون للتحكم بالبشر يثير الجدل.
- دراسة لفهم مقاومة جهاز المناعة للأمراض.
- مقل العين يكشف لغز الكرة الأرضية.
- لغة الخلايا مفتاح العلاج.. والعلماء يسترقون السمع.
- اكتشاف الجين المسؤول عن لون البشر.

آيات اللّه في جسد الإنسان

مدخل

لقد جعل اللّه سبحانه وتعالى الجسد المادة الملموسة لدى الإنسان وجعل الروح والنفس في علمه، وقد جعل اللّه سبحانه وتعالى في الجسد آيات معجزات لا ينتهي عدُّها واكتشافها ولن ينتهي، ولم تتوضح آيات الجسد عبر تاريخ الإنسان الطويل، إلا مع إشراقة القرن العشرين حيث بدأ الطب الإنساني يتطور تباعاً يساعده في تقدمه تصنيع الأدوات الطبية والآلات والأجهزة التصويرية والتحليلية، وقدم العلم خدمات جليلة لعموم البشر على الأرض ضمن الاستطاعة الإنسانية.

وإذا قارنّا ما بين إنسان القرن العشرين بأسلافه من القرون الماضية القريبة والبعيدة نجد أن إنسان اليوم أصبح أكثر علماً وتفهماً لحقيقة وجوده نفساً وجسداً.

وحينما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ كانت البشرية تعيش جهلاً علمياً واسع المدى في جميع المستويات، فالجسد الذي بات مفهوماً لدينا في أكثر جوانبه بواسطة علم التشريح الحديث لم يكونوا يعلمون عنه شيئاً سوى أنه حقيقة أمام أعينهم لا يدركون إعجاز خلقه وعمله وحياته، حتى إن قضية البعث بعد الموت لم تكن بالنسبة إليهم أكثر من أوهام تصورها بعضهم.

لذلك لما نزل القرآن الكريم متحدثاً في جميع مناهج الحياة التشريعية والإيمانية والعلمية والطبية، اعترف الجميع أن هذا منهج لم تعرفه البشرية من قبل، مما يدل على تفرد القرآن الكريم في المنهج والعرض وفي جميع المجالات العلمية والفكرية وبسط الشؤون الإنسانية بجميع جوانبها.

والقرآن الكريم خاطب أولاً (العقل) صفة الإنسان المتفردة عن باقي

الخلائق ليحصل منه على الإقرار بالألوهية وإعلان الإيمان الذي هو الطريق والمدخل إلى كامل قضايا الإنسان وعلومه والكون المحيط به.

ولم يكن أول القرآن الكريم نزولاً إلا خطاباً علمياً وثقافياً وحضارياً فكانت كلمة (اقرأ) أول إعلان وإعلام من اللّه سبحانه وتعالى لمحاربة الجهل والتخلف وإيقاظ العقل الغافل عن حقيقة الوجود وحقيقة الخالق وعلمه وقدرته وتفرده بالألوهية في هذا الكون الفسيح.

وتتالت الآيات نزولاً حرباً على الجهل ويقظة للعقل وبدأت المحاكاة الفكرية التي لم يعهدها الجاهليون من قبل، فخاطب اللّه سبحانه وتعالى الإنسان بصفته مكلفاً ومسؤولاً ومدركاً لما وهبه اللّه سبحانه وتعالى من عقل وقدرة على الفهم والاستيعاب والعلم يقول تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ١٧]

وحينما بدأت العقول تتنبه شيئاً فشيئاً إلى الحقائق التي كانوا يغفلون عنها بدأ القرآن الكريم بالتخصص في تقريب العقول من واقع الوجود والحياة ليزدادوا علماً ومعرفة. قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٩]

ولما تعمق الإيمان في النفوس بدأ التنافس في مجال العلوم وبدأ الكثير يتمنى أن يكون من أهل الدرجات العليا عند اللّه سبحانه وتعالى ومما دفع

المسلمين إلى النهل من جميع العلوم وصية رسول الله ﷺ للمسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)(١).

لذلك برع المسلمون في العصر العباسي وعلى امتداد خمسة قرون ونيف في كافة العلوم دون حصر وأشبعوا جسد الإنسان دراسة وتشريحاً معتمدين على ما قدمه القرآن الكريم وسيدنا محمد ﷺ في علوم النفس الإنسانية والجسد الإنساني.

ولمعت أسماء عربية وإسلامية في مجال الطب الإنساني في مشارق الأرض ومغاربها أمثال ابن سينا ـ وابن النفيس وغيرهما كثير.

ورغم المحاولات الجادة من علماء المسلمين في العصور الفائتة لمعرفة الجسد الإنساني معرفة كاملة إلا أنهم لم يتملكوا هذا الجسد طبياً وتشريحاً لأسباب كثيرة.

أولها عدم توفر الأدوات والتجهيزات التي تساعد في دراسة هذا الجسد الإنساني، ولكن لما أراد الله سبحانه وتعالى أن تعرف البشرية بعض سر هذا الجسد هيأ للبشرية ما يساعدهم ويخدمهم في معرفة الجسد فكانت أحدث الآلات والأجهزة الدقيقة في دراسة الإنسان، وفي هذا التطور العلمي والتكنولوجي تحققت الآية القرآنية ووفى الله سبحانه وتعالى ما وعد به.

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

والجسد الإنساني اليوم أصبح معروفاً فوق منضدة التشريح وباتت معظم أجزائه في علم التشريح واضحة جلية، ووصلوا إلى الخلية الواحدة التي هي أساس الخلق البشري، وعلموا عن أسرار الجسد وعمله الشيء الكثير ووقفوا حيارى أمام هذا الإعجاز الإلهي العظيم، وعلى الرغم من هذا التطور العلمي المذهل وهذه الاكتشافات الهائلة في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء

---

(١) رواه مسلم

وعلم الخلية، وعلم الأجنة، لم يصلوا بعد إلا إلى جزء بسيط من هذا العلم الكبير وخاصة الدماغ وتشريح الجهاز العصبي المركزي ووظائفه وعمله الذي يفوق التصور العقلي.

ومع ذلك فإنهم وصلوا إلى الكثير وهذا الكثير أَهَّـلَهم أن يقولوا: إن علم التشريح الجسدي أصبح واضحاً ومن الممكن جداً أن نصل تباعاً إلى معرفة أكثر أسراره الدفينة ومعرفة طريق وسر الخلق ولكن (دون خلق) لأن هذا حتماً سيبقى في علم اللَّه سبحانه وتعالى.

إذاً فاللَّه سبحانه وتعالى وعد أنه سيريهم آياته (معجزاته) في أنفسهم (أجسادهم) ليعلموا أن هذا الجسد (الإنسان) لا يمكن أن يكون قد جاء من الطبيعة العمياء ثم يذهب سدى بل هو خلق الخالق الإلٰه الواحد، فالعلم طريق الإيمان وكلما زادت البشرية في علومها ومعرفتها زادت معرفتها بقدرة الخالق القادر.

فأنا أرى الإنسان وأعلم أنه آية من آيات اللَّه ولكن ما يزيد في إيماني بقدرة اللَّه الواحد، العلم الذي هو طريق الإيمان فكلما زادت البشرية في علومها ومعرفتها زادت معرفتها بقدرة الخالق القادر.

وكلما زادت معرفتها بهذا الجسد كيف خلق وكيف يعمل ولماذا يموت؟ ازدادت في إيمانها فالعلم اليوم هو بمثابة رسالة سماوية لأهل الأرض وجهها اللَّه سبحانه وتعالى بوعده ﴿سَنُرِيهِمْ﴾.

ماذا قدم العلم في اكتشاف آيات الإنسان وسر هذا الجسد الإنساني؟

شرائط الحمض الأميني (DNA):

إن جسم الإنسان يتألف من ألف مليار خلية وكل خلية تتألف من نواة داخلها، وكل نواة تحتوي على شريط الحامض الأميني النووي (DNA) وهو ملفوف بشكل لولبي ويحمل الثروة الوراثية للإنسان والمؤلفة من مواد كيماوية.

ويقدر العلماء أنه لو فردت جميع الشرائط التابعة لجسم إنسان واحد

بشكل خط مستقيم لبلغ طولها ١٥٠ مليون كلم أي المسافة بين الأرض والشمس، كما قدَّر بعض العلماء أن الشرائط التابعة للإنسانية جمعاء، يمكن احتواؤها داخل مكعب حجمه سنتيمتر مكعب فقط.

ويقول بعض العلماء: إن هذا الشريط في الخلية الواحدة عند الإنسان يتألف من ١٠٠ مليون حلقة تحوي ١٠٠ مليار خلية، أي ما يعادل ربع النجوم في مجرتنا (درب التبانة) حيث أثبت العلم اليوم بواسطة التلسكوب هايل أن عدد نجوم مجرة درب التبانة بحدود ٤٠٠ مليار نجم عدا الكواكب(١).

ويتألف هذا الشريط من ٢٣ صبغية منها ٢٢ صبغية عادية وصبغية جنسية (X) و(Y)، كل صبغية طولها جزء من المليون من المليمتر الواحد وتحمل حوالي ١٥٠٠٠ مورثة (GENES) وهي التي تعطي الخصائص لكل إنسان مثل لون الشعر والجلد والعيون والطول وفصيلة الدم والأمراض الوراثية وغيرها.

لقد قدم العلم الحديث للبشرية قاطبة اكتشافات رائعة في علم جسد الإنسان وسيبقى العالم كله يشهد لهذا القرن فضلاً عظيماً بما قدمه لخير الإنسانية من معرفة وعلوم وإذا كنا نريد أن نتحدث عن علم هذا الجسد وإظهار قدرة اللَّه سبحانه وتعالى في صبغة هذا الجسد فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن بداية كل مكتشف، بل سنضطر للوفاء بالطرح العلمي عن البنية التشريحية والوظيفية لجسد الإنسان أن نتكلم أولاً عن الخلية (النطفة) رغم أنها ليست أول الاكتشافات العلمية في علم التشريح لجسد الإنسان ولكن لسلامة التسلسل الخلقي لا بد من الانطلاق من الخلية الحية أولاً وبيان قدرة اللَّه سبحانه وتعالى في خلقها ثم ننتقل إلى باقي أجزاء الجسد تباعاً، لنعيش في رحاب خلق اللَّه سبحانه وتعالى ولقد اخترت كتابين ليكونا لي عوناً في تقديم العون والمعرفة لجسم الإنسان الأول كتاب (جسم الإنسان) تأليف (مارتن كين) والثاني كتاب (الطب محراب الإيمان) للدكتور خالص جلبي ثم

---

(١) راجع الجزء الأول والثاني من الموسوعة الكونية الكبرى ففيها تفصيل دقيق عن علم المجرات والنجوم والكواكب وأحدث المستجدات العلمية.

قمت بالمقارنة بين العلم وكتاب اللَّه سبحانه وتعالى لنكون على بصيرة وهدى مع قدرة اللَّه سبحانه وتعالى في عموم خلقه وأخصه هذا الإنسان (المعجز) علاوة على ذلك فضلت إخراج هذه الفقرة تحت إشراف طبي من قبل الدكتور (غانم الجمالي) ليكون التحقيق العلمي على درجة أفضل، والكمال من عند اللَّه وحده.

وليس المقصود من هذا الفصل من الكتاب علم التشريح والطب ولكن ما يعنينا هو بيان قدرة اللَّه وكيف تحدث القرآن الكريم عن بناء هذا الجسد الإنساني، وكيف حفظ اللَّه هذه الأجساد خلال عصور طويلة لم يكن للطب والعلم دور مهم في حفظ هذه الأجسام البشرية، وفضلت قبل أن أبدأ الكلام عن (الخلية) أن أتحدث قليلاً عن الهندسة الوراثية وكيف يحدث الحمل وتتكون أول خلية في الإنسان.

وفي الفقرة التالية نتناول أعضاء الجسم المحسوسة والمرئية لنرى إعجاز اللَّه في خلقه للإنسان وليكون العلم شاهداً على قدرة اللَّه الخالق القادر.

من الخلية الحية الأولى (النطفة) والتي تنقسم تباعاً بعد التحامها بالحيوان المنوي يتم خلق هذا الإنسان الذي سخر اللَّه له ما في السموات والأرض

وبعد أن تحدثنا عن الخلية والكرموزمات والصبغيات والنواة والحيوان المنوي والبويضة كمقدمات نتناول في الفقرة التالية أعضاء الجسد المحسوسة والمرئية وغير المرئية لنرى إعجاز اللَّه في خلقه للإنسان وليكون العلم شاهداً على قدرة الخالقِ القادر.

معجزة الإنسان في الخلية الأولى (النطفة)

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

كثيرة هي الآيات الكريمة التي تؤكد وتبين أن الإنسان خلق من المادة الأولى وهي التراب ذلك أن الأرض وترابها مخلوقة منذ (٤,٥) أربعة مليارات سنة ونصف وعمر الإنسان على الأرض لا يتجاوز ـ والعلم عند اللّه ـ بضع عشرات من آلاف السنين فاللّه سبحانه وتعالى أخذ من تراب الأرض وخلق منه الخلية الإنسانية الأولى التي منها كان آدم عليه السلام.

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾.

فالنطفة هي اللبنة الأولى في خلق الإنسان وهي التي يقابلها في العلم (الخلية) فالنطفة والخلية شيء واحد.

والإعجاز الإلٰهي في خلق الإنسان من هذه النطفة الأولى.. وعقلاً أن اللّه سبحانه وتعالى صور الإنسان بتمامه وإنه سيكون من مجموعة هائلة من الخلايا (تقدر بآلاف المليارات) فالدماغ الموجود في رأس الإنسان قدَّر العلماء أنه مكون من ٢٤ مليار خلية وقس على ذلك باقي أعضاء الجسد فالأعداد هائلة.. والأصل هو الخلية الأولى التي نتجت من الحيوان المنوي للرجل والبويضة في الأنثى ثم تنقسم هذه الخلية إلى اثنتين وإلى أربع وإلى ثمان وإلى ست عشرة وهكذا حتى تكون علقة ثم تتضاعف حتى تصبح مضغة ثم يقر اللّه في الأرحام ما يشاء ويصورهم كيف يشاء.

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٦]

﴿هو الذي يصوركم في الأرحام
كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾

فإعجاز خلق الإنسان ليس في مرحلة دونما مرحلة فكل مرحلة خلق هي إعجاز إلهي عظيم وبرهان على قدرة اللَّه سبحانه وتعالى.. وطالما أن اللَّه سبحانه وتعالى حدد مراحل خلق الإنسان في آيات قرآنية كريمة فهذا يعني أن كل مرحلة إعجاز منفصل أو قل مرحلة عالم قائم بذاته فما هي هذه المراحل وكيف هي وجوه الإعجاز في كل مرحلة من المراحل؟

ففي الآية من سورة الحج:

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

وفي سورة المؤمنون يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

المرحلة الأولى: التراب..

المرحلة الثانية: النطفة.

المرحلة الثالثة: العلقة.

المرحلة الرابعة: المضغة.

المرحلة الخامسة: العظام.

المرحلة السادسة: كسو العظام لحماً.

المرحلة السابعة: ثم أنشأناه خلقاً أخر.

... الإنسان يرى نفسه ويرى الآخرين ومع مرور الزمن يألف من حوله ويألفه من حوله ولا ينظر إلى غيره نظرة إعجاز خلقي طالما عينه ألفته.. أما كيف خلق؟ وكيف هو يعيش؟ وكيف يعمل جسده؟ وماذا بداخل هذا الجسد من قلب ورئتين وقفص صدري وكبد وطحال وعروق ودم وأعصاب ودماغ... إلخ؟ فهذا ما لا يعرفه ولا يراه.

لذلك سأل اللَّه سبحانه وتعالى الإنسان أن ينظر إلى نفسه أو غيره فيعتبر وينظر قدرة اللَّه سبحانه وتعالى. قال تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

فاللَّه سبحانه وتعالى أعلم بخلق الإنسان وكيف خلق.. فالإنسان خلقه من تراب، والإعجاز في تحويل هذا التراب لتلك النطفة التي جعلها اللَّه سبحانه وتعالى النواة الأولى لخلق الإنسان... فالخلية الأولى هي المحور... وهي محل دراسة العلماء منذ أمد بعيد ولا شك أن الإنسان وصل إلى مراحل متقدمة في هذا العلم... فالخلية الأولى هي الإعجاز الأول.. ولكن في هذه الخلية معجزات أخرى كثيرة وهي الأوامر الإلٰهية

لتلك الخلية في أن تبني هذا الإنسان ليس في رحم أمه فقط ولكن فيما بعد خروجه من رحم أمه. إذ الأوامر مستمرة في نشأة هذا الوليد.. فالأوامر الإلٰهية في الخلية الأولى لا تزال تعمل في بناء هذا الوليد طولاً ووزناً.. يولد الإنسان وهو يسمع ولكنه لا يرى. يولد الإنسان ولسانه يتحرك وكذلك فمه ليأخذ منهما الطعام من أمه.. ثم يبدأ نظره بالعمل رويداً رويداً وكذلك باقي جسده بما فيه من أعضاء فالإعجاز كيف عملت هذه الخلية الأولى وانقسمت وكأن لها عقلاً وفكراً.. في الخلية الأولى وضع اللّه السر.. كل الأوامر وضعت فيها برمجت وشفرت بتوقيت دقيق وساعة حساسة دقيقة.. عمر الوليد في بطن أمه ستة أشهر في كل يوم منها أوامر في بناء هذا الجسد فلا تنقسم الخلية إلى ثمان خلايا دفعة واحدة فالأمر لها أن تنقسم إلى اثنتين ثم أربع ثم ثمان لا تحيد أبداً وضمن توقيت لا تحيد عنه فالمضغة لا تتكون إلا بعد العلقة ثم تتوجه الخلايا إلى العمل فمنها من يذهب لتكوين العظام ومنها للعضلات ومنها للأعصاب ومنها للأوردة ومنها للدماغ ومنها للشعر ومنها أنثوية ومنها ذكرية ومنها ومنها.

ويبقى الإعجاز في الخلية الأولى وتصوير الإنسان من خلالها وإلا على أي أساس تنمو تلك الخلية... فكيف وضع تصور آدم بكامل عقله وجسده بهذا التنسيق المتكامل ثم أعطيت الأوامر للخلية بالنمو حتى تصبح هذا الإنسان (آدم) فآدم أولاً ثم الخلية ثانية وهنا يكمن الإعجاز الإلٰهي العظيم في خلق الإنسان في تصوير آدم ثم خلق الخلية الأولى التي تكون آدم فيما بعد سبحان اللّه وآدم ليس جسداً فحسب بل نفس تحمل الحب والكره، والغضب والحلم، والحزن والفرح، والطاعة والعصيان، والفجور والتقوى، والغيرة والحسد والبغض والكرم والرضا والرفض، والشهامة والنذالة والجبن والشجاعة إلخ من الصفات الإنسانية التي بدونها الإنسان يبقى جسداً مثل باقي الدواب.. كل هذا وضع في الخلية الأولى.. فقضية خلق الإنسان من هذه الخلية الأولى قضية عظيمة لذلك توجه اللّه سبحانه وتعالى إلى الملائكة عند خلقه الإنسان وقال لهم:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩]

ولولا أن الإنسان كريم وخلقه عظيم ويعلم اللَّه سبحانه وتعالى أن فيه من الصفات المخلوقة ما يؤهله أن تسجد له الملائكة سجود تحية وإكرام لما أمرهم اللَّه سبحانه وتعالى بذلك فقد خلق اللَّه سبحانه وتعالى قبله خلقاً كثيراً كالحيوانات العملاقة والديناصورات وغيرها كثير وهي أكبر حجماً وأقوى جسداً ولكنها لم تكرم من اللَّه وبقيت ضمن حيوانيتها.

ويبقى السؤال هل الإنسان في تكوينه يشبه الحيوان ـ فالحيوان أيضاً خلق من الخلية الأولى (النطفة) ووضع اللَّه فيها سر خلق الديناصورات والحيوانات الأخرى أليس فيها ذات الإعجاز. . نعم جداً ربما ذات الإعجاز ولكن ما يميز هذا الإنسان هو العقل الذي حوله إلى مخلوق عاقل مكلف من اللَّه وهذه الأحاسيس النابعة من صميم التكوين الإلٰهي ـ فالحب والكراهية والشهامة والمروءة والنبل والعفو والصفح وصفات كثيرة لا تجدها عند الحيوان فللإنسان عقل وفكر عبد اللَّه سبحانه وتعالى من خلالهما فاستحق خلافة الأرض وتسخير السماوات والأرض له.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

واستحق أمراً عظيماً آخر وهو تسخير السماوات والأرض له وأمراً كبيراً آخر وهو سجود الملائكة له.

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وعن سجود الملائكة لآدم يقول تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠]

نستنتج من هذا أن عظمة الخلية الحية الأولى للإنسان تختلف عن خلق الخلية الحية الأولى لأي حيوان رغم تعددها وكثرتها وهي بملايين الأنواع بينما الإنسان نوع واحد.. ولكن هذا النوع اصطفاه اللَّه سبحانه وتعالى.. فكانت الخلية الحية الأولى للإنسان تستحق التكريم لأن فيها خلق آدم عليه السلام.

فالإعجاز واقع في تلك الخلية الحية الأولى (النطفة) التي أودع اللَّه سبحانه وتعالى فيها سر الإنسان وسر خلقه وخلق عقله.. نعم العقل الذي انبثق من الخلية الحية الأولى والتي أعطى اللَّه سبحانه وتعالى الأمر إليها أن تبني في إحدى مراحلها هذا العقل الإنساني الذي استطاع من خلاله احتواء الكون وامتلاك أكبر العواطف.

واستطاع الإنسان بهذا العقل الذي انبثق من الخلية الأولى أن يعمر الكرة الأرضية ويصعد إلى الفضاء ويرسل رسائل إلى العالم الخارجي لعلَّ أحد الساكنين في هذا الكون العظيم يجيب عن رسائله المرسلة. لقد وصل الإنسان بهذا العقل إلى كوكب المريخ والمشتري وزحل وكل أفراد المجموعة الشمسية وفي عام ١٩٩٥ أرسل سفينة فضائية خارج حدود المجموعة الشمسية.. فالطائر أو قل أعظم الطيور حجماً وقدرة على الطيران وعبر ملايين السنين لم يستطع أن يتجاوز الغلاف الأرضي أو الطبقة الأولى من الغلاف الجوي الأتموسفير فهو مدفوع بغريزته يتصرف فيها في جو السماء بينما الإنسان يملك قدرات يتطور من خلالها.. فأي حيوان لم يتطور في يوم على ما هو عليه مخلوق ومجبول فالنمل والنحل مثلاً لهما حياتهما الخاصة وطرق معيشية لم تتبدل من ملايين السنين بينما الإنسان تتبدل أحواله سنة بعد أخرى وفي كل عام جديد من الاختراعات والتصميمات والاكتشافات.. واللَّه سبحانه وتعالى يعلم هذا ويعلم أن الإنسان سيتطور دائماً بفضل هذا العقل الذي خلقه له وأودعه في رأسه.

جسد الإنسان وحواسه وأعضاؤه

جلد الجسد:

يحتوي جلد الإنسان على خمسة ملايين جهاز حساس للألم و٢٠٠ ألف جهاز حساس للحر و٥٠٠ ألف جهاز حساس للحس والضغط.

- يحفظ الجسم من العوامل الخارجية الضارة مثل الجراثيم.

- يمنع ماء الجسم والذي تكون نسبته ٧٠٪ من الجسم إلى أن ينفذ إلى الخارج وبذلك يمنع حدوث الجفاف.

- يحافظ على حرارة الجسم الداخلية. إذ يوجد تحت الجلد حوالي ١٥ مليون مكيف لحرارة الجسم وهي الغدد العرقية التي تخلص الجسم من الحرارة بواسطة التبخر والعرق.

- إنه وسيلة لنقل الألم والإحساس من الخارج.

يتفاوت الجلد في سماكته حسب حاجة الجسد فهو رقيق جداً في جفون العين سميك جداً في راحة اليد وباطن القدم، وتظهر فيه قدرة اللّه سبحانه وتعالى فجلد الوجه أرق من جلد باطن القدم ومع ذلك فإنه يتحمل الحرارة والبرودة أكثر من باطن القدم لأن الوجه مكشوف دائماً ومعرض لكل عوامل الطبيعة، فسماكة الجلد في الوجه يشوه حسن الإنسان واللّه سبحانه وتعالى خلقه في أحسن تقويم فجعله رقيقاً وجعله بقدرته الأقدر على تحمل البرودة والحرارة... **والجلد في الجسد يتكون من ثلاث طبقات:**

١ ـ السطحية وتسمى البشرة وهي خلايات ميتة تتآكل باستمرار.

٢ ـ الباطنية وتسمى باطن البشرة وهي خلايا حية تموت باستمرار لتحل محل الخلايا التي تتآكل باستمرار في سطح الجلد. وتحت الطبقتين ٣ ـ طبقة

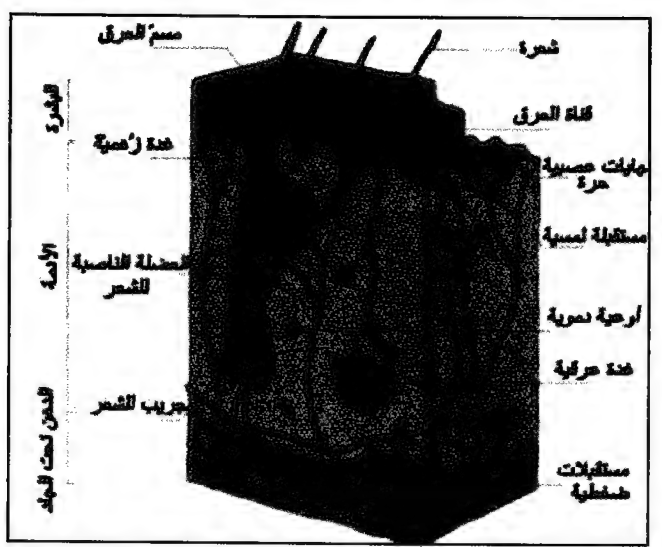

صورة مقطعية لجلد الإنسان على التكبير تبين بالتوصيل ماذا تحت طبقة الجلد السطحية التي لا نراها بالعين وتبين الصورة إعجاز اللّه سبحانه في خلقه وكسوه العظام والأعصاب والعضلات والأحشاء بهذا الجلد ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾

تسمى (الأدمة) وهي خلايا حية مع أوعية دموية وبها نهايات الأعصاب والشعر ينمو على سطح الجلد وجذوره في (الأدمة).

وأول مهام الجلد:

أنه يهيئ للجسم غلافاً لا ينفذ منه الهواء والماء ويحميه من البكتيريا الضارة ويحمي الجسد من أشعة الشمس ويساعد في تنظيم حرارة الجسد ويغلف العظام والأعصاب والأحشاء، والجلد عضو حساس لأن به العديد من نهايات الأعصاب. . . . والعرقُ الذي يرشُحُ منه من الغدد العرقية يساعد على توازن حرارة الجسد.

وفي الجلد تظهر قدرة اللّه سبحانه وتعالى تبينها هذه التصورات:

١ ـ تصور أن الجسد شفاف وترى منه أعضاء الجسد الداخلية فهل يكون الإنسان ساعتها في أحسن تقويم؟ قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.

[سورة التين، الآية: ٤]

٢ ـ تصور أنك تستطيع أن ترى موت خلايا الجلد السطحي كل يوم ونمو خلايا جديدة. . . ولكن اللّه سبحانه وتعالى لا يريك وما علم العلم عنها شيئاً إلا بعد اختراع المجهر الذي يكبر آلاف المرات.

٣ ـ تصور أن خلايا الجلد الخارجي فيها فجوات تسمح بدخول الماء والأشعة والبكتريا وتخرب أعضاء الجسد الداخلي.

٤ ـ تصور أن خلايا الجلد الداخلي لا تسمح بخروج العرق والنفايات مثلما لا تسمح بدخول الأشياء إلى داخل الجسد. . . . فالجلد له باب واحد يسمح بالخروج ولا يسمح بالدخول ولو سمح بالدخول لمات الإنسان فتبارك الله أحسن الخالقين.

٥ ـ تصور أن الخلايا في الجلد لا تنمو بعد الجروح أو التقطيع أو التشقق فماذا يحدث للإنسان؟

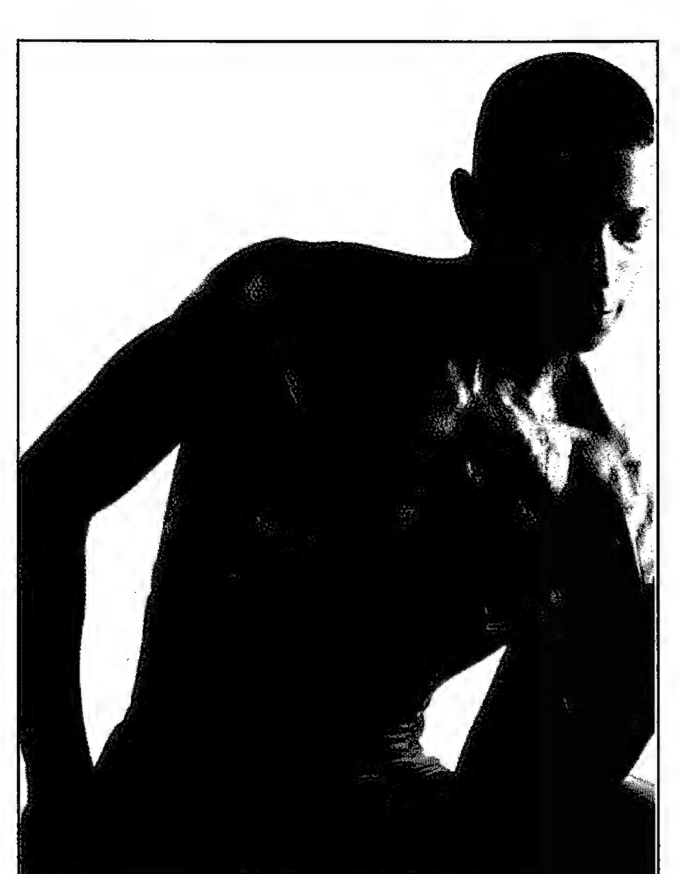

صورة تقطعية لجلد الإنسان
تبين بالتفصيل ماذا تحت طبقة الجلد السطحية التي لا نراها بالعين

عظام الجسد:

العظام في الجسد الواحد لها عدد كبير من الفوائد:

١ ـ هي التي تكسب الجسد شكله العام.

٢ ـ الجمجمة خزانة صلبة تحوي الدماغ (المخ والمخيخ).

٣ ـ الجوفان الحجابيان يحميان العينين.

٤ ـ العمود الفقري أنبوبٌ عظيمٌ يحمي النخاع الشوكي.

٥ ـ الأضلاع تُكوِّن قفصاً صلباً ومرناً لحماية القلب والرئتين.

٦ ـ العظام دعائم لتثبيت العضلات وروافع لحركة العضلات.

٧ ـ الأجزاء الداخلية لبعض العظام مصنع كبير تصنع خلايا الدم.

٨ ـ العظام هي المخزن الرئيس في الجسد للكلسيوم.

٩ ـ عدد عظام الجسد (٢٠٦) عظام وتتركب الجمجمة من (٢٩) عظماً والوجه من (١٤) عظماً وفي الحلق عظم واحد (ويسمى العظم اللامي) والعمود الفقري يتكون من ستة وعشرين (٢٦) عظماً يسمى (فقرة) والصدر يتكون من (٢٥) عظماً إلخ.

١٠ ـ تتلاقى هذه العظام مع بعضها في مواضع تسمى (المفاصل).

١١ ـ ويمسك هذه العظام مع بعضها نسيج مرن يسمى (الغضروف) وهي التي تمسك العمود الفقري.

١٢ ـ الحلقات الغضروفية بين كل فقرتين هي التي تمتص كل حركات الإنسان ولولاها لارتج المخ في كل خطوة يخطوها.

١٣ ـ تتماسك مفاصل العظام مع بعضها بالأربطة المفصلية والعضلات المحيطة ويسهل حركة المفصل سائل خاص يقع ضمن الجوف المفصل ووسادة مرنة تدعى الغضروف.

١٤ ـ في تجاوز أي عظمين (التقاء) عند المفاصل تجويف صغير يحتوي على سائل للتشحيم يحفظ الحركة المستمرة.

من هذه المعلومات نفهم أن العظام لا تعمل إلا بهذا التنسيق الرائع ولو نقص بند واحد مما ذكرت لاختل الجسد وعاش آلاماً كثيرة وفقد التوازن والحركة. . . . . ولنقل مثلاً لولا وجود السائل بين المفاصل لزحف الإنسان على بطنه بدل أن يسير ولصرخ متألماً في كل حركة.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

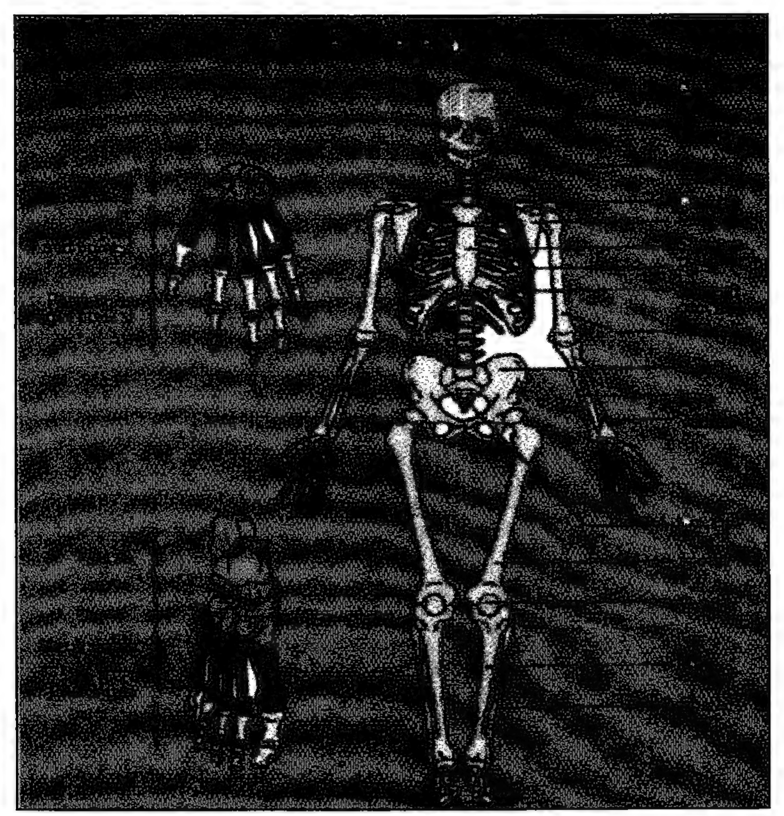

هذا هو الهيكل العظمي للإنسان فتصور
أن الإنسان خلق هكذا هيكل عظمي فسبحان الذي كساه
بالجلد الجميل ليبقى الإنسان في أحسن تقويم

الجهاز العضلي في الجسد:

رغم قوة العظام إلا أنها لا تستطيع أن تعمل بمفردها وتتحرك بنفسها وإنما تحركها العضلات؟ فما هي العضلات؟ وما دورها في الجسد؟ ومن أي شيء هي؟

١ ـ تتكون العضلات من حزم من النسيج العضلي متماسكة معاً بإحكام.

٢ ـ يتكون النسيج العضلي من ألياف عديدة حتى لتبدو العضلة وكأنها حزمة من خيوط المطاط أحكم ربطها.

٣ ـ يوجد في جسم الإنسان أكثر من (٦٠٠) ستمائة عضلة لتحريك أجزاء الهيكل العظمي.

٤ ـ تُكَوِّنُ العضلات أكثر من نصف وزن الجسم البشري.

٥ ـ النسيج العضلي تحت المجهر خلايا مغزلية الشكل.

٦ ـ النسيج العضلي في التشريح ألياف من خطوط طويلة رفيعة قوية.

٧ ـ العضلات نوعان إرادية ـ وغير إرادية.

الإرادية: هي العضلات التي تحرك الهيكل بإرادة الإنسان.

غير الإرادية: وتوجد في جدران الأوردة والشرايين وفي المعدة والأمعاء وعدد كثير من الأعضاء الداخلية.

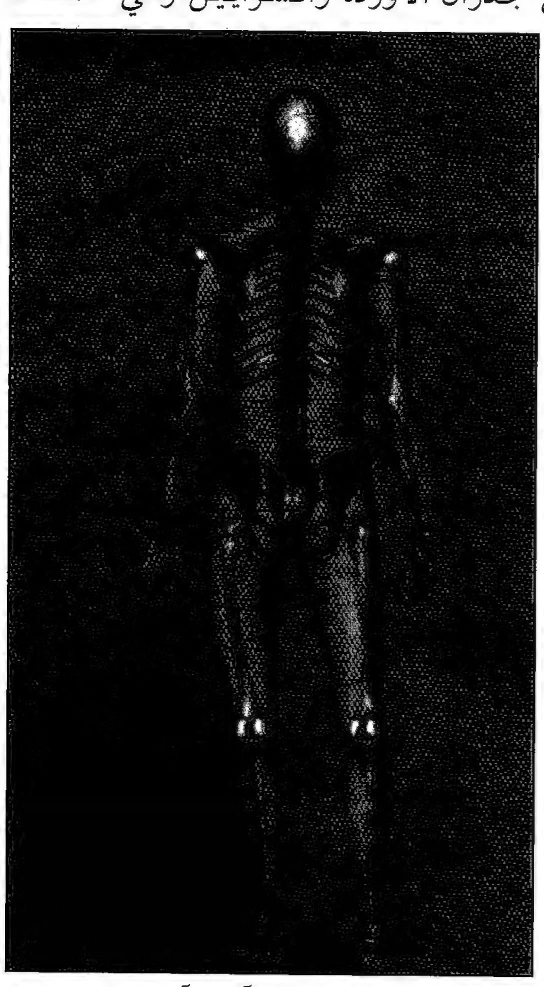

الهيكل العظمي آية من آيات
اللَّه تعالى فهو الذي يمسك الجسد بقالبه الجميل

٨ ـ في الجلد آلاف العضلات غير إرادية تحرك شعر الجلد حين الخوف والبرد.

٩ ـ العضلات غير الإرادية تتحرك ضمن احتياجات الجسد تلقائياً كتوسع الحدقة في الليل وتضيقها في النهار.

والسؤال هل خلقت الصدفة تلك العضلات وهل الصدفة هي التي تحرك العضلات غير الإرادية، وأي إرادة غير إرادة اللَّه التي تحرك العضلات غير الإرادية في الجسد بما يتوافق مع ضمان سلامة الإنسان واحتياجاته، ومن هو الذي يوجه الأمر إلى تلك العضلات غير الإرادية بالتحرك اللازم (إنه المخ والمخيخ) الذي خلقهما اللَّه بدقة فائقة.

المخ (الدماغ في الجسد):

الحقيقة أن المخ في الجسد شيء وباقي الجسد كله شيء آخر ولولا هذا المخ (الدماغ) بفاعلياته المتكاملة لكان الإنسان أشبه بالحيوان ولا فرق بينه وبين أي حيوان لأن التركيب الجسدي واحد من خلايا وعظام وأنسجة وعضلات ودم.

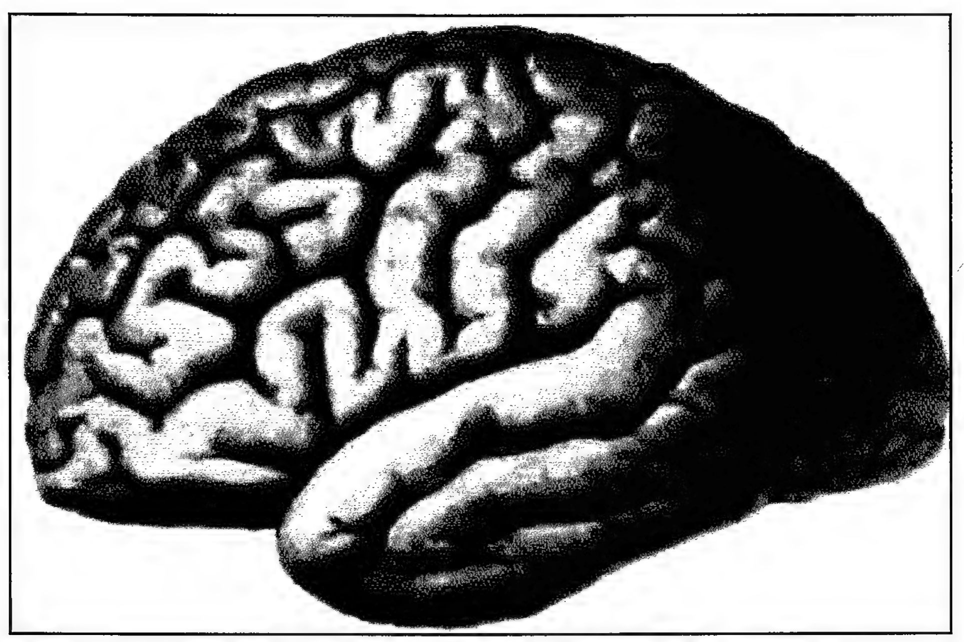

الدماغ هذه الكتلة اللحمية المتعرجة والدماغ في الجسد شيء
وباقي الجسد شيء آخر فعظمة الخلق تكمن في هذا الدماغ الذي احتار العلماء في فهمه

ولقد كُرِّم الإنسان وجعله الله خليفة في الأرض وأناطه بحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض حملها والفضل يعود إلى هذا (الدماغ الواعي) الذي ميزه وفضله على باقي المخلوقات.

قال تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

والمخ (الدماغ) إعجاز اللَّه سبحانه وتعالى في خلقه للإنسان[١] وهو أي الدماغ السبب الرئيس في واقع مسؤوليتنا أمام اللَّه سبحانه وتعالى وبه كلفنا وأصبحنا في دائرة (الامتحان والابتلاء) لا لكونه دماغاً فحسب بل لأن اللَّه سبحانه وتعالى جعل فيه العقلانية (العقل) المفكر والواعي وذلك لأن كل المخلوقات الثديية فيها أدمغة ولكن لم يجعل اللَّه سبحانه وتعالى فيها (العقل) الذي يجعلها تفكر وتعقل ما تفعل لهذا جاء خطاب القرآن الكريم لأولئك الذين يعقلون وليس لأولئك الذين يملكون الأدمغة فكل الحيوانات تملك أدمغة لم يخاطبها اللَّه سبحانه وتعالى بل خاطب الإنسان مالك العقل ـ والعقل سر اللَّه سبحانه وتعالى داخل الدماغ وربما يكون القلب مشتركاً في هذه العقلانية لذلك جاء خطاب القلب كثيراً في القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٦]

وقال اللَّه تعالى مخاطباً العقل وعقلانية الإنسان:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٢]

ومهما حاولنا التفصيل في الشرح والتشريح للمخ (الدماغ) سنبقى عاجزين تماماً عن هذا السر العظيم، وسيبقى هذا الدماغ في علم اللَّه حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها فلماذا سيبقى الدماغ في علم اللَّه مستعصياً عن الفهم في خلقه وصبغته؟ وذلك لأنه إذا أردنا أن نفهم دماغ الإنسان فإننا بحاجة إلى دماغ أكبر وأرقى لتكون لديه القدرة في فهمه وتشريحه وبما أن هذا غير موجود. إذاً سيبقى الدماغ في علم اللَّه ورغم سره العظيم إلا أن الإنسان استطاع أن يدرسه ويُشرّحه وأصبح لدى العلماء بعض أسراره ومعرفة أجزائه وعملها (اكتشاف ومعرفة) فقط ليطلع الإنسان على قدرة اللَّه سبحانه وتعالى وليعلم أن هذا الجسد وهذا الدماغ لا يكون إلا من خالق عليم قادر.

---

(١) ليس من شيء معجز عند اللَّه سبحانه وتعالى وإنما يقول للأمر كن فيكون ولكن الإعجاز الذي نقصده هو إعجاز بالنسبة لعقولنا وأفكارنا.

ونوجز بعض علم عن الدماغ (المخ) لنكوِّن فكرة عن هذا العضو المعجز والذي هو من أسرار الحياة الغامضة.

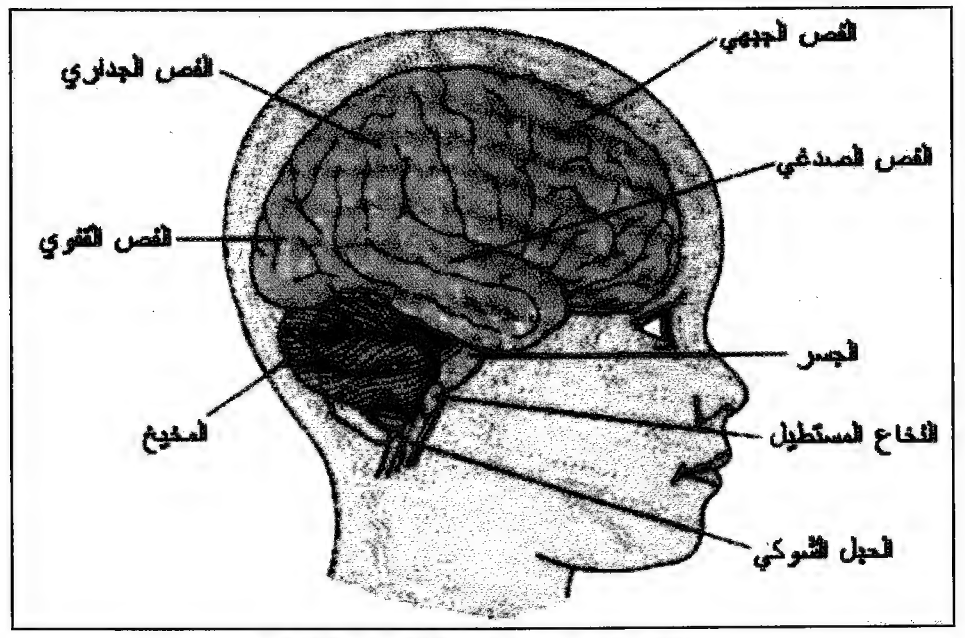

الدماغ يحتوي على ٣٠ مليار خلية ووزنه ١٣٣ غرام
ويقول العلماء: إن ١٠٪ من كافة الدماغ تعمل و٩٠٪ لم تستخدم بعد

معلومات عن المخ (الدماغ):

١ ـ وزن الدماغ **١٣٣٠** غراماً وينقص دماغ الأنثى عن وزن دماغ الرجل **٥٠** غراماً، وهذا مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لذلك جاءت شهادة الرجل على أنها تعدل شهادة امرأتين. إن المراكز الدماغية المسؤولة عن الذاكرة هي أكثر نمواً عند الرجل بينما المراكز الدماغية المسؤولة عن الانفعال هي أكثر نمواً عند المرأة.

٢ ـ يحتوي الدماغ على **٣٠** مليار خلية عصبية، إن نمو الدماغ يزداد حتى سن البلوغ، وأما عدد الخلايا العصبية فلا تزداد ولا تتحدد بعد الشهر الرابع من الحمل، بينما تبدأ الخلايا بالنقصان تدريجياً مع تقدم العمر.

٣ ـ خلال كل ثانية تفكير أو مذاكرة، يجري داخل كل خلية عصبية **١٥** ألف تفاعل كيماوي وكل خلية عصبية تتصل بآلاف الخلايا من أمثالها. لتمهد

للأوامر العصبية أن تسير بسرعة ٣٥٠ كم/ ساعة لذلك يتمكن الإنسان من رؤية الأشياء والتكلم بأسمائها في أقل من ثانية.

٤ ـ يقول العلماء: إن ١٠٪ من طاقات الدماغ فقط مستعملة بينما يوجد ٩٠٪ لم تستغل بعد.

٥ ـ يقدر العلماء أن الدماغ يستطيع تخزين معلومات في مساحة لا تتجاوز ٢٢ ديسيمتراً مربعاً ما يعدل ٢٠ مليون مجلد متوسط الحجم.

٦ ـ المخ يتكون من فصين بشكل بيضي.

٧ ـ المخ يتكون من لونين، اللون السطحي رمادي رقيق، واللون الداخلي أبيض لأنه مغلف بمادة دهنية تشبه تغليف الأسلاك الكهربائية.

٨ ـ الخلايا العصبية التي تجتمع في قشر الدماغ (المخ) هي المراكز الأساسية لقيادة البدن ـ مراكز الإرادة ـ التفكير ـ النشاطات الذهنية الراقية.

٩ ـ وسطح الدماغ يتكون من تلافيف ومنعطفات وليس هو أملس.

١٠ ـ وزن الدماغ (١٢٠٠) غرام وهو يجثم مثل الزهرة فوق ساق نحيفة التي هي النخاع الشوكي.

١١ ـ الخلايا الدماغية تكون على ست طبقات وقال العلم: إن عددها (٢٤) مليار خلية[١] وكل طبقة خلاياها خاصة ومختلفة عن الطبقة الأخرى من الخلايا من حيث العمل والوظيفة.

١٢ ـ قال العلم والعلماء في قشر الدماغ: تتوزع مناطق في الدماغ كل منطقة تختص بعمل ـ منطقة الرؤية وهي في مؤخرة الدماغ، والمنطقة الصدغية تختص بالسمع، والمنطقة الأمامية تختص بالحركة وخلفها منطقة الحس، ومنطقة الذوق تكمن في أسفل التلفيف الصدغي، ومنطقة الشم فهي بين نصفي الكرة الدماغية.

١٣ ـ توجد في الدماغ مراكز خاصة للكلام والكتابة إذا تعطلت أو تعطل جزء منها فإنها تعطي حركات غريبة كأن تفهم ما يقال ولكن لا تستطيع أن

---

(١) مجلة العلم. الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي (القاهرة).

تعبر، أو تفهم من الكلام جزءاً بسيطاً ولا تفهم الباقي، أو تفهمه كله وتحلله وتزيد عليه.

المخ المعجزة:

مراكز التفكر تتركز في القشرة الخارجية للمخ أو ما يطلق عليه اسم (الكورتكس) هذه الخلايا الرمادية هي ما يفرق مخ الإنسان عن بقية عالم الحيوان!!

وهذه القشرة المخية هي في حجم ورقة هذه الجريدة.. أو هي في حجم فوطة كبيرة من فوط المائدة بينما في مخ (الشمبانزي) فإن هذه القشرة لا تزيد عن حجم صفحة كتاب متوسط.

ولكي تدرك تعقيد المخ البشري فإن هذا الجرم الهلامي الذي في حجم كيس من السكر وزنه كيلو جرام واحد.. هذا الجرم به عشرة مليارات خلية عصبية.. وهذا العدد يساوي عشر مرات عدد النجوم التي يمكن أن تراها في ليلة صافية في السماء.. وكل خلية عصبية يتصل بها عشرة آلاف عصب. ولكي تحصي عدد الاتصالات التي تمر في هذه الخلايا وهذه الأعصاب تحتاج إلى مدة ٣٢ مليون سنة.

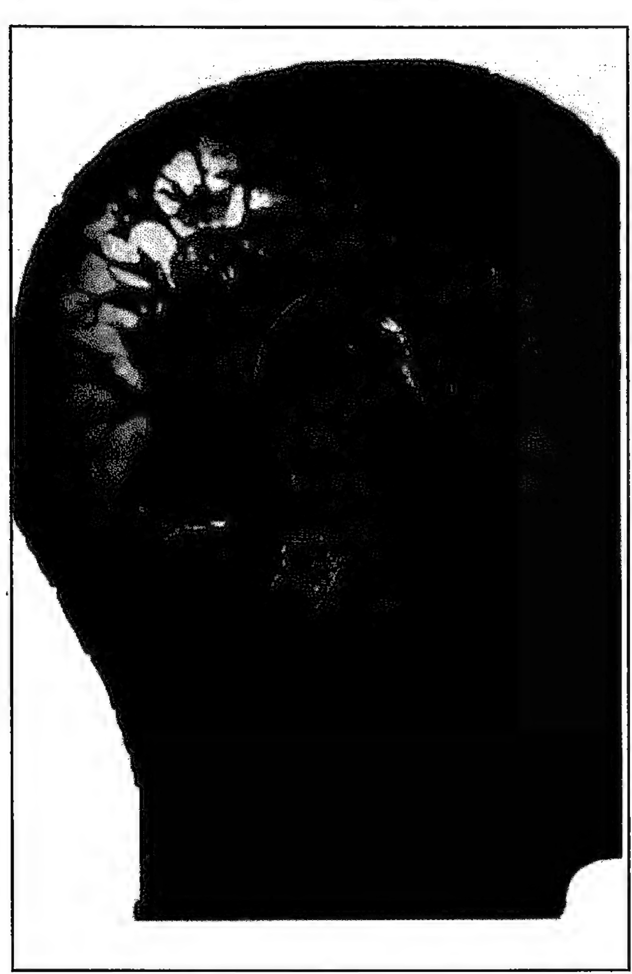

يبقى الدماغ سراً من أسرار الخالق
ولا يمكن للإنسان اكتشاف إلا النذر اليسير منه

لغز.. وأي لغز إذا علمت أن أحد أهم إنتاجات المخ هو الضمير.. وهو ما يجعل الإنسان متميزاً عن بقية خلق اللّه.. فبالرغم من تميز (الشمبانزي) بقدر من التفكير فإن ذكاء (الشمبانزي) البالغ أقل من ذكاء طفل في الثالثة من عمره.. ذلك أن الذكاء البشري يطور نفسه بحيث يستطيع أن يتصور.. وأن يتخيل.. وأن يقرأ ما في عقول الآخرين.

ومهما بلغ تعقيد الكومبيوتر ومكوناته فإنه لا يمكن أن يتفوق على المخ البشري.. والمعركة الأخيرة التي دارت بين الكومبيوتر العملاق وجاري كاسباروف لاعب الشطرنج الروسي العالم والتي كسبها الكومبيوتر لا تعني أن العقل الإلكتروني أقوى من العقل البشري.. لكن العقل الإلكتروني لا يشعر بالإرهاق أو الملل الذي يشعر به المخ البشري.. تماماً مثل السيارة فهي أسرع من الإنسان وأقوى منه احتمالاً.. ولكن السيارة لا تشعر بما تفعل إنما هي محكومة بقرارات ميكانيكية.. وردود أفعال محسوبة.. فإذا حدث خلل توقفت هذه العمليات كلها.. أما الإنسان فهو قادر على تجاوز الخلل الذي قد يصيب بعض أجهزته ليستكمل حياته.

وهذا كله يسعى العلماء في معرفته لاحتواء طاقة الدماغ وسر عمله ولكن الحقيقة تبقى أن هذا الدماغ مخلوق منذ آلاف السنين ويعمل كما يعمل اليوم، فمن القوة القادرة التي خلقته في وقت لم يكن الإنسان يعلم شيئاً عن حبة التراب التي يعيش معها معظم أوقاته؟ إنها قوة اللّه سبحانه وتعالى الذي خلق وأحسن كل شيء خلقه[١].

المخيخ:

المخيخ: يوجد في مؤخرة الجمجمة ويكاد المخ يغطيه جميعاً ويتركب

---

(١) في كتاب (نحن متفردون) يشرح العالم جيمس ترفيل الامتياز الإلٰهي للمخ البشري ويقول: إن الإنسان سيظل سيد هذا الكون رغم كل النظريات التي تقول: إن الآلة ستحل محل الإنسان في كل شيء... والحقيقة أن الآلة ستكون في خدمة الإنسان فقط مهما تعقدت وتطورت... وستظل الآلة بلا مشاعر وبلا مخيلة... ولهذا فإننا نريد أن نصف إنساناً بالبرود والجمود نقول: إنه كالآلة. يكفي أن الإنسان يحب ويكره والآلة لا تستطيع لسبب واحد... هو هذه المعجزة الإلٰهية.. المخ.

هذا الجزء (المخيخ) من شقين ويقوم بالتنسيق بين حركات العضلات وهو المسؤول عن مقدرة الإنسان في تعلم العادات واكتساب المهارات، ولولا أن اللّه سبحانه وتعالى جهز المخيخ لتكون هيمنته على العضلات آلية لكان الفعل ورد الفعل يستغرقان ساعات مما يؤدي إلى ضياع العمل والحركات واختل أمر الدفاع والهجوم الآلي.

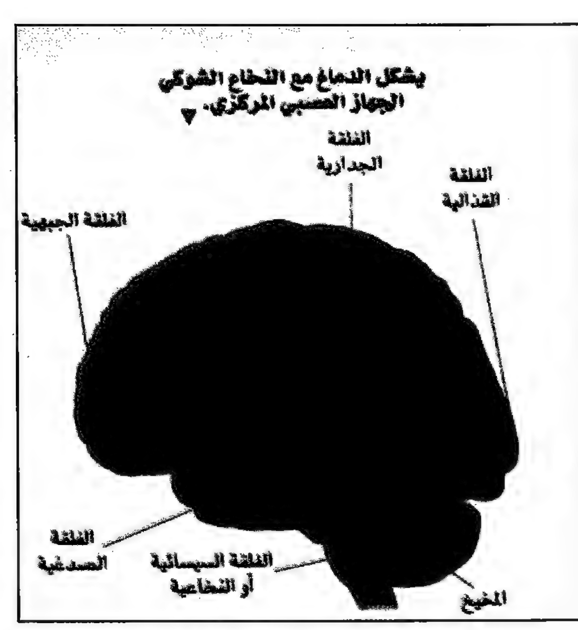

توضح الصورة التقسيمات العلمية للدماغ
وفي هذا التقسيم محاولة من العلماء لفهم أسراره واستغلاله قدر المستطاع لاكتشاف الإنسان والكون ويظهر في الصورة المخيخ وبه تتحول الخلايا إلى خلايا واعية

وسر اللّه العظيم في هذا المخ وهذا المخيخ وهو تحول الخلايا إلى خلايا واعية تدرك ما تفعل وما تطلب وما تأمر فلماذا خلايا دماغ الثور ليست واعية وهي بذات التركيب وذات العناصر وكذلك البقر ـ والغنم ـ والذئاب ـ والكلاب ـ والنمور والفهود. كلها تملك خلايا غير واعية وغير متطورة وغير قابلة للفهم فما الذي جعل الخلية الإنسانية تفهم وتعي؟ وكيف ذلك؟ فلساني يتكلم من أوامر خلايا واعية وكذلك سمعي وبصري وحركة يدي وفهمي لما أقرأ وما أكتب ووعيي لما حولي واحتوائي للعلم والحفظ والتذكر وسرعة التصرف والجواب فكلمة يأمرني بها الدماغ من ساحة الذاكرة تؤهلني للصعود وأخرى تؤهلني للهبوط وكيف تظهر الإبداعات؟ وكيف أكون شاعراً أو كاتباً أو موسيقياً؟

النخاع في الجسد:

النخاع في الجسد نوعان: نوع اسمه (النخاع المستطيل) وهو الذي يهيمن على عمل العضلات غير الإرادية ويقع في جزء صغير من الدماغ بطول بوصة واحدة وهو الجزء العلوي الغليظ من النخاع الشوكي، والنخاع المستطيل هو الذي يتحكم في ضربات القلب والتنفس وحركة المعدة والأمعاء والبلعوم والمريء عند البلع.

ما الذي جعل الخلية الإنسانية تفهم وتعي؟ وكيف تظهر الإبداعات وكيف أفكر وأكون شاعراً أو كاتباً أو أستطيع أن أفهم ما أقرأ.. أليس ذلك من صنع العليم القادر سبحانه وتعالى؟

والنوع الثاني (النخاع الشوكي) وهو الذي يمتد من النخاع المستطيل إلى أسفل في داخل الحلقات العظيمة التي تحميه والتي يتكون منها العمود الفقري ويمتد من ثلاثة أرباعه وطوله (٤٢,٥) سم ويتفرع من النخاع الشوكي اثنا عشر زوجاً من الأعصاب تتصل بالدماغ ويتفرع منه واحد وثلاثون زوجاً آخر موزعة على مدى طوله تمتد إلى أعضاء الجسد ويصل بعضها إلى الدماغ بعد أن تمر بالنخاع المستطيل شبكة متصلة مع بعضها اتصالاً معقداً ولكل تفرع عمله المحدد والمرسوم بطريقة لا يمكن أن تكون إلا من إله عليم بخلقه وما خلق.

الأعصاب في الجسد:

أشبه ما تكون الأعصاب في الجسد بفرقة جيش من عدة آلاف من الرجال بكامل عدتهم وشبكاتهم الاتصالية وهي على اتصال وثيق مع كامل تفرعاتها في الجسد مع الدماغ الذي يتحكم في خطوط سيرها واتصالها إنه (القائد) الذي يوجه للجميع أوامره في الحركة والدفاع والهجوم، والأعصاب جمع مفرده عصب، والعصب الواحد يتكون من جزء مركزي يسمى جسم الخلية ويتكون من نواة وسيتوبلازما وغشاء للخلية **فالوحدة العصبية من خلايا مأمورة ومشفرة للعمل، والأعصاب نوعان ـ الأعصاب الحسية**: هي التي تنقل التنبيهات العصبية من المحيط إلى الجهاز العصبي المركزي **والنوع الآخر** من الأعصاب هو **الأعصاب الحركية** التي تحمل الأوامر الحركية من الجهاز العصبي المركزي إلى المحيط وعمل الأعصاب يعتمد على النبضات السريعة التي هي في الواقع مقادير ضئيلة من الكهرباء وخاصية الأعصاب العمل السريع جداً وهنا يكمن الإعجاز الإلهي.

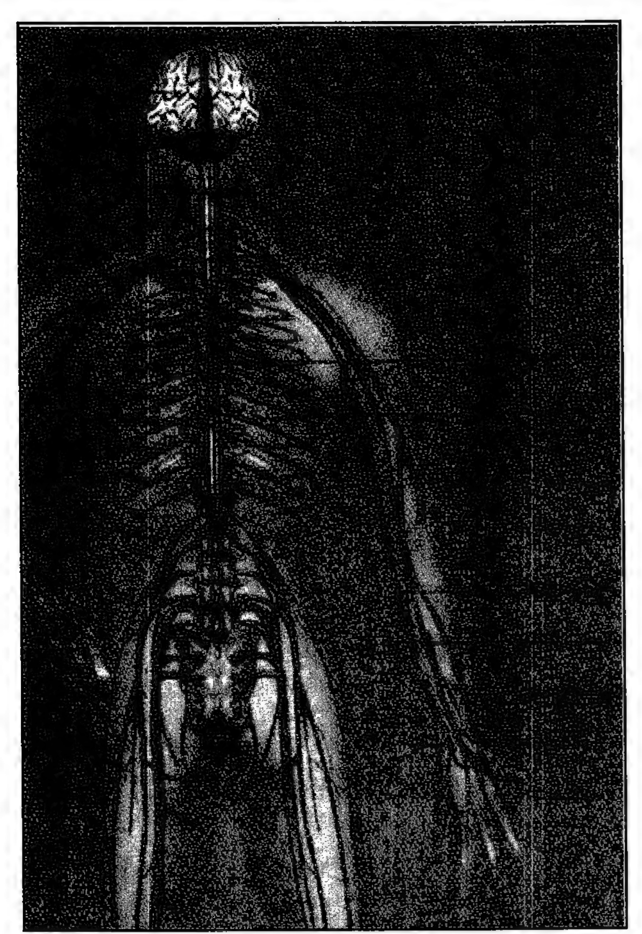

النخاع الشوكي هو الذي يمتد من النخاع المستطيل إلى أسفل داخل الحلقات العظيمة التي تحميه. إنه شبكة متصلة مع بعضها اتصالاً معقداً ولكل تفرع عمله المحدد والمرسوم بطريقة لا يمكن أن تكون إلا من إله عليم بخلقه وما خلق

تصور أنك وضعت يدك على المدفأة وتأخرت الأوامر العصبية بسحب

اليد لمدة دقيقة واحدة فقط فماذا يحدث؟ الذي يحدث أن اليد ستحترق تماماً ولكن الإعجاز أن الأمر بسحب اليد يتم بأقل من جزء من الثانية وهذا ما يسمى بالفعل المنعكس وهو دفاع رباني مباشر وضعه الخالق في الجسد لينأى عن الأخطار المباشرة والسريعة والمباغتة.

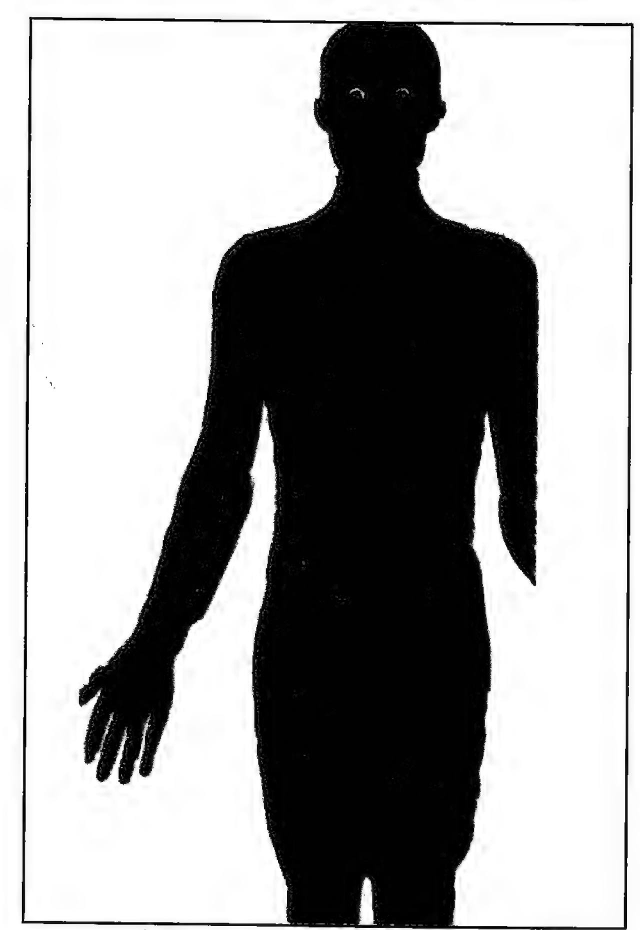

أعصاب ممتدة من الرأس حتى القدمين وتشبه الأعصاب حبالاً صغيرة لامعة تتشعب بشكل متماثل في كل أنحاء الجسد ١٢ زوجاً من الأعصاب القحفية تنطلق من المخ وتمر في الرأس والقلب والرئتين والمعدة والأمعاء و٣١ زوجاً من الأعصاب الشوكية تمر في الأطراف والجلد والعضلات

الحواس في الجسد:

تعارف الناس أن الحواس في الجسد خمسة (البصر ـ السمع ـ اللمس ـ الشم ـ الذوق) ولكن علماء اليوم أضافوا إليها حواس (الضغط ـ الحرارة ـ البرودة ـ الألم) وعملية الإحساس تمر في مراحل:

١ ـ يؤثر المنبه الأول في الأعصاب الموجودة في عضو الحس.

٢ ـ تنقل النبضات الحسية من عضو الحس إلى المخ.

٣ ـ يترجم المخ النبضات إلى إحساس وشعور، وهذه المراحل الثلاث تتم في أجزاء الثانية كدخول رأس الإبرة في قدمك فإن تأخر الإحساس بالشعور والألم قد تدخل الإبرة في جسدك دون أن تحس فتكون سبباً في

عطب أو موت أو شلل أو ما شابه، لهذا جعل اللّه سبحانه وتعالى الأوامر في شبكة (الإحساس) تعمل أسرع من لمح البصر لحماية الإنسان، وتصور أن لقمة سامة دخلت جوفك فلولا سرعة العمل في إصدار الأمر من المخ لرفضها ولفظها قبل أن تدخل الأمعاء لكانت نهايتك أو عطبك.

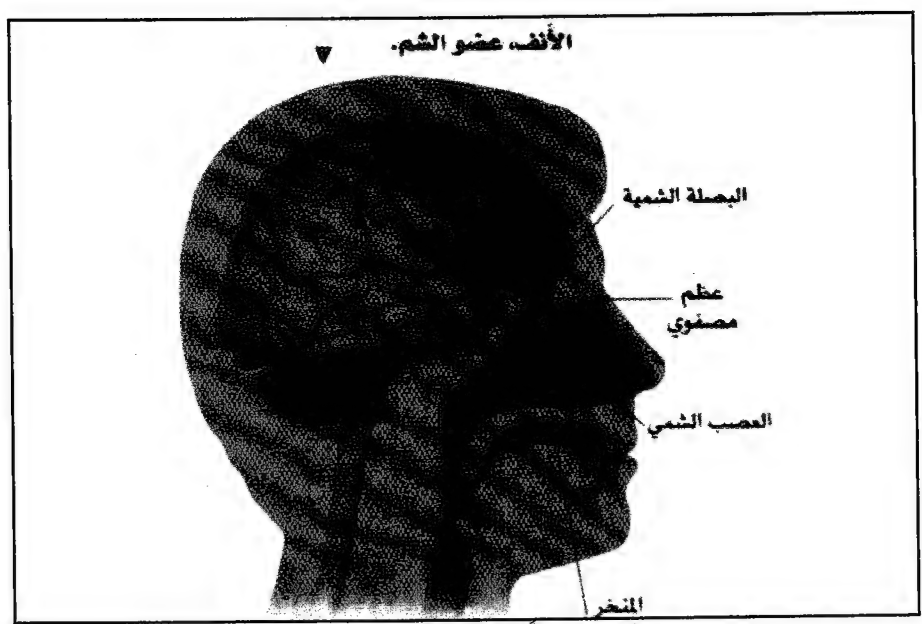

في الرأس جعل اللّه حواس الجسد من الفم والأنف
والعين والأذن والجلد آلية معقدة لا يعلم سرَّها إلا اللّه سبحانه

السمع والبصر في الجسد:

حقيقة أن السمع والبصر من أعقد الأجهزة الجسدية والوقوف على حقيقتها يحتاج إلى كتاب منفرد لشرح الإمكانات التي استطاع معرفتها العلم، والفاقد في علم البصر والسمع أكثر بكثير من المعلوم.

وليس العلم معرفة طريقة عملية السمع والبصر، ولكن العلم في هذا التصميم الإلٰهي الذي تقف أمامه علوم العلماء عاجزة أمام هذه الدقة الرائعة والتي هي فوق مستوى عقل الإنسان وعلمه.

السمع واسطة المعرفة فالأصوات وانتقالها عبر جهاز السمع (الأذن) إلى الدماغ هي التي تعرف الإنسان بكل المحيطات الكونية التي تساعده في تحديد شخصيته ومعرفته وعلمه

والسمع والبصر ليسا عضوين كأعضاء الجسد لهما عمل محدد كالكلية مثلاً أو الكبد أو المعدة، ولكنهما عضوان يمثلان الإنسان ككل لعلاقتهما في تحديد شخصيته ومعرفته ووعيه وإدراكه، فإذا فقد أحدهما وأخصهما السمع فإن الإنسان يصبح كماً مهملاً في أكثر علوم الحياة إلا بعض حالات خاصة جداً، فالسمع واسطة المعرفة والبصر واسطة الفكر فالصور تنمي الفكر وتثقل الذاكرة بالأشياء والموجودات التي تستمد منها العين الرؤية الجمالية والفكرية التي تحدد شخصية الإنسان، والأصوات وانتقالها عبر جهاز السمع (الأذن) إلى الدماغ هي التي تعرف الإنسان بكل المحيطات الكونية التي تساعده في تحديد شخصيته ومعرفته وعلمه، والسمع أهم من البصر ففاقده لا يعطي شيئاً ولكن فاقد البصر **قد يكون عبقرياً كأبي العلاء المعري وبيتهوفن وطه حسين وغيرهم كثير** ولأهمية السمع قدمه القرآن الكريم على البصر في آياته إلا في آية واحدة.

قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢٣]

ولارتباط السمع والبصر بالوعي والإدراك ولكونهما عنصري التحليل والتقويم وسبباً في القرار جعلهما الله في واقع المسؤولية والمحاسبة يوم القيامة لأن الدماغ الإنساني يعمل طبقاً لتوجيهاتهما وما يصدرانه من إشارات ورؤية وأصوات وإحساسات تكون سبباً للتحليل والدراسة والقرار، ولعظيم أمرهما ومسؤوليتهما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهما في كتابه الكريم كثيراً ليعلم الإنسان مسؤوليتهما فيجنبهما السوء والفاحشة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

ولدقة خلقهما فإن بحثهما علمياً شائك أستطيع أن أقدم فقرة موجزة عن السمع والبصر طبياً وعلمياً، نذكر فيها أهم ما يجب ذكره عن عالم السمع والبصر في الإنسان وجهازيهما الأذن والعين. لبيان قدرة الخالق سبحانه وتعالى في خلقهما.

السمع في الجسد وجهازه الأذن:

ـ **الأذن:** تحتوي على ٣٠ ألف خلية سمعية لنقل جميع الأصوات.

الأذن تستطيع أن تميز بين ٤٠ ألف لحن مختلف في الشدة والتواتر تنقلها الأذن الخارجية والوسطى إلى الأذن الداخلية التي تحولها إلى سيالة عصبية ينقلها عصب السمع إلى الجهاز العصبي المركزي الذي يحل رموزها وكل ذلك لا يتطلب إلا بعض أجزاء من الثانية.

ـ إن الأصوات هي اهتزازات مختلفة ينقلها الهواء إلي الصيوان في الأذن الذي يجمع ويحدد اتجاه هذه الاهتزازات بواسطة الالتواءات المختلفة فيه ثم يقودها إلى مجرى السمع الخارجي فتصطدم بالغشاء الطبلي الذي يهتز بنفسه ويهز معه عظيمات السمع التي تعمل على تضخيم الاهتزازات الضعيفة التي بدورها تنقل إلى النافذة البيضية فيهتز السائل البلغمي الذي بدوره يسبب

اهتزاز الخلايا السمعية في الحلزون ثم يصل إلي العصب السمعي الذي ينقله إلى المخ حيث يتحول إلى إدراك سمعي نعرف بواسطته معنى الصوت.

٧ ـ والملاحظ أن كل هذا الوصف هو وصف الصوت إلى المخ، أما عن كيفية تفهم هذه المعاني للكلمات فهذا ما لا يعرفه أحد والعجيب أن لكل إنسان صوت خاص به.

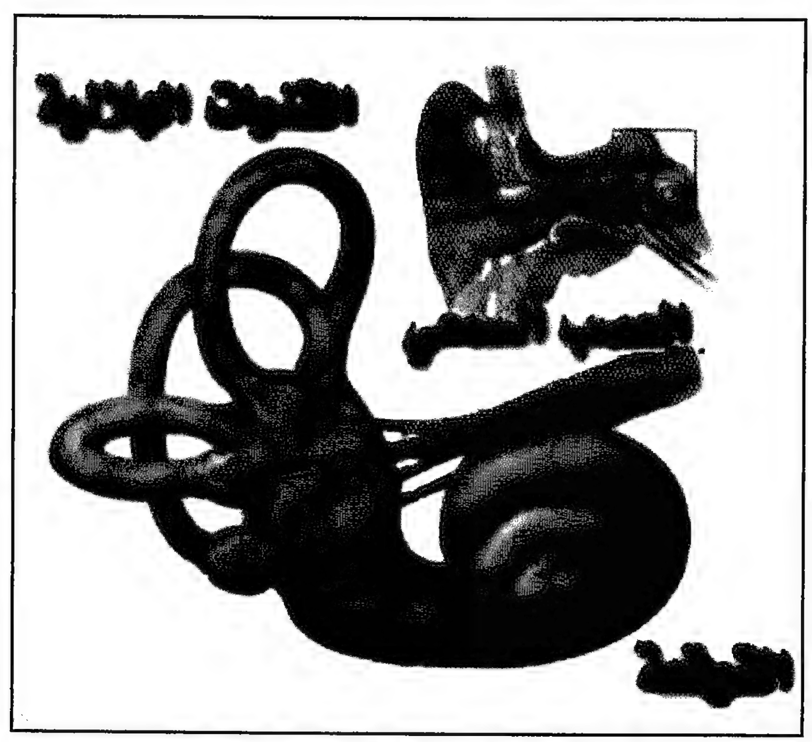

الأذن تحتوي على ٣٠ ألف خلية سمعية
لنقل جميع الأصوات وتستطيع الأذن بقدرة اللّه أن تميز بين ٤٠ ألف لحن

مكونات الأذن الداخلية:

١ ـ الأذن الداخلية تتألف من التيه (الحلزون) والأقنية الهلالية.

٢ ـ الأذن الوسطى تحوي عظيمات السمع الثلاث وغشاء الطبلة.

٣ ـ يلامس السطح الداخلي للطبلة عظم دقيق يسمى المطرقة.

٤ ـ يلتقي عظم المطرقة التقاء مفصلياً بعظم آخر دقيق يسمى السندان.

٥ ـ يلتقي عظم السندان بدوره بعظم ثالث **يسمى الركاب** وفي أسفل عظم

الركاب ثلاث فجوات مملوءة بسائل ويفصل غشاء بين كل فجوة منها عن الأخرى.

٦ ـ يتصل الغشاء الداخلي من هذه الأغشية بالأعصاب التي تمتد إلى المخ.

كيف نسمع؟

١ ـ الأذنان بشكلهما الخارجي يساعدان على توجيه الموجات الصوتية نحوهما.

٢ ـ تصطدم الموجات الصوتية التي تدخل الأذن بطبلة الأذن أو الغشاء الطبلي فيهتز.

٣ ـ اهتزاز طبلة الأذن يؤدي إلى اهتزاز المطرقة والمطرقة تدق على السندان الذي يوصل بدوره الموجة (الهزة) إلى الركاب الذي يؤدي بدوره إلى اهتزاز السائل الذي يملأ الفجوات.

٤ ـ يبعث الاهتزاز في الفجوة الأخيرة منها بالنبضات العصبية عبر الأعصاب إلى الدماغ.

٥ ـ تترجم هذه النبضات إلى أصوات من قبل هذا الجزء من المخ المخصص للحاسة السمعية.

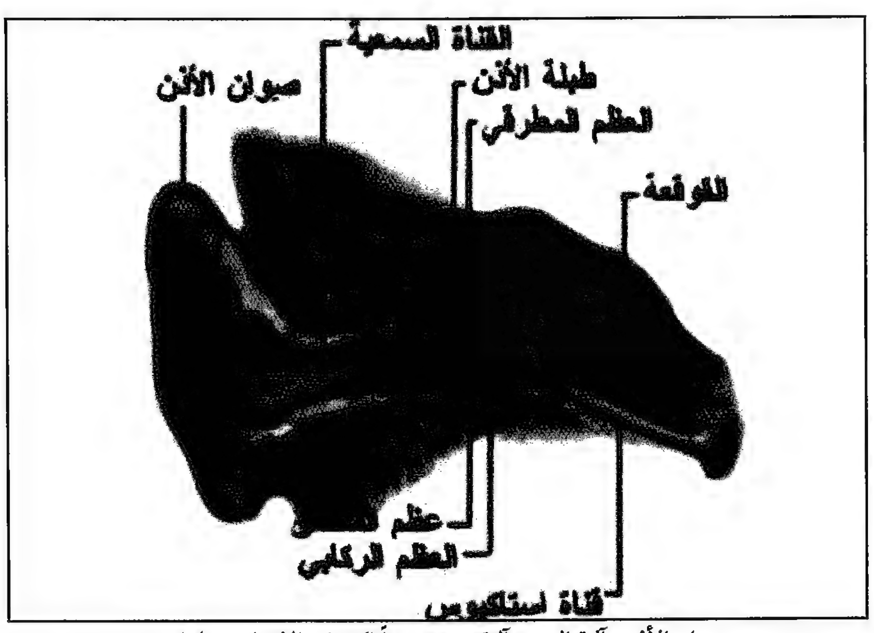

إن الأذن وآلية السمع آلية معقدة جداً اكتشف الإنسان عملها
ورحلة داخل الأذن نجد عظمة الله الواحد الخالق القائل: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾

البصر في الجسد وجهاز العين:

تحتوي العين على ٥٠٠ مليون خلية بصرية تسمى (العصيات والمخاريط) في طبقة واحدة من طبقات شبكة العين، ولها دور في نقل الألوان التي يتكون منها طيف الضوء ثم تحويلها إلى سيالة عصبية ينقلها عصب البصر المؤلف من نصف مليون ليف عصبي إلى مركز البصر في الدماغ الذي بدوره يحولها إلى صور مرئية، ويحدث هذا بسرعة لدرجة أن الإنسان يستطيع قراءة ٥٠٠ كلمة في دقيقة واحدة.

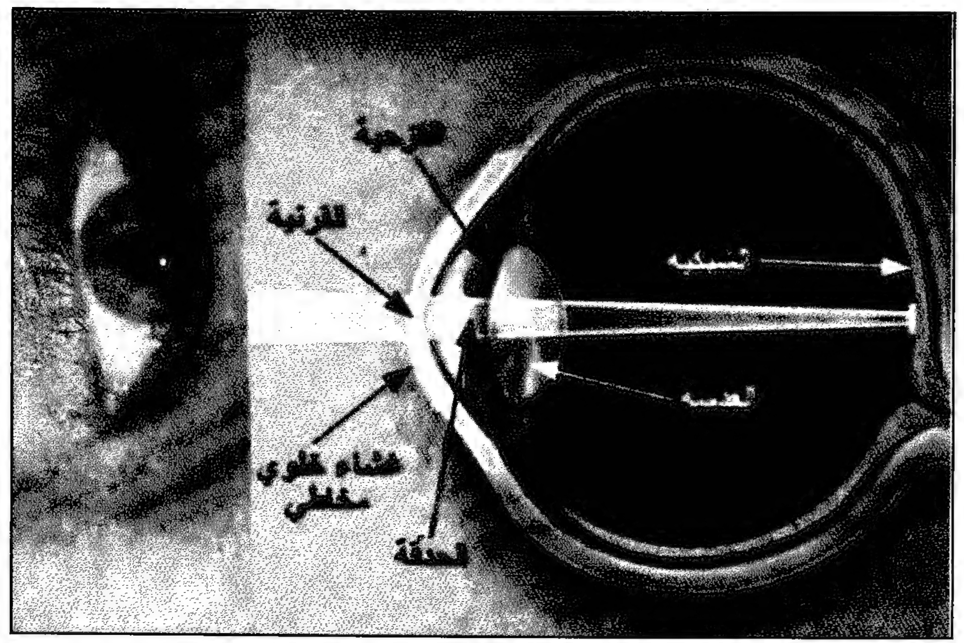

العين آية عظيمة حيرت العلماء ففي كل عين ٥٠٠ مليون خلية بصرية تسمَّى (العصيات والمخاريط) والصور ينقلها عصب البصر المؤلف من نصف مليون ليف عصبي بسرعة إلى درجة أن الإنسان يستطيع قراءة ٥٠٠ كلمة بدقيقة واحدة

١ ـ عين الإنسان على هيئة كرة قطرها نحو سنتيمترين ونصف يحيط بها غلاف واق أبيض متين نجد منه جزءاً في مقدمة العين مستديراً وشفافاً.

٢ ـ من وراء الغلاف الواقي الأبيض الشفاف في مقدمة العين حيز يملؤه سائل رائق.

٣ ـ من خلف الحيز الذي يملؤه السائل نسيج مستدير يتوسطه ثقب.

٤ ـ النسيج المستدير يسمى (القزحية) وهي الجزء الملون من العين والثقب الذي يتوسطه يسمى (الحدقة).

٥ ـ حول الحدقة (حلقة) من العضلات الدقيقة التي تتحسس من الضوء سريعاً.

٦ ـ في ضوء النهار الساطع تنقبض هذه العضلات فتضيق الحدقة (في النهار أو أول النور).

٧ ـ في العتمة أو الضوء الخفيف جداً تبسط هذه العضلات فتتوسع الحدقة.

٨ ـ من وراء القزحية عدسة مستديرة شفافة من نسيج متين يمر الضوء من خلالها.

٩ ـ بعد أن يمر الضوء عبر العدسة المستديرة وراء القزحية يخترق تجويفاً كروياً كبير الحجم يُكَوِّنُ الجزء الأكبر من العين وهو مليء بسائل رائق ينفذ فيه الضوء بسهولة.

١٠ ـ ببطن هذا التجويف المذكور في رقم ٩ طبقة خاصة من النهايات العصبية الحساسة للضوء وتسمى هذه البطانة (الشبكية).

١١ ـ النهايات العصبية تتصل بالعصب البصري الذي يمتد من وراء العين إلى المخ.

١٢ ـ الأشياء هي التي تعكس الضوء المرئي إلى العين فَتُكَوِّنُ له على الشبكية صورة مقلوبة.

١٣ ـ يفسر المخ النبضات العصبية والصورة المقلوبة التي ظهرت على الشبكية وبتفسيره الواعي لا نرى الأشياء مقلوبة.

عملية الرؤية دقة متناهية جداً، وكيف تنقل هذه النبضات العصبية الصور إلى المخ وتفسرها رؤية تحتاج إلى تحليل ودراسة سريعة جداً لتعلن توافقها مع النفس أو رفضها.

ورغم أن جهاز السمع أهم لدى الإنسان إلا أن جهاز البصر مخلوق بدقة متناهية، ومن إعجاز العين، أن البشرية وحتى الساعة لم تستطع أن تصنع عدسة ترى أكثر مما ترى العين رغم صغر العين.

فانظر أمامك فإنك ترى أن العينين تستطيعان أن تريا حتى جوانبك بينما إذا قمت بعملية تصوير من كاميرا واسعة العدسة فانظر إلى المساحة الضيقة التي تستطيعها العدسة الصناعية أمام عدسة العين. ولو أن العين لا تستطيع أن ترى إلا كما ترى العدسة لتعرض الإنسان إلى عشرات الإشكالات كل يوم.

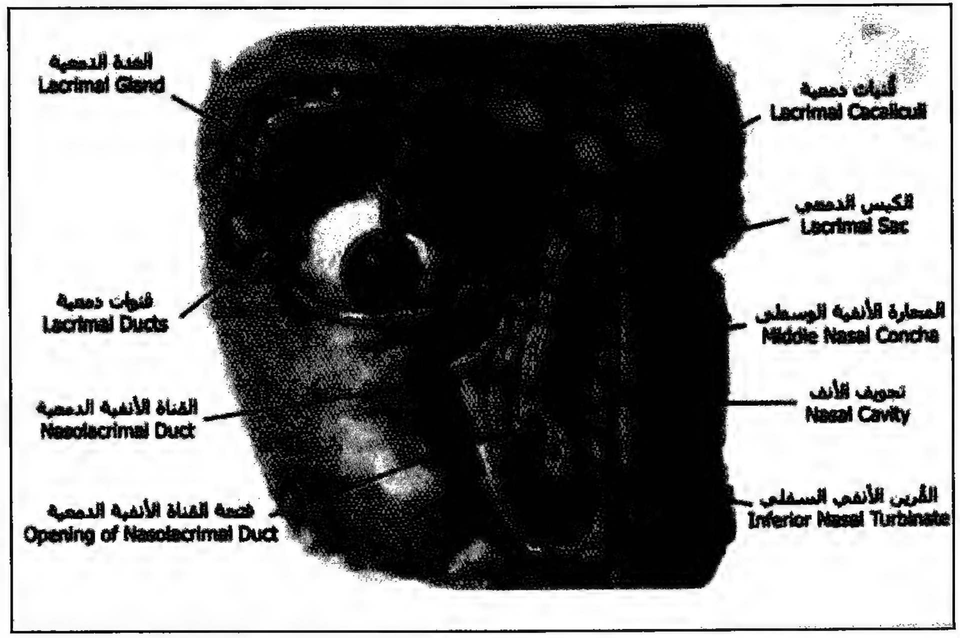

العين من الخارج والجفن مقلوب لترى ما تحته وقال العلماء: إن عملية الرؤيا فيها دقة متناهية واحتاروا كيف تنقل هذه النبضات العصبية الصور إلى المخ وتفسرها رؤية ـ والبشرية حتى الساعة لم تستطع أن تصنع عدسة ترى أكثر مما ترى العين سبحان اللّه

الجهاز الهضمي في الجسد والغذاء:

الجسد خلق متكامل كل عضو فيه ضروري لاستكمال مسيرة الحياة ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن جميع أعضاء الجسد مخلوقة بمستوى واحد فالعين والأذن والدماغ أدق في خلقها من المعدة أو المريء أو الجهاز الهضمي على ما في الأخير من الدقة الخلقية ولكن اللّه خلق الجسد بتكامل متقن كما قال رسول اللّه ﷺ عن النعمان بن البشير قال:

(مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[(١)].

وهذا الحديث الشريف يدل على تكامل الأعضاء وانسجامها معاً لتعمل ككتلة واحدة متحدة فجعل الرسول ﷺ الجسد المتحد دليل قوة وبأس وتفرق أعضائه دليل ضعف ومرض.

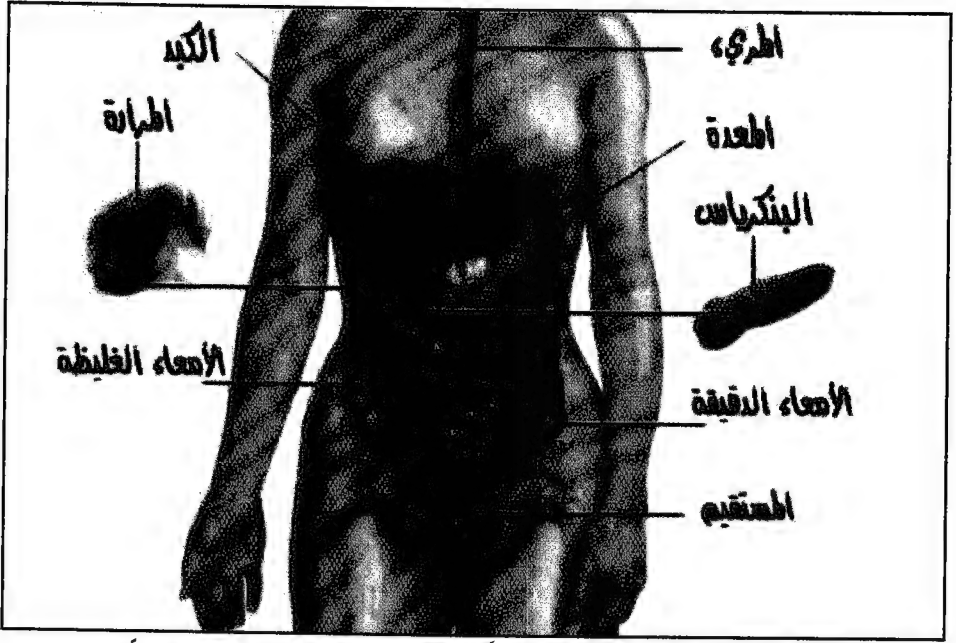

هذا هو الجهاز الهضمي وقد ركب اللّه أجسادنا على طلب الغذاء وجعله شرطاً لاستمرار الحياة وآلة هضم الطعام وتحويله إلى غذاء مفيد هو هذا الجهاز الهضمي المعجز

فقد ركب اللّه أجسادنا فيزيولوجياً على طلب الغذاء وجعله شرطاً لاستمرار الحياة وبدونه تموت الأجسام ولا تقوى على الاستمرار والمهم في بقاء الجسد هو تغذية الخلايا الحية وتنشيط الدورة الدموية التي تحفظ الجسد، لهذا فالإنسان يأخذ من الغذاء (ما يغذيه) ويطرح الزائد عن طريق الشرج وهذه العملية الدائمة جعلها اللّه من آيات خلقه، فقد أجبر اللّه الإنسان على الحركة بطلبه للغذاء الذي هو من مقومات بقائه وحفظ نوعه، والغذاء

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

يحتاج إلى عمل مستمر يومي حتى لا يتكاسل الإنسان ويضمر جسده وتتشاءم نفسه التي خلقها اللّه للامتحان والابتلاء.

والرزق عموماً بما فيه الطعام جعله اللّه أحد عناصر الامتحان الإلٰهي في الأرض في زرعه وصناعته وبيعه وشرائه وجعله حركة الدنيا بأسرها فوقع الابتلاء بحرامه وحلاله.

ولعظيم رحمة اللّه بعباده خلق لهم كل ما يلزمهم من طعام وغذاء في الأرض قبل أن يخلقهم على الأرض وجعل تكليفه في طلب الرزق ضمن حدود الطاقة الإنسانية وقدراتها.

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

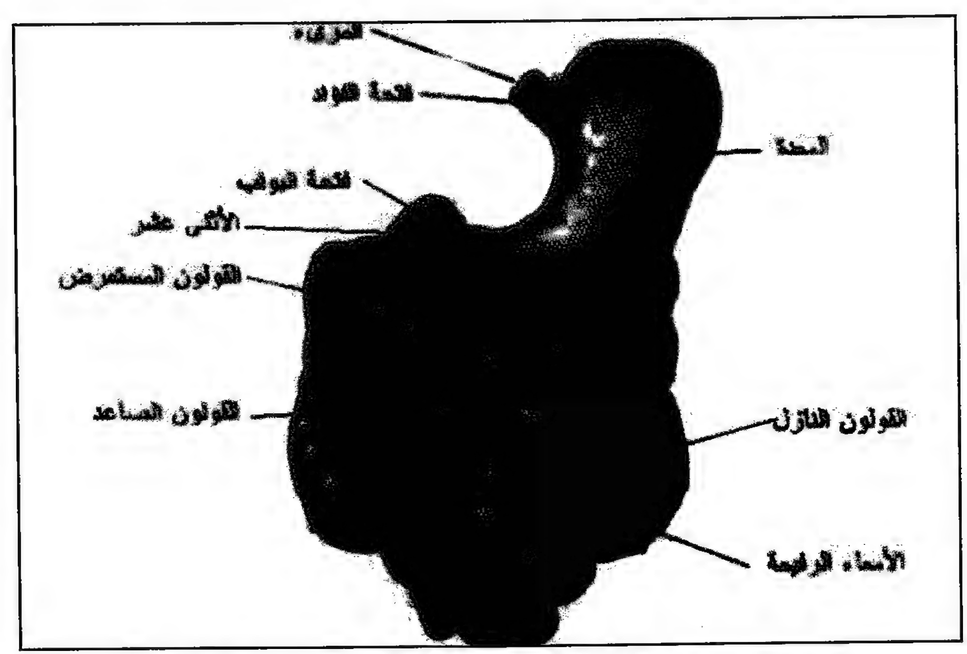

تظهر في الصورة المعدة المتصلة بالمريء وفي نهايتها تبين الصورة اتصالها بالأمعاء عن طريق الاثني عشر وفي الصورة القولون الصاعد والنازل والمستعرض وكذلك الأمعاء الرفيعة

وقال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]

وقال تعالى في خصوصية حلال الرزق (الطعام) وحرامه وتكليف عباده في طلبه:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٥٩]

المواد الغذائية اللازمة لحياة الإنسان:

من عظيم قدرة اللّه ورحمته بعباده أن خلق لهم (رزقاً) وأجبرهم على السعي من أجله لاستمرار حياتهم وضمان معيشتهم من خضار وفاكهة ولحوم تحوي جميع المواد الضرورية من دهون وكربوهيدرات وبروتين وفيتامينات لحفظ الجنس وبقائه وكل ما فعله الإنسان أنه اكتشف ما في هذه المواد الغذائية المخلوقة من نسب كيمائية وغذائية كافية لحياته وقد بين اللّه سبحانه وتعالى عظيم هذا الأمر سواء في النبات وسواء في الفاكهة وسواء في اللحوم.

قال اللّه تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[سورة النحل، الآيات: ١٠ ـ ١١]

وقال تعالى:

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ١٢]

وهذا الرزق والغذاء والنبات من مقومات الجسد والتي لا بد من تناولها وأكلها وفي هذا يحتاج الجسد إلى جهاز هضمي متكامل ليهضم الطعام ويستعين به الجسد على استمرار حياته.

كيف تتم عملية هضم الطعام في الجسد؟

يتضافر عدد من أعضاء الجسد لعملية هضم الطعام (الفم ـ بما يحويه من لسان وأسنان وغدد لعابية ـ البلعوم ـ المريء ـ المعدة ـ المعي الدقيق ـ المعي الغليظ ـ البنكرياس ـ الصفراء ـ الكبد).

١ ـ لقمة أصبحت في الفم مثلاً شطيرة دجاج تحتوي على بروتين ودهن ونشا.

٢ ـ اللعاب يقوم بهضم النشا.

٣ ـ الأضراس تطحن الطعام.

٤ ـ البلعوم يدفع اللقمة فتنزلق إلى المريء الذي يتقلص بدوره فيدفع اللقمة إلى المعدة.

٥ ـ المعدة وهي عضلة تفرز العصارات التي تساعد على الهضم من الغدد في جدار المعدة. ويوجد في المعدة ٣٥ مليون غدة معقدة التركيب مسؤولة عن الإفرازات.

٦ ـ يخرج الطعام بعد تقليبه في المعدة إلى المعي الدقيق.

٧ ـ يتم الجزء الأكبر للهضم في المعي الدقيق لأن البروتين والدهن يتحول فيه إلى أشكال يمكن بعدها للأنسجة أن تستفيد منها. ويبلغ طول الأمعاء حوالي ٨ أمتار.

٨ ـ يساعد الكبد في عملية الهضم بما يفرزه من سائل ينصب في المعي الدقيق (ويسمى الصفراء).

٩ ـ فرز البنكرياس العصارة اللازمة التي تساعد أيضاً في إذابة الطعام.

١٠ ـ تحدث في المعي الدقيق بعد ذلك تقلبات تدفع بالطعام إلى الأمعاء الغليظة.

١١ ـ في السطح الداخلي للمعي الدقيق عدد هائل من النتوءات الخيطية تسمى (الزغابات المعوية) التي تمتص الطعام الذي أصبح سائلاً ومنها يمر إلى الشعيرات الدموية وبدوره يحمل الغذاء إلى الخلايا.

١٢ ـ الفائض من الغذاء والذي لم يهضم في المعي الدقيق يستقبله المعي الغليظ الذي يدفعه بدوره إلى المستقيم ومنه إلى فتحة الشرج.

صورة للمعدة فقط والمعدة من الداخل معجزة
من معجزات الخلق في طريقة هضمها للطعام وطحنها إياه حتى لو كان قاسياً

كلمة:

إذا كان العلم وقد دخل في القرن الواحد والعشرين لا يزال متعجباً من هذه الطريق الدقيقة والمنسجمة والمتآلفة من هضم الطعام وتغذية الدم فمن أوجد هذا العمل الدقيق قبل أن يعلم الإنسان عنها أي شيء من آلاف السنين؟ أوجدت تلقائياً؟ أم عشوائياً؟ أم نظمت نفسها بنفسها دون خالق؟ فهل تصدق أن تفاحة صعدت تلقائياً من فوق المنضدة إلى فمي ثم فتحته ودخلت فيه والجواب لن تصدق رغم بساطة هذا المثل فكيف نصدق أن هذا الترتيب الهضمي الذي تقف عقولنا حائرة أمامه من دقته جاء طبيعياً وعشوائياً، بل هو اللّه سبحانه وتعالى الذي خلق وأحسن كل شيء خلقه فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

القلب في الجسد:

القلب هو العضو الحساس في الجسد وبدونه لا يمكن لإنسان أن يعيش وإذا اضطرب أو أصيب في عطب فإن الجسد كله يتأثر تأثيراً بالغاً وأما إذا توقف عن العمل فإن الحياة تتوقف ويموت الإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن القلب كثيراً لما له من أهمية في حياة الإنسان وكأن القلب موطن حياة الإنسان ومسؤول عن عمله وقرارته وعقيدته وإيمانه وما ذلك إلا لأن القلب هو الذي يغذي الجسد بالحياة بما فيه (الدماغ).

صورة للقلب الذي إذا أعطب تأثر الجسم كله
وإذا توقف مات الإنسان وهو مركز الأحاسيس والوعي ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾

قال تعالى:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٦]

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ٢٤]

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ .

[سورة الفتح، الآية: ٤]

وجعل اللّه القلب مأوى للفعل والفكر. قال تعالى:

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٤]

ورغم أن البشرية شرَّحت القلب منذ أكثر من ألفي عام إلا أن أول من عرّف حقيقة عمل القلب هو **الطبيب العربي ابن النفيس ثم الإنكليزي (وليم هارفي) الذي ربط علاقته بالدورة الدموية**.

كيف يعمل القلب؟

١ ـ القلب مضخة ذات قدرات عالية جداً تدفع الدم باستمرار في سائر الجسد.

٢ ـ القلب عضلة تنقبض وتنبسط سبعين مرة في الدقيقة أي (١٠٠) ألف مرة في اليوم.

٣ ـ كل انقباضة وانبساطة لعضلة القلب تسمى (نبضة) والمجموع نبضات.

٤ ـ كل نبضة واحدة تضع أوقيتين من الدم ومجموع الضخ اليومي للقلب (١٤٥٠٠) لتراً.

٥ ـ ينقسم القلب إلى أربع غرف وتسمى الغرفتان العلويتان بالأذينين والسفليتان بالبطينين ويتصل كل أذين وبطين بصمام يسمح بمرور الدم من الأذين إلى البطين ولا يسمح بالعكس.

٦ ـ يحتوي القلب على شبكة هائلة من الأعصاب تنظم تلقائياً عملية الضخ المستمرة.

كلمة:

هذا القلب الذي يعمل في اليوم مائة ألف مرة تلقائياً دون محرك ولا

وقود ولا يكل ولا يمل بحيوية متصلة، لو توقف ثلاث دقائق عن العمل يموت الدماغ وبه يموت الإنسان، فهل صمم نفسه بنفسه واختار طريق عمله؟ أم هناك خالق خلقه بوزن وقدر دقيق جداً ليحفظ حياة الإنسان ويضمن استمرار وجوده وصدق اللّه سبحانه وتعالى إذ يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٧]

والذي سيثبته العلم مستقبلاً أن القلب هو المسؤول الأول عن إصدارات النفس وله علاقة وطيدة مع قرار الخير والشر والإيمان والكفر وهو مصدر العواطف كلها وهذا ما أكده القرآن الكريم بما قدمت من شواهد سابقة. واللّه أعلم.

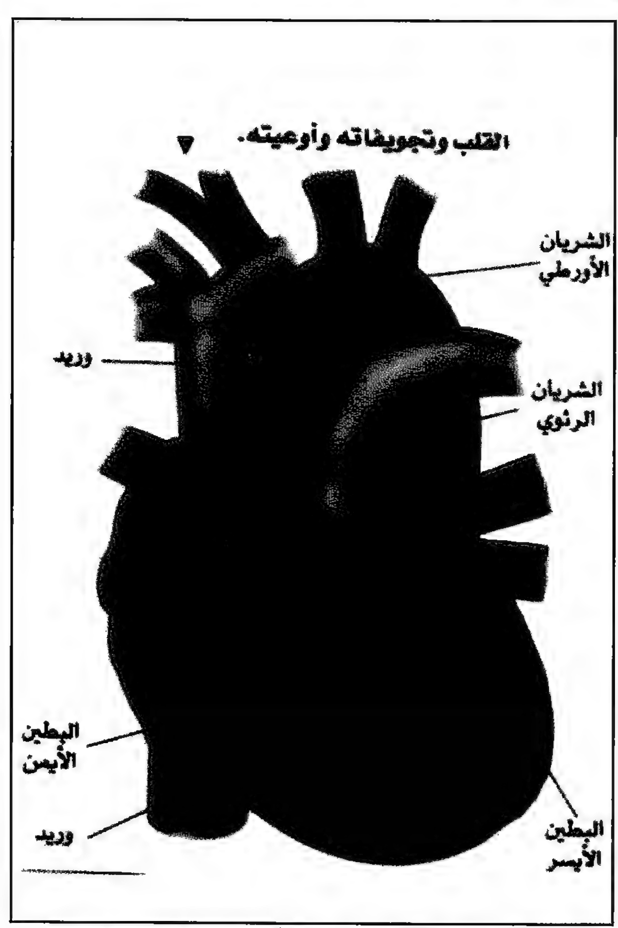

القلب جزء من الجسد يعمل تلقائياً دون محرك ١٠٠ ألف مرة ولا يكل ولا يمل فهل صمم هذا القلب نفسه بنفسه أم له خالق قدره وحدد عمله سبحانه خالق الإنسان وقلبه

الدم في الجسد:

منذ القدم أطلق الناس على الدم (نهر الحياة) وقالوا: إنه عنصر الحياة لأن الدم يمد خلايا الجسد جميعاً بالمواد اللازمة لتغذيتها وسلامة عملها وترميمها بذات الوقت وبتخليصها من النفايات ويحتوي على خلايا تكافح الأمراض وعلى مواد تساعد على التئام الجروح وإصلاح الأجزاء المعطوبة (ورشة ميكانيكية متنقلة).

١ ـ يتكون الدم من جزء سائل يدعى المصل ومن كريات حمر وكريات بيض وصفيحات حمر.

إن كريات الدم الحمراء تقدر مساحتها (٣٤٠٠ م٢) وعددها ٥ ملايين في كل م٣، ولو أنها وضعت في صف واحد لأحاطت بالكرة الأرضية حوالي ٦ مرات.

ـ وكل كرية حمراء تجري ١٥٠٠ دورة دموية في اليوم، وتقطع يومياً ١٢٠٠ كلم داخل العروق.

٢ ـ يتكون تسعة أعشار الدم من الكريات الحمر وهي صغيرة الحجم فالقطرة الواحدة من الدم فيها (٢٥٠) مليون كرية.

٣ ـ وظيفة الكريات الحمر توصيل الأوكسجين إلى عموم الخلايا في كل أجزاء الجسد.

٤ ـ تمتد حياة الكرية الحمراء من (٥٠ ـ ٧٠) يوماً تستبدل بغيرها على الدوام.

٥ ـ وفي نخاع العظام (مصنع) تتكون الخلايا الحمر (تخلق).

٦ ـ وفي الدم كريات بيض أيضاً فكل واحدة مقابل (٨٠٠) كرية حمراء والكرية البيضاء أكبر حجماً من الحمراء.

٧ ـ تصنع أيضاً الكريات البيضاء في نخاع بعض العظام وهي للدفاع عن الجسد من البكتريا وغيرها.

٨ ـ من وظائف الكريات البيضاء أنها تقتل البكتريات بأن تتوجه نحوها وتبتلعها وتهضمها.

٩ ـ إذا زاد عدد البكتريا الداخلة إلى الجسد ينتج نخاع العظام كريات جديدة للدفاع عن الجسد.

١٠ ـ حروب مستمرة في الجسد يتولى أمر الدفاع (الكريات البيض) دون أن نحس بشيء.

١١ ـ إذا كانت البكتريا بكميات هائلة داخل الجسد وتفوق طاقة دفاع الكريات البيض يقع المرض وعندها نحتاج إلى الدواء المساعد للتغلب

على البكتريا وأحياناً تتساقط الكريات البيض جميعاً أمام قوة البكتريا الداخلة ويحدث الموت.

١٢ ـ والصفيحات الموجودة في الدم هي المسؤولة عن تجلط الدم بحال النزف أو الجرح.

١٣ ـ تحرك الدم في الجسد يتم بواسطة الأذين والبطين وتتم الدورة الواحدة في كل أنحاء الجسد عن طريق الأوردة والشرايين في دقيقة واحدة.

١٤ ـ من القلب والدم والشرايين والأوردة يتكون (الجهاز الدوراني).

الجهاز التنفسي في الجسد:

عرفنا مما تقدم أن خلايا الجسد لتستمر في دورة حياتها بحاجة إلى الأوكسجين ومصدر الأوكسجين نحصل عليه من الهواء الخارجي ولينتفع منه الجسد لا بد من إدخاله للجسد.

١ ـ نستنشق الهواء عن طريق فتحتي الأنف والفم ويسمى (الشهيق).

٢ ـ يتم الشهيق عن طريق العضلة القوية تحت الرئتين وتسمى (الحجاب الحاجز) وذلك حينما تتحرك العضلة إلى الأسفل تدفع الضلوع إلى الأعلى إلى الخارج

صورة تبين مسار الدم في الجسد وفي ذلك يبقى الجسد محافظاً على الحياة ولولا هذه الدورة الدموية لجمد الإنسان ومات

وينتج عن هذه الحركة تفريغ الرئتين ويكون ضغط الهواء خارج الجسم أعلى منه داخل الرئتين فيتدافع الهواء إلى الأنف ومنه إلى الحلق ثم إلى قناة تسمى الرغامي وأخيراً إلى الرئتين.

٣ ـ تتشعب القصبة الهوائية إلى شعبتين كل واحدة منهما تسمى القصبة الهوائية الرئيسة اليمنى واليسرى.

٤ ـ تتفرع كل قصبة عدة مرات حتى تصل إلى أصغر تفرع يدعى القصبة التنفسية والتي تنتهي بالأقنية الحويصلية وكل قناة حويصلية تتصل بعد من الحجرات تدعى الحويصل الهوائي وهي التي تحوي الأسناخ الرئوية التي تتمدد على وسادة وعائية هي الأوردة والشرايين.

٥ ـ تسمى هذه التفرعات النهائية (الحجرات) أو الحويصلات الهوائية التي تحوي الشرايين والأوردة.

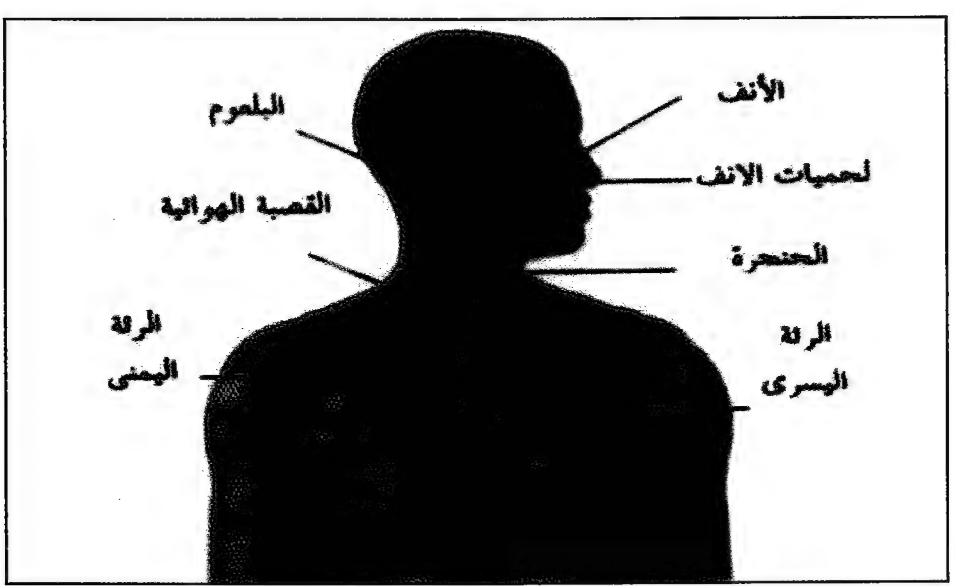

صورة توضح جهاز التنفس في الإنسان من الأنف إلى القصبة الهوائية
إلى الرئتين والتنفس عملية لا تتوقف على مدار الحياة ليلاً ونهاراً في النوم واليقظة

٦ ـ يمر الأوكسجين المستخلص من الهواء خلال جدران الشرايين ويتحد مع الكريات الحمر.

٧ ـ يخرج غاز ثاني أوكسيد الكربون (الفحم) من جدران الأوردة إلى الهواء الموجود بداخل الرئتين.

٨ ـ عندما يرتخي الحجاب الحاجز تتحرك الضلوع إلى أسفل وإلى الداخل فتضغط على الرئتين ومن ثم يتدافع الهواء المحمل بغاز ثاني أوكسيد الكربون (الفحم) إلى خارج الرئتين من نفس الطريق الذي دخل فيه.

كلمة:

انظر إلى هذه العملية الدقيقة والتي لا يمكن أن تستغني عنها دقائق وإلا فقد الجسم قابليته للحياة، وهذه العملية المستمرة سواء في اليقظة أو النوم دون أن نشعر بها ودون جهد ولا عناء ولا تعب فمن هو الرقيب عليها وما جهدنا فيها، وإذا كنت في اليقظة تتحكم في نفسك فكيف تتحكم في نفسك وأنت نائم وأفراد أسرتك كلهم نائمون فمن الرقيب عليكم ومن هو الذي وضع فيكم أجهزة الإنذار في حالة وجود خلل في عملية التنفس فتوقظك تلقائياً من نومك وصدق اللّه العظيم إذ يقول: قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾. [سورة طه، الآية: ٥٠]

أي أعطى كل شيء حقه وقدره ووزنه من مقدار أدق الذرات في الوجود إلى أكبرها.

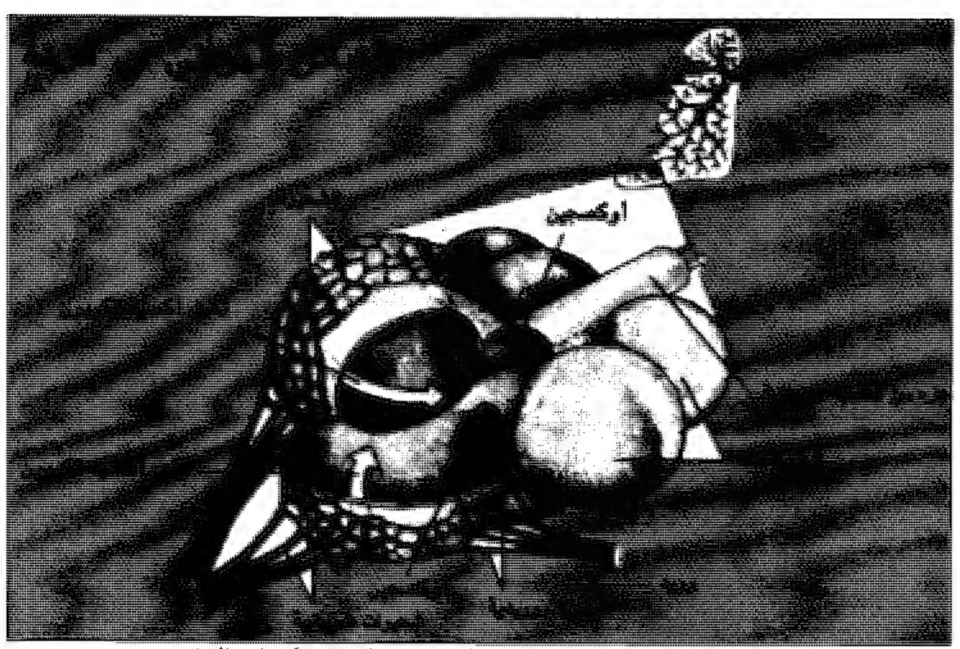

صورة توضح التبادل الهوائي في الرئة وتبين الصورة مكونات الرئة من الداخل حقاً إن الخالق حكيم عليم وعلي حكيم خلق فقدر وعنده علم كل شيء

الجهاز البولي في الجسد (الكليتان)

الطعام الذي نتناوله لا يهضم كله ويعتبر ما لا يهضم نفاية وكذلك الهواء الذي يحتوي على ثاني أوكسيد الكربون (الفحم) نفاية وكذلك نحن نشرب كثيراً من السوائل التي يمدنا بعضها بالغذاء كاللبن، وكذلك الماء الذي هو الجزء الأكبر من الطعام، فالماء عظيم النفع فمجرد وصوله إلى تيار الدم يقوم بمهمة حفظ المواد الغذائية الذائبة ويسهل مرورها من خلايا الأغشية إلى خلايا الأنسجة، والماء أيضاً يذيب النفايات التي تترسب في داخل الخلايا ولا بد من وسيلة تتخلص بها بلازما الدم والماء من مكوناتها ـ من النفايات الذائبة فيها وهذه العملية مختصة بها (الكليتان) فكيف تعمل الكليتان؟

في كل كلية يوجد مليون أنبوب لتصفية الدم من سمومه، وهذه التصفية تحدث ٣٦ مرة في اليوم، تقوم أثناءها بفصل ما يزيد عن ١٧٠ ليتراً من السوائل في الدم وذلك بعد أن يمر في الكلية حوالي ١٨٠٠ ليتر من الدم في اليوم، ويبلغ طول أنابيب التيفرون حوالي ٥٠ كم.

١ ـ مكان الكليتين في الجزء الأسفل من الظهر على جانب الفقرات القطنية.

٢ ـ تتركب كل كلية من ملايين القنوات الدقيقة الملتوية.

٣ ـ يمر الدم في هذه الفقرات فيصفي مما ينتج من نفايات سامة.

٤ ـ تخرج النفايات السائلة من الكليتين إلى كيس تختزن فيه بعض الوقت ويسمى (المثانة).

٥ ـ من آن لآخر تمتلىء هذه المثانة فتشعر معها بالحاجة إلى إفراغها.

٦ ـ تسمية عملية التفريغ هذه بالتبول[١].

كلمة:

عمل الكليتين إخراج البول من الجسد وهذا العمل من أدق عمليات

---

(١) لقد عرف الطبيب الرازي وظيفة الكلى بكل دقة راجع كتابه (الحاوي).

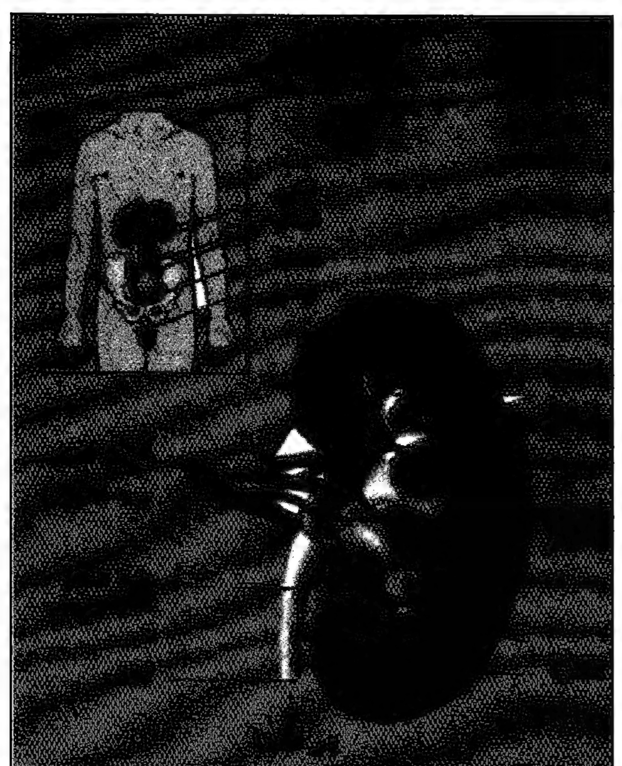

الكلية في الإنسان مع مقاطعها وطرق عملها وموقعها في الجسد إنها مصفاة الجسد تصفي الماء وما يحتاجه الجسد ثم تطرح الفاسد فيخرج من الحالب إلى العضو إلى الخارج

الجسد ولعظيم أثرها في الجسد جعل اللَّه في الجسد كليتين. وذلك لأن الكلى من أكثر الأعضاء تأثراً في الجسد لمرور النفايات الدائم في أنسجتها ويقول الأطباء: إن الإنسان يعيش بربع كلية واحدة، ومعنى هذا أن اللَّه سبحانه وتعالى لعلمه بفاعلية الكلية جعل قواها ثمانية أضعاف عن حاجة الجسد حتى إذا تخرب معظمها يبقى الجسد حياً. فالعلم اليوم يكتشف حقيقة الجسد فمن الذي قدر وجود الكليتين في الجسد وليس واحدة؟ ومن الذي قرر وجود كبد واحد في الجسد وليس كبدين؟ الذي قدر هو اللَّه الخالق الذي جعل لكل شيء قدراً صحيحاً ومن أحسن من اللَّه خلقاً؟

اللسان: يوجد في اللسان ٩٠٠٠ خلية ذوقية تستطيع أن تميز مختلف أنواع الطعام من مالح وحلو ومر وحامض وغير ذلك.

إن كل عضو من أعضاء الحس له وظيفة واحدة إلا اللسان، فالعين للبصر والأذن للشم أما اللسان فهو يشمل آلة للذوق وآلة للمضغ والبلع والهضم وآلة للحس واللمس وآلة للتكلم.

إن حليمات الذوق في اللسان لا تمتص الطعوم إلا إذا كان ذائباً أي عندما يكون اللسان رطباً، من هنا جاءت فائدة الغدد والغشاء المخاطي المزود باللسان المسؤول عن إفراز اللعاب ولولا ذلك لما استطاع اللسان أن

يتذوق الطعوم، مثال ذلك عندما يكون اللسان جافاً أو مصاباً بالزكام فإنه لا يتذوق الطعوم ولو كانت مذابة.

ويحتوي اللسان على ١٧ عضلة متحركة إلى كافة الجهات لذلك فهو يلاعب اللقمة ويعجنها باللعاب ثم يضغطها بين سطحه وسقف الحلق ثم يدفعها إلى المريء فيكون البلع.

كما أن حركة اللسان في جميع الاتجاهات تساعد على إنتاج الأحرف الضرورية للنطق والفصاحة. ولولا اللسان لكان الإنسان يطلق أصواتاً أو عواء أو صفيراً مثل الحيوانات.

الشفتان: لقد جعلت زينة للإنسان وستراً للفم وحاجزاً يمنع سيلان اللعاب ومانعاً من دخول الغبار إلى الرئة...

الأنف: يحتوي على شعيرات في داخله لاستقبال الهواء وتنقيته من الغبار والأوساخ في الهواء وكذلك تدفئته إذا كان بارداً حتى لا يصاب الإنسان بالالتهابات الرئوية وله وظيفة (حاسة الشم) ويتنفس الإنسان كل يوم ٢٥ ألف مرة ويسحب فيها ١٨٠ متراً مكعباً من الهواء.

مقطع داخلي للأنف يبين تجويفه وقناة الشم
والأعصاب والبصلة والأنف وهو الذي يميز الروائح

قراءة رقمية في جسد الإنسان

١ ـ وزن القلب حوالي ٣١٢ غراماً حجمه في قبضة اليد، تبلغ ضربات قلب الرجل حوالي ٦٠ ـ ٨٠/ د وينبض في العام حوالي ٤٠ مليون مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع مليون رطل من الدم ويضخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى الحياة بأكملها، ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة، دون أن يحتاج لإصلاح؟

٢ ـ ويستطيع القلب إذا استعمل كآلة محركة أن يرفع ثقلاً مقداره رطلان إلى ارتفاع قدمين بنفس الجهد الذي يبذله في نبضة واحدة.

٣ ـ ويبلغ مقدار الدم الذي يدفعه قلب رجل صحيح أثناء القيام بتمارين قاسية حوالي ٢٠ ليتراً في الدقيقة، ويستغرق مرور دفعة واحدة من الدم خلال القلب حوالي ١,٥ ثانية، والطريق من القلب إلى الرئة ثم إلى القلب مرة أخرى (الدورة الصغرى) ست ثوان.

٤ ـ الدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في ٨ ثوان، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في ١٨ ثانية.

٥ ـ إذا افترضنا أن القلب لم يضطر إلى زيادة سرعة ضرباته عن الطبيعي فإن الكرية الحمراء تمر في الدورة ١٥٠٠ مرة في المتوسط على مدى يوم كامل (حمال يحمل يومياً ١٥٠٠ مرة بدون تعب)!!...

٦ ـ في الدم ٥ ملايين كرية حمراء في كل مليمتر مكعب واحد من الدم أي تبلغ في مجموع الدم العام حوالي ٢٥ مليون كرية حمراء، وتفرش سطحاً مقداره ٣٤٥٠ متراً مربعاً، وإذا صفت كريات حمر بدون واحد بجانب بعضها البعض، فإن مجموع أقطار الكريات (قطر الكرية الواحدة

في المتوسط ٧ ميكرون) ينشئ طولاً يغلف الكرة الأرضية ٦ ـ ٧ مرات، مع العلم أن طاقة النقي في صناعة الكريات الحمر يمكن أن يتضاعف إلى ٥ ـ ٦ مرات، وتعيش الكرية وسطياً ١٢٠ يوماً، ويمكن أن ينقص عمر الكرية حتى ٢٠ يوماً بدون ظهور دلائل فقر الدم، وتمشي الكرية الحمراء في رحلتها لنقل الأوكسجين ١١٥٠ كم في عروق البدن، وفي الكرية الواحدة يكمن مركب الخضاب المعقد الذي يحوي ٥٧٤ حمضاً أمينياً بالإضافة إلى الشحم والسكاكر والخمائر والفيتامينات. . . وفي نقص الأوكسجين يرتفع عدد الكريات الحمراء إلى ٧ ـ ٨ مليون/ ملم مكعب/ خاصة في الارتفاعات وفي الأجنة باعتبار أن الرئة لا تعمل، مما دعا إلى القول بأن الجنين الإنساني يجلس على قمة إفرست!! . .

٧ ـ الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء في المعدة HCl قدر عددها بـ (مليار) خلية، والطاقة الإفرازية في مدى ١٢ ساعة بعد التنبيه بالهستامين ١٦ ملياً مكافئاً، وتركيز الإفراز هو ما بين ٢ ـ ٤ بالألف بشكل ثابت ومركز.

٨ ـ يحوي الجسم البشري أكثر من ٦٠٠ عضلة، وأكثر من ٢٠٠ عظم، وتحوي العضلة المتوسطة الحجم على ١٠ ملايين ليف عضلي، وتحوي عظمة الفخذ أكثر من ٣٠ ألف عمود كلسي خاص.

٩ ـ في كل يوم يتنفس الإنسان ٢٥ ألف مرة (٢٥٠٠٠) يسحب فيها ١٨٠ متراً مكعباً من الهواء يتسرب منها ٦,٥ متر مكعب من الأوكسجين إلى الدم.

١٠ ـ عمل العضلات مجتمعة في اليوم يساوي ما حمولته ٢٠ طناً.

١١ ـ في المعدة ٣٥ مليون غدة للإفراز، وفي العفج والصائم (الأمعاء) ٣٦٠٠ زغابة معوية للامتصاص في كل ١ سم مربع، وفي الدقاق ٢٥٠٠، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي ثمانية أمتار.

١٢ ـ في المعثكلة يبلغ عدد جزيرات لانغرهانس ما بين (٢٠٠ ألف) و(مليون و٨٠٠ ألف) وهي من الناحية الذنبية أكثر وتفرز الأنسولين الذي يحرق السكر في البدن، من نوع واحد من الخلايا وهي المعروفة بخلايا بيتا في

حين أن هناك أربعة أنواع من الخلايا في المعثكلة (ألفا، بيتا، غاما، دلتا) وخلايا الفاترز هورموناً آخر يعاكس الأنسولين هو الغلوكاكون ويقوم بزيادة السكر في الدم.

١٣ ـ الزغابات في المشيمة عند المرأة الحامل تفرش مساحة ١٦٠ قدماً مربعاً، وطول ٣٠ ميلاً وتعتبر مقراً لإفراز العديد من الهورمونات، وممصات للغذاء، وجهاز تصفية لأي مادة تعبره.

هذا هو الإنسان بجسده الرائع وبما أودعه الله من سر خلقه وقدرته إنه معجز في كل جزء منه خارجياً وداخلياً فسبحانه وتعالى

١٥ ـ كل صبغي يحتوي على مورثات يمكن أن يصل عددها إلى ١٥ ـ ٢٠ ألف مورثة، وكل واحدة من هذه المورثات مسؤولة عن قطاع في الكيان الإنساني. للمستقبل، وعدد الصبغيات ٤٦ أو ٢٣ زوجاً وهي موزعة في ثماني مجموعات أكبرها المجموعة c التي تحوي سبعة أزواج وأقلها الزوج الجنسي المختص بإعطاء صفات الذكورة والأنوثة.

أرقام مذهلة في جسد الإنسان

١ ـ في الدماغ ١٣ مليار خلية عصبية و١٠٠ مليار خلية دبقية استنادية تشكل

سداً ماردأ لحراسة الخلايا العصبية من التأثر بأي مادة، والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية، وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان، يتغذى الدماغ من الغلوكوز كمادة سكرية وفقط بخلاف القلب الذي يتغذى من سكر الغلوكوز أو حمض اللبن، فالسكر هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن. وإذا وقع البدن في أزمة فإن الدماغ يبقى العضو النبيل الذي يُفضل على غيره في العطاء.

٢ ـ في العين الواحدة حوالي ١٤٠ مليون مستقبل للضوء وهي ما تسمى بالمخاريط والعصي، يبلغ عدد المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصيات ١٣٠ مليوناً، مهمة الأولى للضوء المركز والألوان والثانية للضوء الضعيف والعادي، هذه المخاريط والعصي تمثل شبكية الاستقبال في العين، والشبكية هذه هي نصف كرة ترقد في قاع العين وترى بفضل منظار القعر بشكل جميل للغاية ويغلف الشبكية كرتان الأولى غزيرة بالتروية الدموية، والثانية طبقة صلبة حامية، ويتحكم في حركات العين ست عضلات، ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية، ويخرج من العين وكمحصلة لعمل الشبكية نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون، بقي أن نقول: إن الشبكية هي عشر طبقات وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة فقط وفي أعمق مكان..

٣ ـ في عضو كورتي الذي يمثل شبكية الأذن وفيه حوالي ٣٠ ألف خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات، وحساسيته عظيمة، وعضو كورتي هذا يمثل الأذن الباطنية حيث نرى الحلزون الذي يضم عضو كورتي ويشكل ٢,٥ دورة، بالإضافة إلى ذلك نرى الدهليز الممثل بالقريبة والكييس، وفي الأقنية نصف الدائرية المسؤولة عن التوازن في الإنسان حيث يمثل التوازن أمراً معقداً جداً يشترك فيه الدماغ والمخيخ والأذن الباطنة، وتعتبر الأخيرة المسؤول المحيطي في حين تعتبر العناصر الأولى المناطق المركزية المسؤولة عن التوازن.. والسؤال كيف يتم التوازن بمثل هذه الدقة؟ والجواب أن الأمر على درجة كبيرة من التعقيد لم يحل الطب بعد ألغازها حتى اليوم، يكفي أن نعلم أن الأذن الباطنة فيها قسم يسمى التيه لأن الباحث يكاد يتيه من أشكال الدهاليز والممرات، والجذر والحفر

والغرف والفوهات والاتصالات وشبكة التنظيم والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم. .

وهناك اتصال ما بين الأذن الباطنة والوسطى بواسطة نافذتين هما المدورة والبيضية وبواسطة النافذة المدورة العلوية يتم الاتصال ما بين الأذن الوسطى بعظيماتها الثلاث وما بين الأذن الباطنة، والعُظيم الذي يستقر على النافذة المدورة هو عظم الركابة، في حين أن العظم الذي يستند على غشاء الطبل هو المطرقة، ويصل ما بين العظمين عظم السندان، بالإضافة إلى عضلتين وهذه المجموعة تشكل الأذن الوسطى التي تتصل بالبلعوم بواسطة نفير أو ستاش الذي ينظم الضغط ما بين الأذن الوسطى والخارجية، والذي يفصل بينهما غشاء الطبل، ويعتبر صوان الأذن مجمع الصوت الخارجي الذي يقوده إلى غشاء الطبل الذي يوقع اهتزازاته على عظيمات السمع والتي تنقله بأمانة إلى النافذة المدورة التي تحمله بدورها إلى الأذن الباطنة التي تقوم بتفسيره ونقله بشكل سيالة عصبية إلى المركز السمعي العام في الدماغ: الفص الصدغي. . .

٤ ـ في الدم الكامل ٢٥ مليون كرية حمراء لنقل الأوكسجين، و٢٥ مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن وهي بخمسة أشكال، ومليون مليون صفيحة دموية لحفظ الدم ضد النزف وإيجاد التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية من مخ العظام الذي يصب في الدم بمعدل ٢,٥ مليون كرية حمراء في الثانية و٥ ملايين صفيحة و١٢٠ ألف كرية بيضاء، وجدير بالذكر أن الكريات الحمراء تقوم بنقل ٦٠٠ ليتر من الأوكسجين لخلايا الجسم كل ٢٤ ساعة.

٥ ـ في المعثكلة (البانكرياس) قطاع لإفراز الخمائر التي تفرغ إلى الأمعاء الدقيقة حيث يتم هضم أنواع الطعام الثلاثة البروتينات والسكاسر والدهون، وهناك قطاع ثان متصل بالدم وهو المعروف بجزيرات لانفرهانس التي يبلغ عددها (٢٠٠,٠٠٠ ـ ١,٨٠٠,٠٠٠ جزيرة) فيها أربعة أنواع من الخلايا أهمها خلايا ألفا التي تفرز هورمون (الغلوكاكون) الذي زيد من كمية السكر في الدم، وخلايا بيتا التي تفرز الأنسولين ومهمته الرئيسة حرق السكر في الجسم أو على الأقل إعطاؤه إلى الخلايا

التي تستعمله كوقود للطاقة والحرارة، ويجب أن نعلم أن مقدار السكر في الدم هو غرام واحد فقط في كل ليتر من الدم بنسبة ثابتة أي خمسة غرامات في كل الدم داخل العروق وهذا لا يبقى في الدم أكثر من دقائق ومصدر التموين الرئيس لسكر الدم هو الكبد بما يحوي من غليكوجين الذي يعتبر سكراً مجففاً.. والكبد هو العضو الذي يشرف على تحولات السكر من حل وإماهة أو تكثيف وتجفيف.

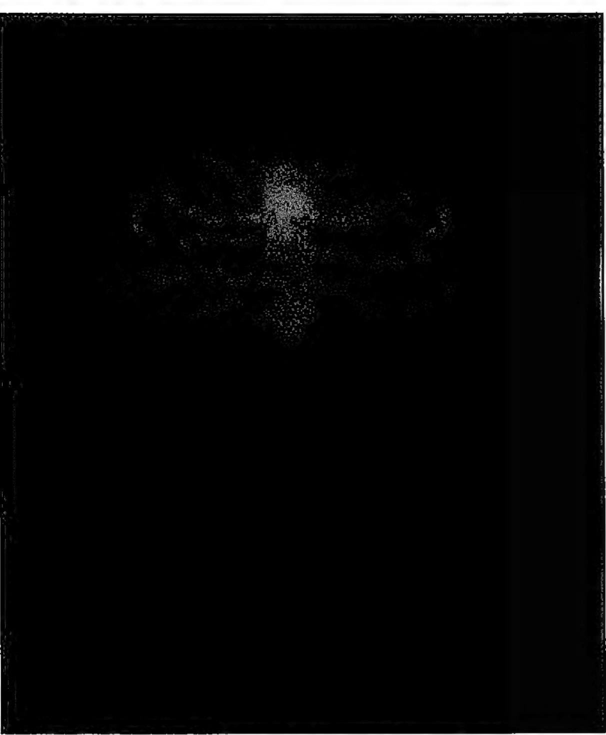

الكبد مصدر التموين الرئيس لسكر الدم بما يحوي من غليكوجين الذي يعتبر سكراً مجففاً والصورة تبين موقع الكبد من الجسد

٦ ـ في المبيض عند المرأة بويضات جاهزة تصلح كل واحدة أن تكون نصف إنسان، يبلغ عددها في المبيض الواحد (٤٠٠,٠٠٠) بويضة، ولا يفرز من هذه البويضات في كل دورة قمرية (٢٨) يوماً سوى بيضة واحدة، ويتناوب المبيضان في الإفراز بالحالة الطبيعية، ويعتبر المبيض غدة الجنس البدئية كما هو الحال في الخصية عند الرجل، ولكن من الأمور الملفتة للنظر أن مبيض المرأة في بطنها في حين أن خصية الرجل خارج بدنه لأن احتمال موت النطف أو إصابة الخصية بالسرطان وارد جداً إذا بقيت خصية الرجل داخل البطن ولم تنزل إلى كيس الصفن كالمعتاد وهو ما يسمى (بالخصية الهاجرة)[1].

(١) الطب محراب الإيمان، الدكتور/ خالص الجلبي.

٧ ـ تعتبر الخصية عند الرجل مصنع الإنتاج للنطف أو الحيوانات المنوية، حيث تجتمع أنابيب مجوفة وبأطوال تصل إلى بضع كيلو مترات لتصنع النطف ومن جدارها الداخلي حيث تتطور خلايا الجدار لتصل إلى مرحلة النطفة برأس طوله ٥ ميكرونات وذنب طوله ٥٥ ميكروناً، وتعتبر النطفة حاملة لإمكانية خلق نصف إنسان، ويجب أن نعلم أن دفقة المني الواحدة عند الرجل قد تصل إلى ٥٠٠ مليون حيوان منوي ولا يتخلق الإنسان إلا من نطفة واحدة فقط، بل إن التوأم أيضاً قد يتخلق من نطفة واحدة اندمجت ببيضة واحدة كما قد يتخلق من تلقيح بيضة بحيوانين منويين. وعدد الأنابيب المنوية في الخصية حوالي (٤٠٠٠) أنبوب منوي. . .

رحلة مع بعض الاكتشافات التشريحية للجسد

١ ـ تعتبر الخلايا الدماغية من أنبل الأعضاء لأنها تمثل حكومة البدن العاقلة العالمة المخلصة وباقي الجسم الشعب المتفاني في الطاعة والولاء، ولذا فإن الدماغ مغلف بثلاث أغلفة فضلاً عن التصفيح العظمي بحيث يعتبر الرأس كصندوق محكم الإغلاق وبين الأغلفة يتسرب سائل خاص هو السائل الدماغي الشوكي الذي يقوم بعمل ماص للصدمات، وهذا الإتقان المحكم جعل علماء الفضاء يصممون نفس الطريقة لحماية القمرة الصناعية بإيجاد الغلافات والسائل على نفس الطريقة، ونلفت النظر إلى أن الجنين في رحم الأم أيضاً مغلف بثلاث أغشية خاصة فضلاً عن الغلاف العضلي الرحمي. .

٢ ـ تحت سطح الجلد يوجد حوالي ٥ ـ ١٥ مليون مكيف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية لأن تبخر العرق من الجلد يمتص معه نسبة عالية من حرارة البدن، وسطح الجلد الذي يبلغ، ١٠٨ متر مربع تتفاوت فيه الغدد العرقية قلة وكثرة، والغدد العرقية هي أنبوب متعرج طويل لضخ سائل العرق الذي يمتاز بصفات خاصة ويبلغ إفرازه اليومي حوالي الليتر، ومجموع أطوال أنابيب

الغدد العرقية الموجودة تحت سطح الجلد حوالي ٤ ـ ٥ كيلو مترات . .

٣ ـ إن الرغامي عند الإنسان تتفرع إلى قصبات وقصيبات حتى تصل إلى مستوى الأسناخ، ويبلغ عدد الأسناخ في الرئتين حوالي (٧٥٠) مليون سنخ رئوي، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجدار عرق دموي صغير وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز الفحم ومنح الأوكسجين اللازم للبدن . . .

إن شبكة الأسناخ تفرش مساحة تصل إلى ما يزيد على (٢٠٠) متر مربع لتصفية الدم وفي الحال الطبيعية لا يستخدم أكثر من عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات تنفتح مزيد من الأسناخ.

٤ ـ يقوم اللسان بالمضغ والبلع وذوق الطعام والتصويت، فيه ١٧ عضلة تحركه إلى كافة الجهات وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض والمر والمالح، وإن حركة اللسان في أي اتجاه ينتج حرفاً معيناً وبذلك يستطيع الإنسان أن ينطق بفصاحة، وأثناء المضغ والبلع تفرز ست غدد بفوهات ست اللعاب إلى الفم لتطرية الطعام وتهيئته المبدئية بالاشتراك مع ٣٦ جهازاً قاطعاً وطاحناً وهي الأسنان.

٥ ـ تعتبر النخامة ملكة الغدد الصم في البدن، ومفتاح التأثير على بقية الغدد، فهي تفرز تسعة هورمونات من ثلاثة فصوص تنظم النمو وإدرار اللبن وتوزيع الأملاح في البدن وتنظيم شحنة الجنس وتوزيع الأشعار وإعطاء صفات الجنس الثانوية وتنظيم توتر العروق الدموية وصباغ الجلد بما يناسب ودفع الرحم إلى التقلص في المخاض، وكل وزن الغدة لا يتجاوز النصف غرام وأبعادها بالمليمترات.

٦ ـ يعتبر الكبد أكبر غدد البدن إذ يزن ١٥٠٠ غرام ويحوي ٣٠٠ مليار خلية يمكن أن تتجدد كلياً خلال أربعة أشهر فخلاياه أسرع من خلايا الجنين المعروفة بسرعة الانقسام، ووظائف الكبد مدهشة ما بين مستودعات السكر والدهن والفيتامين. أو احتجاز السموم وقلبها إلى مواد غير

ضارة، أو تحويل الفضلات مثل النشادر الناتج عن فضلات البروتين إلى مادة غير ضارة وهي البولة، ويبقى الكبد مركز التموين الرئيس لسكر الدم، وبروتينات الدم، للحفاظ على تخثره بتكوين مولد الليفين، كما يقوم بإفراز الأصبغة، وتكوين الكولسترول ذي الشخصيات السبعة . . .

٧ ـ لقد ثبت أن الخلية المعوية تولد وتعيش وتموت في **٤٨** ساعة وتتجدد الخلايا المعوية باستمرار ولا يتبع هذا النظام في الجسم إلا الدم، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي **٨** أمتار وتفرش مساحة **٤٠** متراً مربعاً للامتصاص بزغابات معوية تبلغ المليارات، حيث يتم امتصاص كافة أنواع الأغذية والماء والأملاح والفيتامينات بل وحتى المواد الضارة أحياناً.

٨ ـ تزن الكلية الواحدة **١٥٠** غراماً، فيها مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمى (النفرونات) ويرد إلى الكلية في مدى **٢٤** ساعة **١٨٠٠** ليتر وهو المعروف بالبول، ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (**٥٠**) كيلو متراً، وبهذه الطريقة يتم تصفية الدم من كل شوائبه وبشكل مدهش وكأننا نرى أمانة العاصمة وهي تنظف ليس مرة واحدة فقط في اليوم بل **٣٦** مرة ويزيد، ولا تقف وظائف الكلية عند التصفية بل فيها جهاز منبه مصنع العظام (النقي) لتنظيم إفراز عناصر الدم، كما أن فيها جهازاً منظماً لضغط الدم بالتعاون مع الكبد وهو ما يسمى (بالهايبرتنسين) وفوق الكلية تتربع غدة تزن سبعة غرامات وهي الكظر وتفرز من قشرها عشرات الهورمونات المنظمة للسكاكر والأملاح والماء في البدن، ولإفراز شحنة الجنس، كما أن لب هذه الغدد يفرز مادة الأدريتالين المنظمة لتوتر الدم . . .

٩ ـ يضخ القلب يومياً **٨٠٠٠** ليتر من الدم، داخل الجملة الدورانية التي تمتد حوالي (**١٥٠**) كيلو متراً طولاً عبر كل أنسجة البدن، ناقلة الدم بما فيه من غذاء وأوكسجين، ويكفي أن نعرف حيوية النقل عندما يتخرب الدماغ بشكل لا رجعة فيه عندما ينقطع ورود الأوكسجين عنه لمدة خمس دقائق فقط.

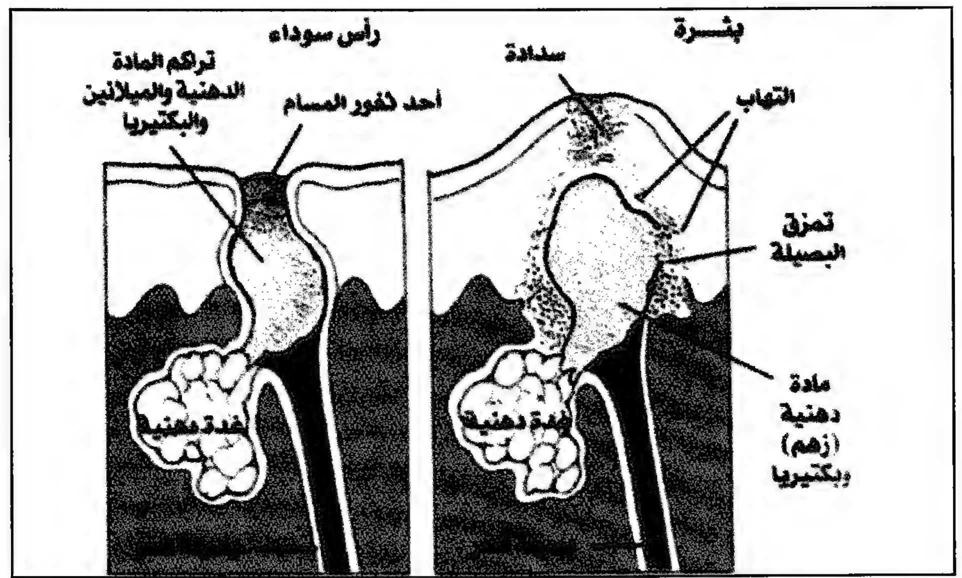

الغدد في الجسد تنظم النمو وإدرار اللبن وتقوم بتوزيع الأحلام في البدن
وتنظيم شحنة الجنس وتوزيع الشعر وإعطاء صفات الجنس إلخ من الأعمال

١٠ ـ تبلغ سماكة الجلد مقداراً متفاوتاً ما بين ٥ملم على جفون العين إلى ٦ ملم في أخمص القدمين، وباستثناء بعض المناطق في الجلد مثل باطن اليد وكعب القدم فإن الجلد في جميع المناطق مغطى بالشعر، ويختلف العدد من ٤٠ إلى أكثر من ٨٠٠ شعرة/ سم المربع، كما يوجد في كل سنتمتر مربع ٣٠٠ مسام عرقي. وهذه المسام تسمح بخروج السائل منه إلى خارج البدن ولا يسمح بالعكس أي دخول السوائل من خارج الجسم إلى داخله في صمام في اتجاه واحد.

١١ ـ الحبل الشوكي قطره حوالي ١ سم وطوله حوالي ٤٥ سم يتفرع منه ٣١ زوجاً من الأعصاب.

ويوجد في الإنسان حوالي ٨٠٠,٠٠٠ خلية عصبية في القرن الأمامي للحبل الشوكي وينتج شلل الأطفال إذا أصاب التدمير الثلثين فأكثر. وتعتبر القرون الأمامية في النخاع المسؤولة عن تحريك العضلات في حين تعتبر المراكز الخلفية مسؤولة عن نقل كافة أنماط الحس (الألم، الحرارة، البرودة، الضغط، اللمس، الحس العميق. . . إلخ).

١٢ ـ لا يمكن أن تتشابه بصمتان في العالم سواء ما مر من تاريخ وجود

الإنسان على الأرض، أو حالياً بتعداد البشرية الذي يبلغ ٦٨٠٠ مليون إنسان، أو ما يتوقع للمستقبل من مجيء بشر جدد لعمارة الكون، إن هناك قانوناً حيوياً وهو أن الطبيعة (والتي خلقها اللّه) لا تكرر نفسها مطلقاً على مستوى النبات والحيوان أو الإنسان، ويعود السر إلى مائة ميزة للبصمة بحيث أن تفريعاتها تصل إلى حد إصابة الإنسان بالدوار عندما يتصور احتمال تطابق البصمتين، سواء بين إنسان وآخر أو في الإنسان الواحد بين إصبع وأخرى من أصابعه العشرة، كما لا يتم تطابق بصمات أصابع التوأمين، ولتقريب فكرة احتمال تطابق بصمتين فإن هناك فرصة واحدة من أصل سبتليون مرة، وهذا الرقم يمكن تصوره إذا قام البشر الموجودون حالياً على وجه الأرض جميعاً بدون استثناء بما فيهم الأطفال والنساء والمرضى بوضع ثلاث جرات قلم في الثانية الواحدة على الورق والاستمرار في ذلك حوالي ثلاثة ملايين من السنين بدون نوم أو راحة أو تناول طعام، فإن هذا الزمن بمثابة إمكانية تكرر هذه الفرصة الوحيدة!!!

إن هذا الأمر العجيب جعل دول العالم تتبنى البصمات كعلم إثبات يقيني في تعيين شخصية الإنسان لما فيها من ثبات وفردية بدءاً من أول هذا القرن، يكفي أن نعلم أن بصمات مومياء مصرية أخذت وكأنها بنت اليوم وكذلك بصمات جثة في الدانمارك أرجعها الأخصائيون إلى ما يزيد على ٢٠٠٠ سنة. إنّ هذا يذكرنا بإعجاز القرآن العلمي قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾.

[سورة القيامة، الآية: ٤]

١٣ ـ يحتاج الدماغ يومياً إلى ١١٥ غراماً من الغلوكوز وكمية من الفوسفات و١٠ ـ ١٥٪ من الأوكسجين الذي يحتاجه الجسم، ولكمية من الدم لا تقل عن ١٠٠٠ ليتر فإذا نقصت هذه المواد تقاعس الدماغ عن القيام بعمله الحيوي.

آيات معجزات
في جسد الإنسان تبهر
العقول والألباب

أجراس الإنذار
المبكر في الجسم البشري

في الجسم البشري آية دالة على عظمة اللّه سبحانه وتعالى، سمّاها بعض العلماء (أجراس الإنذار المبكر في الجسم البشري)، وبعض الدول المتقدمة في مقياس العصر تبتدع ما يسمى أجهزة الإنذار المبكر، وهذا الجسم الذي خلقه اللّه في أحسن تقويم زوده بهذه الأجهزة، (أجهزة الإنذار المبكر)، هذه الأجهزة متوضعة في الجلد، **فالجلد هو سطح يغطي شبكة هائلة من الأعصاب**، وانتشار الأعصاب تحت سطح الجلد شيء رائع، هذه الأعصاب تنتهي بجسيمات خاصة، يختص كل منها بنقل حس معين، هناك جسيمات تنقل الحر والبرد، فأن تغسل يديك، وأن تضع الماء على وجهك فهذا شيء مقبول في الشتاء، أما أن تضع الماء على ظهرك فهذا لا يحتمله معظم الناس، لأن عدد الأعصاب التي وزعت على ظهر الإنسان يفوق عددها عدد الأعصاب التي في اليد والوجه، وهناك حكمة بالغة، **فالأعضاء التي يجب أن تغسلها كل يوم خمس مرات جعلت أعصاب الإحساس بالبرودة فيها ضعيفة**، ولكن الأماكن التي إذا صببت عليها الماء تضررت جُعلت أعصاب الإحساس بالبرودة فيها كثيرة، **وهناك جسيمات تتحسس بالضغط، واللمس**، وكيف أن الإنسان يتقلب في الليلة الواحدة ما يزيد على أربعين مرة، لأن الجسم إذا ضغط على جهة معينة ضاقت الشرايين فضعفت التروية، لذلك هذه الجسيمات تنقل الإحساس بالضغط إلى المخ وأنت نائم، والمخ يصدر

أمراً بالحركة، وهذا ورد في القرآن الكريم، وهو من إعجازه العلمي، قال تعالى:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٨]

ولو أن التقليب كان على اليمين فقط لوقع الإنسان من السرير، فحكمة اللّه عز وجل اقتضت أن يكون هذا التقليب ذات اليمين، وذات الشمال، هذا هو الإحساس بالضغط، وهناك الإحساس بالألم، يقول العلماء: **إن هناك من ثلاثة إلى خمسة ملايين نهاية عصبية تختص بالألم!** وأما للحر والبرد فهناك نهايات عصبية تزيد على مائتي ألف، وأما الإحساس بالضغط فهناك ما يزيد عن خمسمائة ألف نهاية عصبية؛ أي نصف مليون!!

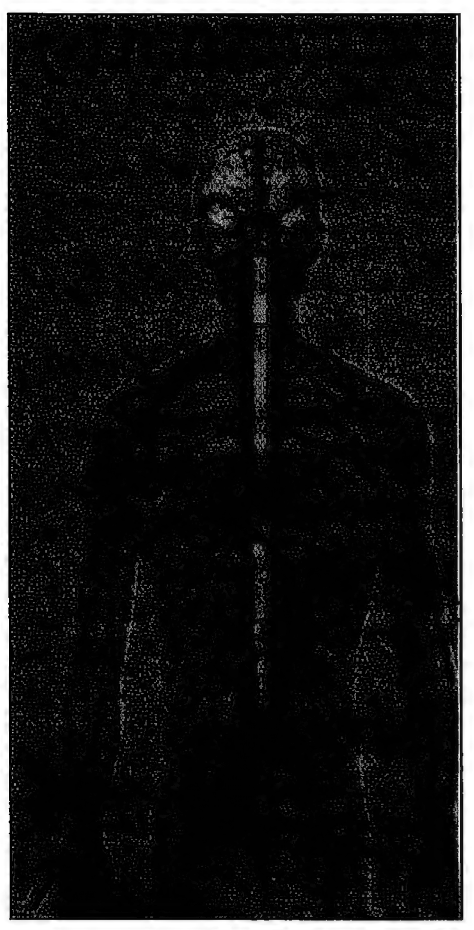

إن من آيات اللّه في الجسد الإحساس بالتوازن وهذا ما تحققه وظائف بعض الأعصاب يحققه ٥٠ مفصلاً ومئتا عظم ومئتا عضلة

هذه المعلومات الدقيقة من حر وبرد وألم، وضغط ولمس، ينقلها ستة وسبعون عصباً مركزياً إلى المخ، وأنت نائم لا تدري! إذا لامست يدك شيئاً حاراً فإن استجابة اليد عن طريق سحب اليد تقل عن واحد من مئة في الثانية، الشيء الخطر لا يستدعي إذا تعطلت الأجهزة ولم يصل الإحساس إلى المخ، ولكن يكفي أن يصل إلى النخاع الشوكي، الذي يصدر أمراً أن يدك لامست شيئاً حاراً، وأنت غير منتبه تسحبها في استجابة مثالية.

إن الإحساس بالتوازن ـ وهذا من وظائف بعض الأعصاب ـ يحققه خمسون مفصلاً، ومئتا عظم، ومئتا عضلة، كلها تسهم في أن تبقى واقفاً على قدميك دون اختلال في التوازن(١).

الجلد.. خط الدفاع الأول عن الجسد

يتعرض جسم الإنسان إلى العديد من المؤثرات الخارجية التي تقع على الجلد، فحرارة الصيف وبرد الشتاء لا يتعرف إليهما الجسم ولا يقوم بإدراكهما إلا عن طريق الجلد، ذلك لأنه يحمل تلك الأحاسيس إلى الأجهزة الداخلية المتخصصة التي تعمل بدورها على إحداث الاستجابات المناسبة. ومن ثم يعتبر الجلد، بما يحتويه من خلايا متخصصة، من أهم الأعضاء الحسية في جسم الإنسان.. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٦]

كما يعتبر خط الدفاع الأول ضد أي غزو ميكروبي يتعرض له الجسم لأنه بتغليفه للجسم من الخارج يكون أو ما تلامسه الميكروبات المرضية التي تسبح في الهواء أو تنقلها الحشرات أو ما إلى ذلك من الوسائل.

الخلايا الحسية:

وأثبت العلم الحديث أن السنتيمتر المربع الواحد من جلد الإنسان يستقبل حوالي ٨٠٠ مؤثر، ويحس بها، من خلال ٨ مستقبلات للحرارة، ١ للبرودة، ١٦ للمس، ١٣٠ للألم.. وأن الجلد هو المركز القوي (حيث إن نهاية الأعصاب الحسية في الجلد) فحين يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ثم يعلل ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فيكون هذا أداء بيانياً رائعاً اتفق مع الحقائق التي أثبتها العلم في أن الحس الأصيل في الإنسان هو الجلد، بدليل أن الجلد حين يحرق أو يكوىٰ يمتنع الإحساس بالألم «وذلك لموت الأعصاب الحسية في الجلد». ولكن المولى سبحانه وتعالى ذكر كلمة ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لأنه بدون ذلك سوف يشعر الإنسان

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الإنسان) د/ محمد راتب النابلسي.

بالعذاب مرة واحدة فقط هي أول مرة ثم تموت الخلايا الحسية في الجلد فلا يشعر بالعذاب. . فأراد اللّٰه أن يديم عليهم إحساسهم بالعذاب، ولذلك فحين ينضج الجلد وتموت الخلايا الحسية به يأتي اللّٰه لهم بجلد آخر به خلايا حسية حية ليذوقوا العذاب ويتكرر إلى أن يشاء اللّٰه رب العالمين.

علاج ذاتي:

ومن نعم اللّٰه على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى أن الجلد يعالج نفسه في كثير من الحالات، خاصة في الجروح والإصابات، فعندما تحدث إصابة للجلد تأخذ الأوعية الدموية في المنطقة المجاورة في التوسع، ومن ثم يتدفق خلالها مزيد من الدم، وفي الوقت نفسه تتسع المسام التي تتخلل الجدران الرقيقة للأوعية الدقيقة التي تسمى الشعيرات، لتتيح لسائل البلازما أن يتدفق إلى الأنسجة المصابة بمقادير كبيرة، كما أن زيادة السوائل في البقعة المصابة تؤدي إلى تمدد الأنسجة والضغط على الأعصاب وارتفاع الحرارة الموضعية مكان الإصابة، وهذه العملية بجملتها تسمى الالتهاب وهي إحدى وسائل الجسم الوقائية.

فالجلد له القدرة على قتل أنواع معينة من الميكروبات في يوم واحد، وأنواع أخرى في ثلاثة أيام. . كما له القدرة على قتل الفطريات أيضاً، فالطفل قبل سن البلوغ يصاب بالقراع الإنجليزي، لكن تصبح لديه المناعة ضد هذا المرض إذا تعدى سن البلوغ، ويغطي سطح الجلد بشعر تختلف غزارته باختلاف أماكن سطح الجلد. ولكي يبقى الشعر في حالة طيبة، زود اللّٰه تعالى كل شعرة بغدة تفرز مادة دهنية تغذي الشعرة، وتعطيها اللمعان اللازم، وتحميها من تأثير برودة الشتاء حيث تقل نسبة الماء في الجو، فيصاب الجلد بالتشقق والشعر بالجفاف، وتحميها أيضاً من حرارة الصيف، علاوة على أن هناك في الجلد مادة مشتقة من الكوليسترول تتحول إلى فيتامين «د» عند التعرض لأشعة الشمس فوق البنفسجية، وهذا الفيتامين يمتص، بدوره، من الجلد، ويؤدي دوراً فعالاً في الوقاية من مرض الكساح الذي يصيب الأطفال، كما أن فيتامين «د» يساعد على ترسيب الكالسيوم والفوسفور في العظام.

تنظيم حرارة الجسم:

والجلد مزود بحوالي من اثنين إلى خمسة ملايين غدة عرقية مسؤولة عن تنظيم درجة حرارة الجسم وخروج العرق، فالثابت علمياً أنه عندما ترتفع درجة حرارة جلد الإنسان خمس درجات مئوية، أو ترتفع درجة حرارة الدم نصف درجة، فإن الجلد يرسل إشارات إلى المخ الذي يرسل بالتالي إشارات إلى الغدة النخامية فترسل إشارات إلى الغدد العرقية لتفرز العرق، ومعروف أن كل لتر من العرق يأخذ من الجلد ٥٨٠ سعراً حرارياً وبذلك تنخفض درجة حرارة الجسم.

انظر إلى هذا الطفل كيف كساه اللّه بالجلد فأحسن صورته وجعل الجلد الخط الدفاعي الأول عن كل أعضاء الجسد

وبشرة الجلد توجد بها خلايا وظيفتها تكوين مادة الميلانين التي تكسب الجلد لونه ووظيفتها حماية الخلايا من أشعة الشمس الحارقة، ولذلك جعل هذه النواة ترتب نفسها في الخلية على هيئة قبعة تحيط بالنواة لتحميها، وإلا تعرضت النواة لتشوهات وانقسامات تسبب سرطان الجلد، وعدد هذه الخلايا في جسم الإنسان يقرب من ملياري خلية ووزنها ١ جم. ولو ولد الإنسان بدونها لأصبح جلده ناصع البياض وهو ما يسمى بعدو الشمس.

ويعكس الجلد كثيراً من التغيرات التي تطرأ على الجسم عضوية كانت

أو نفسية. . فمن الناحية العضوية يستطيع طبيب الأمراض الجلدية أن يكتشف بعض أنواع السرطانات الداخلية بمجرد النظر إلى جلد المريض، ومن الناحية النفسية، فإن القلق والاكتئاب والنشاط الفكري الزائد قد يؤدي إلى تفاعل جلدي بيولوجي، مما ينتج عنه أمراض كثيرة كالأكزيما العصبية ومرض شد الشعر.

والجلد يحتوي على نهايات الأعصاب التي نحس عن طريقها بشتى أنواع الإحساس وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٣]

. . الدليل الواضح على استخدام الجلد كوسيلة للتعبير والإحساس. ذلك أن ذِكرَ اللَّه عندما يكون من القلب، تشترك فيه حواس الإنسان كلها[١].

جهاز التكييف والتبريد في جسم الإنسان

من الآيات الدالة على عظمة اللَّه عز وجل أن في الإنسان جهاز تكييف وتبريد، يعد من أدق وأعقد الأجهزة، فالإنسان كائن يتميز بحرارة ثابتة، تعادل سبعاً وثلاثين درجة، فكيف يصنع لو ارتفعت الحرارة، أو انخفضت، هو لا يموت إلا في حالتين؛ إذا ارتفعت حرارته إلى الخامسة والأربعين مع الرطوبة المطلقة، أو ارتفعت إلى درجة الستين مع الجفاف المطلق، فما دون هاتين الحالتين فالإنسان مزود بجهاز بالغ التعقيد يثبت حرارته في الدرجة السابعة والثلاثين، كيف يكون ذلك؟

في الإنسان من ثلاثة إلى أربعة ملايين غدة عرقية، موزعة في الجلد توزيعاً حكيماً، ففي باطن اليد مثلاً في السنتمتر المربع أربعمائة وثمانون غدة عرقية، هذه الغدد العرقية لو وصل بعضها ببعض لصار طولها خمسة كيلو مترات في جسم كل منا، هذه الغدد العرقية في أيام الحر الشديدة تفرز عرقاً من مائتي سنتمتر مكعب يومياً، إلى ألف وخمسمائة سنتمتر مكعب في الساعة الواحدة، فإذا أفرز العرق، وانتشر على سطح الجلد الذي تزيد مساحته في الإنسان على متر وثمانية بالعشرة من الأمتار المربعة، **هذا الماء الذي تفرزه خلايا العرق، يتبخر، ومع التبخر يحصل ما يسمى التبادل الحراري،** فحينما يتبخر العرق يمتص حرارة من الجسم تعيده إلى الدرجة الثابتة، إنه من أعقد أجهزة التكييف في الكون.

---

(١) الخليج العربي ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥م

وحينما يبرد الإنسان تضيق الأوردة لتخفف جولان الدم في السطح الخارجي، ليحافظ الدم على حرارته، فإذا شعر الإنسان بالحر اتسعت الشرايين والأوردة حتى ينتشر الدم في أوسع مساحة في الجلد، أما إذا برد الإنسان فإن لونه يصفر، لأن قطر الأوردة والشرايين يضيق ليبقى الدم في الداخل محافظاً على حرارته ليعوض بذلك ما فقده في المحيط الخارجي، وحينما يقف شعر الإنسان يحجز هواء ساخناً بحجم أكبر.

فهناك آلية معقدة تتم لو هبطت الحرارة عن الحد المعقول، وهناك آلية معقدة تتم لو ارتفعت الحرارة عن الحد المعقول.

لو أن ألف سنتمتر مكعب من العرق خرج من الإنسان لفقد من الحرارة ما يساوي ألفاً وثلاثمائة سعر حراري، فهو جهاز تكييف دقيق، يواجه الحر، ويواجه البرد.

هذه من آيات اللّه الدالة على عظمته، واللّه سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

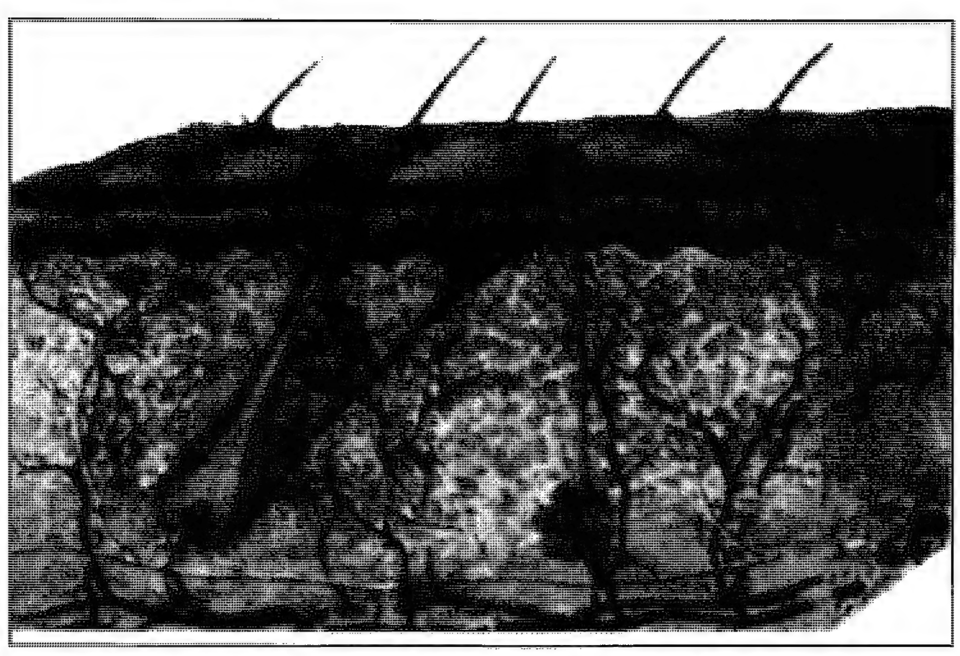

هذه صورة لسطح جلد الإنسان وانظر إلى ما تحت طبقة الجلد
مصنع متكامل للتكييف والتبريد وقال العلماء: إن ما تحت الجلد أعقد أجهزة التكييف في الكون

جهاز التعرق عند الإنسان

في الإنسان جهاز للتبريد، ويسميه بعض العلماء جهاز التعرق، هذا الجهاز بمنزلة جهاز التبريد، وجهاز التنظيم الحراري للإنسان.

يتألف هذا الجهاز من مليون وحدة تبريد، أي مليون غدة عرقية، والغدة العرقية الواحدة تتألف من أنبوب طوله مليمتران، وقطره عشر الميليمتر، هذا الأنبوب يلتف على نفسه، ويتصل بالجلد، وتتوزع هذه الأنابيب على سطح الجلد على نحو غير متساو، تكثر في الجبين، وفي أخمص القدم، وباطن الكف، وفي أماكن أخرى من الجسم، بمعدل ثلاثمائة غدة عرقية في السنتيمتر الواحد، **وكل غدة عرقية جهاز تبريد كامل،** وهذه الأنابيب المليون إذا وصل بعضها ببعض بلغ طولها خمسة كيلو مترات في كل جسم، وفي كل مئة غرام من العرق الذي تنضح به هذه الخلايا تسعة وتسعون غراماً ماء، وغراماً واحداً من المواد المنحلة، نصفها من الملح، ونصفها من البولة، وبعض المواد الكيمائية الأخرى، والإنسان يفرز من العرق في الأربع والعشرين ساعة من ستمائة غرام إلى ألف غرام، إلى ما يعادل كيلو غراماً من العرق، وإفراز العرق مستمر، ولا نشعر به إلا إذا كان غزيراً، والدليل على أن هناك إفرازاً مستمراً ليونة الجلد، ورطوبته، **ولولا التعرق لما كان هناك ليونة، ولما كانت هناك رطوبة، والتعرق صمام أمان لارتفاع حرارة الجسم،** كيف أن بعض الأواني البخارية لها صمام أمان مخافة أن تنفجر، وكذلك الجسم، لو أن الحرارة ارتفعت فوق معدلها لمات الإنسان، لذلك هناك صمام أمان، فإذا ارتفعت حرارة الجسم من الداخل، أو كان هناك حرارة من الخارج، فإن هذه الأجهزة تفرز الماء الغزير، وهذا الماء الغزير يمتص الحرارة الزائدة فيتبخر، وبهذه الطريقة يحافظ على حرارة الجلد المعتدلة.

من وظائف التعرق طرح البولة، وتليين الجلد، وتنظيم حرارة البدن، لذلك يجب العناية بتنظيف الجسم لإزالة آثار التعرق الكريهة، لأن في جسمنا أملاحاً، وحمض بولة كما في البول.

إن غسل الجمعة يرقى إلى الواجب، لإزالة أسباب التعرق، وحق اللّه على المسلم أن يغتسل كل سبعة أيام، كما ورد في الحديث، فعن جابر رضي اللّه عنه

قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(على كل مسلم غسل في سبعة أيام كل جمعة)**(١). والنظافة من الإيمان، فبهذا التنظيف تزال رائحة التعرق الكريهة وتزال رواسب التعرق بعد التبخر، وتفتح مسامات الجلد، وتفتح فوهات غدد التعرق(٢).

الأسنان.. شجرة تنبت بلا نواة

الأسنان من المعجزات الإلٰهية في جسم الإنسان فهي تنبت من عظام الفكين في الفم، وكأنها شجرة زرعت بلا نواة.

يتكون طقم الأسنان البشرية من ١٦ سناً في كل فك، وتوجد في الأمام ثمان من الأسنان القاطعة الشبيهة بالإزميل أو «القواطع» وخلفها توجد أربعة أنياب، وخلف هذه أيضاً توجد ثمانية ضروس قبل الطاحنة و١٢ ضرساً طاحناً.

ومن المعتاد أن

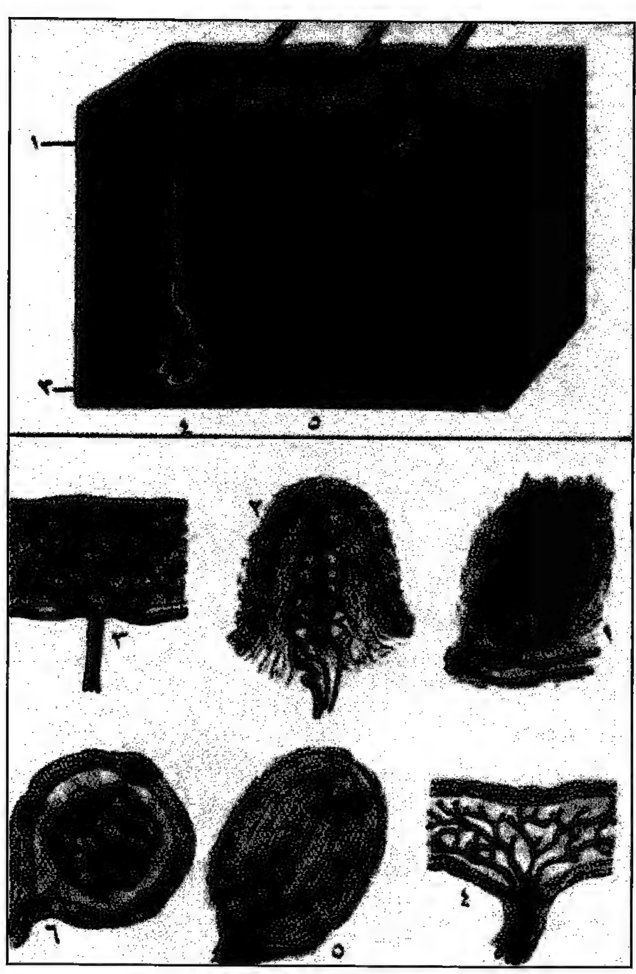

جهاز التعرق عند الإنسان يتألف من مليون وحدة تبريد أي مليون غدة عرقية وكلها تتصل بالجلد عن طريق أنابيب بمعدل ثلاثمائة غدة عرضية بالسنتيمتر الواحد

(١) رواه أحمد برقم (١٤٣٠٥).
(٢) آيات اللّه في الإنسان، د/ راتب النابلسي.

ينمو الطفل إلى سن ستة أو سبعة شهور قبل أن تبدأ أسنانه في الظهور وتسمى هذه الأسنان الأولى اللبنية.. ويسميها البعض «الأسنان الساقطة» لأنها مثل أوراق الشجر الموسمية، ليست دائمة، بل تسقط.

وجاء في موسوعة «جسم الإنسان» ترجمة وإعداد الدكتور عبد المنعم عبيد أن أول الأسنان التي تظهر هما السنان القاطعتان المركزيتان في الفك السفلي، وبعد ذلك، وفي ترتيب شبه منتظم يستغرق ١٨ شهراً إلى سنتين، تشق ١٨ سناً أخرى طريقها في اللثة، وعندما يصبح عمر الطفل سنتين إلى سنتين ونصف السنة، يكون لديه طقم كامل من عشرين سناً. وعلى الرغم من أن الأسنان الساقطة صغيرة حقاً، إلا أنها قوية جداً وقادرة على معالجة أجمد أنواع الطعام التي قد يصادفها الطفل.

مراحل الظهور:

وتتكون الأسنان داخل المادة العظمية للفكين العلوي والسفلي. وعندما تنبت (تشق طريقها في اللثة)، فإن عليها أن تخترق الأنسجة التي تغطي العظام، وتسبب التهاباً واضحاً أثناء هذه العملية، وفي هذا ما يكفي لأن يسبب للطفل ارتفاعاً في الحرارة، واضطراباً ملحوظاً في الشهية والحالة العامة.

وقال: عندما يصبح عمر الطفل ست سنوات، تظهر أربع أسنان جديدة، وهذه هي الضروس الطاحنة أو التي كثيراً ما تسمى «طواحن السنوات الست» وهي أول الأسنان الدائمة في الظهور.

وبعد ذلك، وأثناء فترة خمس أو ست سنوات، يتم دفع الأسنان الساقطة بواسطة الأسنان الدائمة التي تنمو تحتها، وعندما يتم فقد كل الأسنان اللبنية تظهر الطواحن الأربعة التالية مباشرة خلف الطواحن الأولى، ولا يتبقى سوى الطواحن الثالثة، لكي يتم طاقم كامل من الأسنان الدائمة.

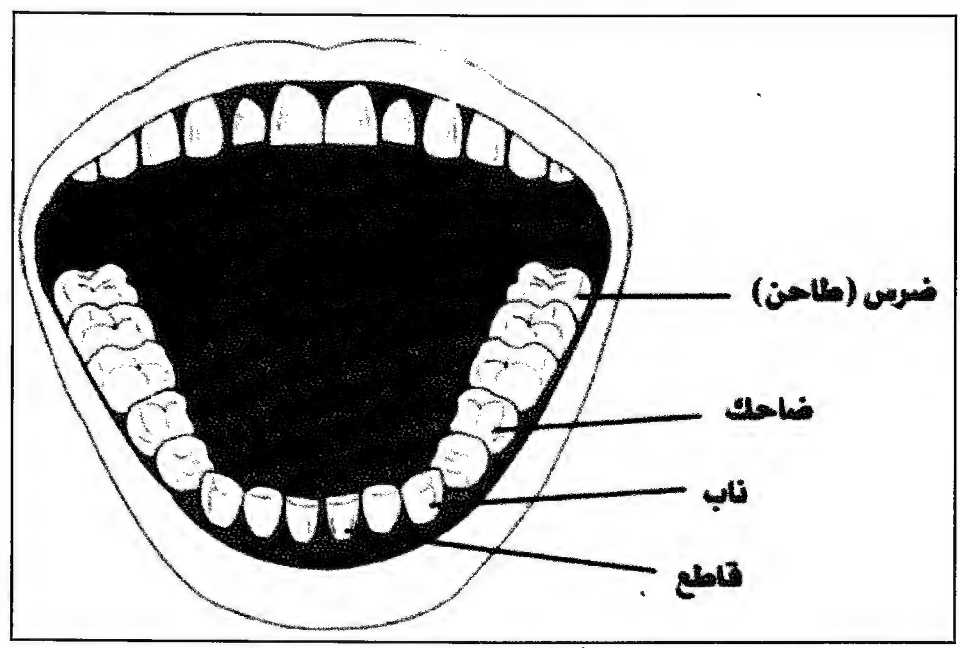

الأسنان من المعجزات الإلهية في جسم الإنسان فهي تنبت من عظام الفكين
في الفم وكأنها شجرة زرعت بلا نواة ويتكون طاقم الأسنان البشرية من ١٦ سناً في كل فك

هذه الضروس الأربعة عادة ما تسمى بضروس العقل . . ونادراً ما تظهر قبل سن الخامسة عشرة وفي بعض الأشخاص يتأخر ظهورها حتى سن متأخرة، وفي أشخاص آخرين ربما يعاق ظهورها بسبب الضروس الطواحن الثانية . . وهذه الحالة تعرف باسم ضروس العقل المدفونة .

وأشار أطباء الأسنان إلى أن كل سن تتكون من ثلاثة أجزاء، فالجزء الذي يظهر فوق اللثة يسمى التاج، أما الأسنان القاطعة الأمامية فلها تاج حاد كالإزميل للقطع، في حين أن الطواحن مسطحة للطحن، ويندمج التاج بعد ذلك في جزء أضيق من السن يسمى «العنق» وهذا بدوره يؤدي إلى الجذر ولمعظم الأسنان جذر واحد ولكن مثبت بقوة في جيب متكون في عظم الفك .

وتتكون كتلة كل سن من مادة باهتة الاصفرار تسمى «العاج» وخارجها توجد طبقة من «الميناء» التي تعطي السن مظهرها المميز، وفي مركز العاج في كل سن يوجد «كهف النخاع»، وهو تجويف مملوء بالنسيج الضام الذي يحتوي على الأوعية الدموية والأعصاب الخاصة بالسن . .

وهذه تدخل السن من ثقوب صغيرة عند قمة كل جذر. . ويتم استقرار كل سن في الفك بوساطة طبقة رقيقة من النسيج الليفي الجامد الذي يحتل المسافة الضيقة بين جذر كل سن وجدار الجيب الذي تبيت فيه السن.

الضروس والقواطع:

وحول الحكمة من مراحل خلق الأسنان وكيفية عملها تقول الدكتورة نعمت صدقي في كتابها «معجزة القرآن»: لا تنمو الأسنان وتخرج من اللثة إلا عندما تقترب حاجة الطفل إلى المضغ، ثم تملأ بعد ذلك فكيه ليمضغ الطعام، حتى إذا ما كبر حجم الفكين في سن السابعة سقطت هذه الأسنان الصغيرة ونمت بدلاً منها أسنان أكبر وأقوى. . فإذا ما كبر حجم الفكين ثانياً أطل ضرس جديد في نهاية كل فك فملأ الفراغ الذي نشأ عن زيادة حجمه، فما أن يكبر حجم الفكين مرة أخرى ويقترب المرء من سن العشرين حتى تتكرر زيادة الأضراس الأربعة فتملأ الفراغ ثانياً.

وجعل اللَّه تعالى في الجزء الأمامي من الفك، أي بين شفتي الفم، الأسنان وهي القواطع التي تقضم الطعام. . ولذا وضعها سبحانه في مدخل الفم، ثم الأنياب في الجانبين الأماميين وهي التي تمزق اللحوم حيث خلقها اللَّه تعالى مدببة الأطراف. . ثم الضروس صفين في داخل الفم خلف الخدين اللذين يمنعان سقوط الطعام إلى خارجه، وهذه الضروس تطحن الطعام طحناً فتعده للهضم.

كان رسول اللَّه ﷺ يستخدم السواك لنظافة الأسنان وحمايتها من التسوس. . ويتفق ذلك مع ما وصل إليه العلم الحديث حيث تأكد أن أسنان الإنسان ليست مجرد قطع صغيرة من الأنسجة الصلبة في الفكين، إذ إنها تحتوي على طبقة خارجية تتكون من ميناء صلبة جداً وطبقة العاج وهي أكثر ليونة، ولب السن حيث توجد الأوعية الدموية والأعصاب. . أيضاً يتكون الجزء الداخلي من كل سن من نسيج حتى يتم مداده بأوعية دموية صغيرة وأحد الأعصاب، والعصب هو الذي ينقل الإحساس بالألم حينما يصيب المرض أحد الأسنان. . وثبت علمياً أن هناك أعداداً هائلة من الجراثيم تعيش داخل أفواهنا. . وهذه الكائنات المجهرية تعجز عن إحداث المرض مباشرة،

ولكنها عن طريق ميناء الأسنان، ومن هنا تأتي أهمية النظافة التي أوصى الإسلام بها للأسنان.. ولكل أعضاء الجسم الإنساني.

إعجاز الجهاز البولي في الجسد

يعمل الجهاز البولي على فصل البول من الدم وطرده خارج الجسم، وإذا توقف عن عمله كانت نهاية الإنسان فوراً.. ويعد هذا الجهاز من أروع الأدلة على وجود اللّه عز وجل ورحمته بالإنسان وعظيم إبداعه في خلقه.

ويتكون الجهاز البولي من الكليتين، والحالبين، والمثانة. ويتكون نسيج الأولى من عدة ملايين من الشعيرات الدقيقة وأهم وظائفها تخليص الدم من الفضلات السامة التي تخرجها خلايا الجسم عقب عملية التمثيل الغذائي، مثل حمض البوليك، وغيره، مما لو تركت في الدم لحدث ما يسمى «التسمم البولي»، أيضاً تعمل على تخليص الدم من المياه الزائدة عن حاجة الجسم، كما تنتظم نسبة تركيز الأملاح والسكر وبعض المواد الأخرى في الدم. ويحمل الشريان الكلوي الدم إلى القلب بعد تخليصه من هذه الفضلات، وبعد ذلك يتم ضخ هذا القلب بعد تخليصه من هذه الفضلات، وبعد ذلك يتم ضخ هذا الدم عبر الشريان الرئوي إلى الرئتين لتنقيته من غاز ثاني أكسيد الكربون واستبداله بالأوكسجين.

تفرز الكليتان البول بصفة مستمرة، فيرسل أولاً بأول إلى المثانة عن طريق الحالبين، والحالب عبارة عن قناة أسطوانية ممتدة من حوض الكلية إلى المثانة وهو ينقبض انقباضات منتظمة من أعلى إلى أسفل تتكرر بمعدل ثلاث مرات في الدقيقة الواحدة وتزيد في حالة المرض لتدفع ما يوجد في البول من أجسام غريبة مثل الحصى والرمل.

والمثانة عبارة عن كيس عضلي في أسفل البطن، وهي تقوم مقام خزان للبول وفيها فتحتان يوصل كل منهما لأحد الحالبين القادم من الكلية التي في جهتها وتسمح هذه الفتحات بالمرور من الحالب إلى المثانة وتمنعه من الرجوع مرة ثانية.. وعندما تمتلئ المثانة يشعر الإنسان بالرغبة في التبول.

يقول الدكتور عبد الرزاق نوفل في كتابه «وما خفي كان أعظم»: إنه يوجد دائماً في مثانة الإنسان بعض البول.. وعندما يزيد فإنه يسارع

بإخراجه. وهذا البول يصل إلى المثانة من الكلى عن طريق قناة تخرج من الكلية إلى المثانة.. ولا يسمح أبداً أن يرجع منها إلى الكلى مرة أخرى.. مهما تغير وضع الإنسان ولا يمكن أن يرتد ولو بعض البول إلى حيث كان، وهذا يخالف كل القوانين الطبيعية.. وكل النظريات العلمية.. التي تؤكد كلها أنه ما دام السائل يجري في مجرى من مكان إلى آخر.. فلماذا لا يعود القهقرىٰ.. لا سيما لو انعكس وضع الاتجاه الذي يكون عليه الجسم الذي يوجد به المجرى!! إلا في الجهاز البولي، لحكمة اللّٰه سبحانه وتعالى ورأفته بعباده.

وأضاف أنه لا يقتصر الإعجاز في هذا الجهاز على هذا فإنه إذا ما قورن بعمل الكلى وأجزاء الأجهزة التي تقوم على فصل البول وإخراجه.. ليجد أن هذا الجهاز يحمل من المعجزات عشرات أروع.. ومئات أعمق.. وآلاف أعظم من استمرار جريان البول في القناة في اتجاه واحد لا يتغير.. فلكل إنسان كليتان متشابهتان ومتماثلتان.. لهما حجم واحد.. ووزن واحد. إلا أنه لو أصاب المرض أحدهما فتعطلت أو وجب استئصالها، سارعت الكلية الثانية إلى النمو الفوري.. حتى تواجه وحدها ما يحتاجه الجسم. فتقوم الكلية الواحدة بعمل الكليتين معاً ولا يعرف العلم كيف تقوم الكلية الواحدة بنفسها ودون تدخل خارجي أو داخلي.. بالانقسام والنمو، والتنشيط لتضاعف عملها، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بإرادة اللّٰه.

ولا يقتصر عمل الكلية على مجرد إفراز البول من جسم الإنسان بكمية تصل في المتوسط إلى لتر ونصف لتر في اليوم الواحد.. إذ إن لها من الأعمال الخطيرة ما يظهر طبيعة دور الكلى في حياة الإنسان وما تقوم به فلا بد من أن يمر الدم بكليتين، إذ إن الحقيقة العلمية تؤكد أن الدم يمر ثلاثمائة مرة في الكليتين في اليوم الواحد، وما ذلك إلا لفصل الأملاح الضارة والمواد السامة منه وإخراجها من الجسم. وتقوم الكلية بعمل مضاد لذلك أيضاً، إذ إنها تمر بمرور الدم فيها تعمل على الحفاظ على الأملاح الضرورية في الجسم والمواد الزلالية.. فيحتفظ الجسم بالمعدلات الثابتة المطلوبة.

الخلق. ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٨]

من أسرار الجسد:

فلنحاول طرق أبواب هذا العالم المعقد، وسبر أعماقه بكل تؤدة وخشوع لعلنا نعيش في ظل هذه الآيات القرآنية التي تجعل الحليم حيران.

في المعدة يوجد (٣٥) مليون غدة معقدة التركيب لأجل الإفراز. أما الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء فتقدر بمليار خلية.

في العفج والصائم يوجد (٣٦٠٠) زغابة معوية في كل (١) سم مربع لامتصاص الأغذية المهضومة، وفي الدقائق (٢٥٠٠) زغابة مع العلم أن طول الأمعاء ثمانية أمتار.

في مخاطية الفم يوجد (٥٠٠,٠٠٠) خلية تعوض فوراً وذلك كل خمس دقائق.

يوجد في اللسان (٩٠٠٠) حليمة ذوقية لتمييز الطعم الحلو والحامض والمرّ والمالح.

لو وضعت الكريات الحمراء لجسم واحد بجانب بعضها في صف واحد، لأحاطت بالكرة الأرضية التي نعيش عليها (٥ ـ ٦) مرات، أما مساحتها فتقدر بـ (٣٤٠٠) وعددها (٥) ملايين كرية حمراء في كل مليمتر مكعب من الدم.

وتجري كل كرية حمراء (١٥٠٠) دورة دموية بشكل وسطي كل يوم تقطع خلالها (١١٥٠) كم ألف ومئة وخمسين كيلو متراً في عروق البدن.

القلب: هو مضخة الحياة التي لا تكل عن العمل. عدد ضرباته (٦٠ ـ ٨٠) ضربة في الدقيقة الواحدة وينبض يومياً ما يزيد عن (مئة ألف) مرة يضخ خلالها (٨٠٠٠) ليتراً من الدم وحوالي (٥٦) مليون جالون على مدى حياة إنسان في المتوسط.... ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة دون حاجة لإصلاح؟!

تحت سطح الجلد يوجد (٥ ـ ١٥) مليون مكيف لحرارة البدن،

والمكيف هنا هو الغدة العرقية التي تخلص الجسم من حرارته الزائدة بواسطة عملية التبخر والتعرق.

يستهلك الجسم من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة بمعدل (٧٥٠٠,٠٠٠٠٠٠) سبعة آلاف وخمس مئة مليون خلية في الدقيقة الواحدة.

وبنفس الوقت يتشكل ويتركب نفس العدد من الخلايا تقريباً ولو تعلم أيها القارئ بناء وهندسة وفيزيولوجية الخلية الواحدة لسقطت على الأرض ساجداً من إعجاب صنع اللّه تعالى. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٤٣]

الرُّغامى عند الإنسان تتفرع إلى قصبات ثم قصيبات، وهكذا حتى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الأسناخ الرئوية، ويبلغ الأسناخ الرئوية حوالي (٧٥٠) مليون سنخ، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجدار عرق دموية صغيرة، وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز الفحم، ومنح الأوكسجين اللازم للبدن. إن شبكة الأسناخ تفرش مساحة تصل إلى ما يزيد عن (٢٠٠) متر مربع لتصفية الدم وفي الحالة الطبيعية لا يستخدم أكثر من عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات ينفتح المزيد من الأسناخ.

في كل يوم يتنفس الإنسان (٢٥) ألف مرة يسحب فيها (١٨٠) متراً مكعباً من الهواء يتسرب منها (٦,٥) متر مكعب من الأوكسجين للدم.

في الدماغ (١٣) مليار خلية عصبية و(١٠٠) مليار خلية دبقية استنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلايا العصبية من التأثير بأية مادة. والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية كأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان.

يتغذى الدماغ على الغلوكوز كمادة سكرية فقط بخلاف القلب الذي يتغذى على سكر الغليكوز أو حمض اللبن، الغلوكوز هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن وإذا وقع البدن في أزمة غلوكوز فإن آليات الجسم تفضل هذا العضو النبيل عن باقي أعضاء البدن في العطاء. وذلك لأن انقطاع الدم عنه (٣ ـ ٥) دقائق تؤدي لتخريب دائم للتراجع في

أنسجته. أما كمية الدم التي يحتاجها يومياً فلا تقل عن (١٠٠٠) ليتر.

لو وضعت الخلايا العصبية في الجسم بصف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض.

العين: في العين الواحدة حوالي (١٤٠) مليون مستقبل حساس للضوء وهي تسمى بالمخاريط والعصي هذه هي واحدة من الطبقات العشر التي تشكل شبكة العين والتي تبلغ سماكتها بطبقاتها العشرة (٠,٤) مم. ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصور بشكل ملون!! ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

[سورة التين، الآية: ٤]

أما الأذن: ففي عضو كورتي الذي يمثل شبكية الأذن يوجد (٣٠,٠٠٠) خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات بمختلف اهتزازاتها وشدتها بحساسية عظيمة.

وفي الأذن الباطنية يوجد قسم يسمى التيه لأن الباحث يكاد يتيه من أشكال الدهاليز والممرات والجدر والحفر والغرف والفوهات والاتصالات وشبكة التنظيم والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم!!

في الدم الكامل (٢٥) مليار كرية حمراء لنقل الأوكسجين، و(٢٥) مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن، ومليون المليون صفيحة دم لمنع النزف بعملية التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية في مخ العظام الذي يصب في الدم مليونين ونصف كرية حمراء في الثانية الواحدة وخمسة ملايين صفيحة، ومئة وعشرين ألف كرية بيضاء، وهذه أهمية العظم بتوليد عناصر الدم وتتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، ولنتذكر هذه الآية القرآنية التي تعبر عن الكهولة قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمى النفرونات ويرد إلى الكلية في مدى (٢٤) ساعة (١٨٠٠) ليتر من الدم، ويتم رشح (١٨٠) ليتراً منه، ثم يعاد امتصاص معظمه في الأنابيب الكلوية ولا يطرح منه سوى (١,٥) ليتر وهو المعروف بالبول.

ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠) كيلو متراً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

الحليمات الذوقية في اللسان

في تعصيب اللسان، توصل علماء التشريح إلى أن الحليمات الذوقية في الثلث الأخير من اللسان تتعصب بالعصب البلعومي اللساني، أما في الثلثين الأماميين فيتعصبان بشعبة عصبية تأتي من العصب الوجهي السابع وتسمى هذه الشعبة بعصب الطبل.

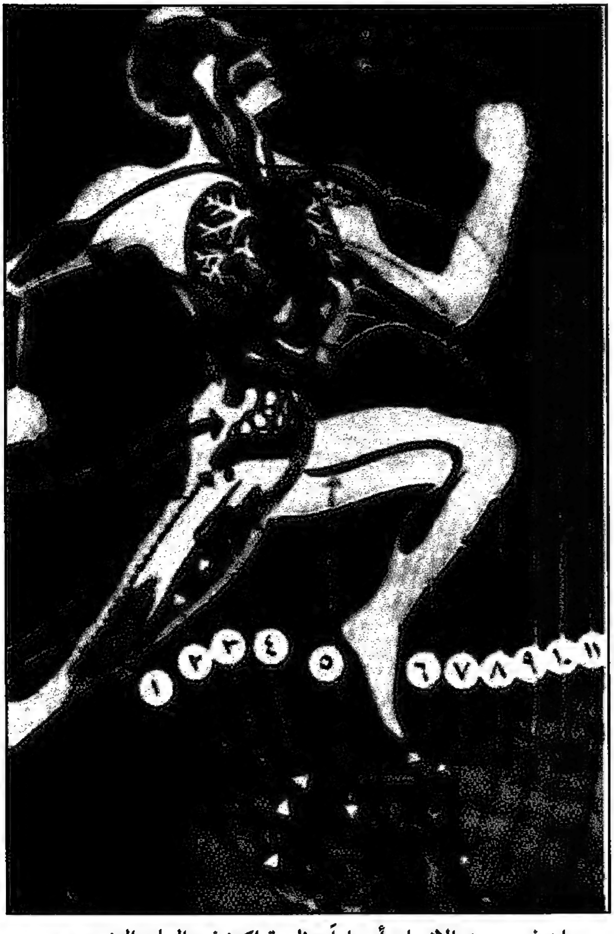

إن في جسد الإنسان أسراراً عظيمة اكتشف العلم التشريحي بعضها فرآها معجزات عظيمة وسيبقى الإنسان يكتشف ما في جسده وما في هذا الكون حتى يتبين له أن الله حق ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾

وإن الألياف الذوقية في العصب البلعومي اللساني والألياف الذوقية في حبل الطبل تنشأ جميعها من نواة واحدة في الدماغ هي النواة المنفردة وقد فكر في سر ذلك علماء العصر، فانتهوا إلى القول: إن عصب حبل الطبل هو عصب تائه لأنه قد ضل طريقه فهو عصب ذوقي نشأ في النواة الذوقية

التي نشأ منها العصب التاسع البلعومي اللساني ولكنه لم يسر معه بل طاف طويلاً فخرج مع العصب الوجهي، ثم دخل عظم الصخرة والأذن الوسطى، ثم اتبع طريق العصب اللساني ليحمل إلى مقدم اللسان حسن الذوق.

لقد قال من رأوا نصف العلم أن هذا الطريق الطويل الذي سلكه العصب التائه هو خطأ في التكوين ولكن اللّه سبحانه وتعالى الذي لا تنفد معجزات كتابه العظيم الذي قال فيه متحدثاً عن المستقبل: ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ** ﴾.

جعل العلماء يكتشفون سراً جديداً، فقد كان في مرور العصب المذكور داخل الأذن الوسطى على الوجه الباطن لغشاء الطبل ومرافقاً للرباط الطبلي الكعبي الخلفي، فالأمامي حكمة بالغة في خلق الإنسان وتحقيقاً لأمر آخر، ولم يكن من باب ضلال الطريق، ذلك أنه إذا نقص الضغط الجوي داخل الأذن الوسطى، انجذب غشاء الطبل نحو الداخل وضغط على هذا العصب ويؤدي هذا الانضغاط إلى تنبيه الألياف الذوقية التي يحملها فيؤدي ذلك لإفراز اللعاب من الغدد اللعابية وهذا يوجب على الإنسان أن يبتلع لعابه، وبعملية البلع هذه تنفتح الفوهة البلعومية للنفير السمعي (نفير أوستاش) فيدخل الهواء للأذن الوسطى ويتعادل الضغط داخل وخارج غشاء الطبل، فيعود لوضعه الطبيعي ويزول انضغاط العصب التائه ويتوقف إفراز اللعاب وهكذا دواليك. ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

ولو تابعنا بمحاولة التعرف إلى دقائق وعجائب جسم الإنسان لأصابنا الصداع نتيجة الهول والدهشة، ولكن سنقتصر على هذا القدر البسيط، فلنرجع ونتأمل الآيات القرآنية التي تصف خلق الإنسان لعلنا نقدرها بعض تقديرها.

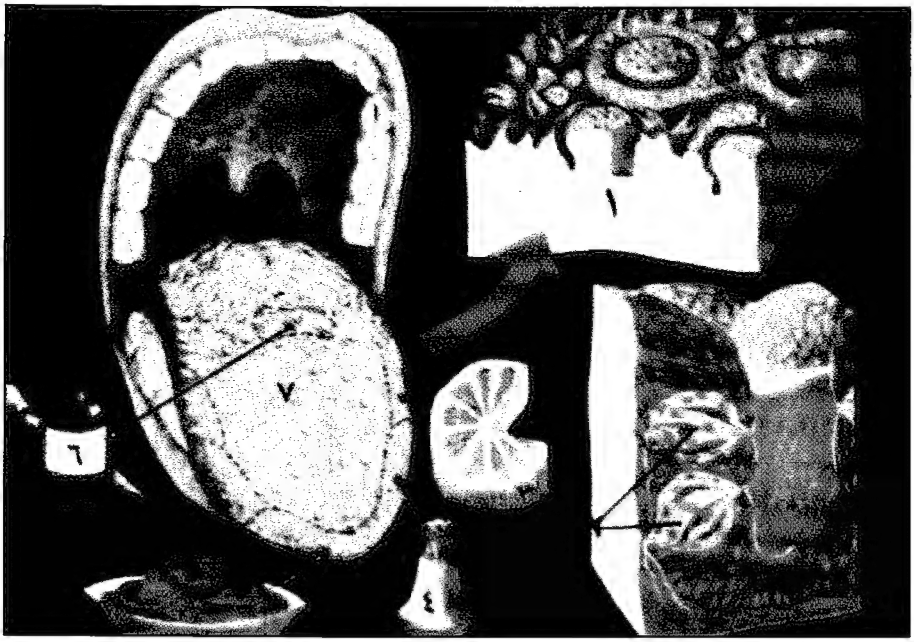

يقول العلماء: إن في اللسان آيات ومعجزات فقد وضع اللّه سبحانه فيه حواس التذوق ولولا هذه الألياف الذوقية لما عرفنا للطعام طعماً وما ميزنا بين الحلو والمالح والمر

الذاكرة

يقول اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

ما منا أحد إلا وفي دماغه شيء يسمى الذاكرة، والتي لها دور خطير في حياتنا، وقد استنبط هذا بعض العلماء من قوله تعالى:

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية: ٦٧]

كيف ترجع إلى بيتك؟ إنك تعرف مكانه، وكيف عرفت مكانه؟ إن مكانه قد أودع في ذاكرتك، وأنت في محلك التجاري كيف تأخذ من هذا المكان هذه القطعة، ومن هذا المكان هذه القطعة، لأن هذه القطع كلها مودعة في ذاكرتك، وأنت في بيتك تعرف مكان كل حاجة من حاجاتك، أين أودعت هذه الأمور؟ وأنت في مدرستك حينما تقرأ بعض الكتب، وتؤدي

امتحاناً، كيف يؤدَّى هذا الامتحان؟ إن هذه المعلومات قد أودعت في الذاكرة، وإن إنساناً دون ذاكرة مخلوق لا وجود له، ويستحيل عليه التعلم والتعليم قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية: ٦٧]

إن المقالات العلمية التي تتحدث عن الذاكرة تقول: **(إن الإنسان إذا عاش ستين عاماً فهناك من الصور التي تختزنها ذاكرته ما يزيد على ستين مليار معلومة)** فلو أردنا أن ننسخ هذه المعلومات في كتب لاحتاجت إلى آلاف المجلدات، كلها كتب تختزن المعلومات التي لا نعرف حتى الآن مكانها في الدماغ، وهناك نظريات جديدة تفترض أن الذاكرة ليس لها مكان في الدماغ؛ إنها مرتبطة بالحياة النفسية.

على كل هذه المعلومات التي تأتي إلى الإنسان بعضها يخزن في مكان قريب، ليسهل استرجاعه، وبعضها يخزن في مكان متوسط، وبعضها يخزن في مكان بعيد، وبعضها لا يخزن إطلاقاً فإذا خزنت تتوزع بحسب نوعها، فثمة ذاكرة للمشمومات، وذاكرة للمبصرات، وذاكرة للوجوه، وذاكرة للألوان، وذاكرة للعطور، وذاكرة للأسماء، هذا شيء دقيق، أما إذا أردنا استدعاء شيء، أو أردنا معرفته فيقول العلماء: **إن الذاكرة تسلك طريقة الترميز في وقت سريع**، فإذا قدم لك عطر شممته، لأنه قد خزن في ذاكرتك سبعة وتسعون نوعاً من العطور، وإن هذا العطر الذي شممته الآن يمر على هذه الأنواع كلها إلى أن يأتي التطابق، وتقول: هذا العطر اسمه كذا، هذا في المشمومات، وهذا في المطعومات، وهذا في الذوقيات، وهذا في المبصرات، وهذا في الوجوه، وهذا في الأسماء والأرقام، وفي كل شيء، . . . . المعلومات المتوافرة عن الذاكرة متواضعة جداً، ومع ذلك ففيها حقائق يحار فيها أصحاب العقول.

قال بعض العلماء: الذاكرة قاموس ومترجم فوري، والشيء الذي يدهش أن الخلية العصبية لا تنقسم، ولا تموت، فلو أنها انقسمت، وماتت لفقد الإنسان خبراته كلها، يقول لك: أنا خبرتي في الطب أربعون عاماً، وأنا خبرتي في القانون خمسون عاماً، وهذا خبرته في الصناعة كذا سنة، كل هذه

الخبرات تتراكم، وتتراكم حتى ينمو الإنسان، ولو فقد ذاكرته لفقد كل خبراته دفعة واحدة.

إن الذاكرة وحدها آية كبرى من آيات اللّه الدالة على عظمته(١).

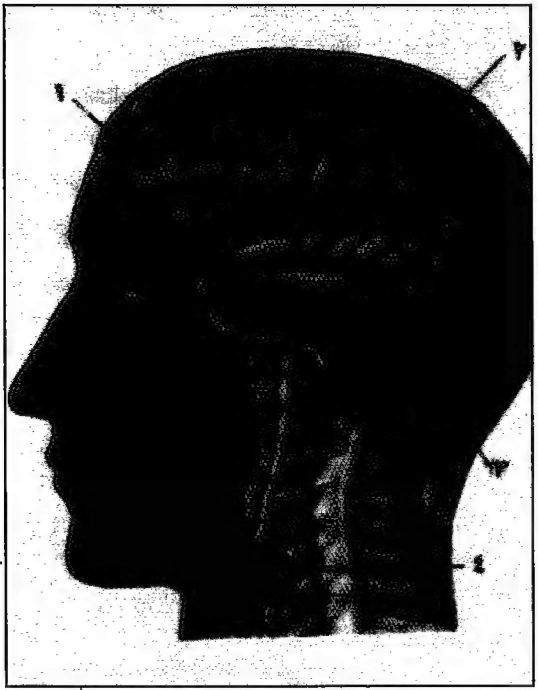

في كل جزء من الجسد آية وهذا الدماغ آيات إلهية وقدرة الدماغ على حفظ الذاكرة أمر إلهي يحاول الإنسان أن يفهم أسرارها عن طريق تشريح الدماغ

اختلاف ألوان البشر

يقول اللّه عز وجل في كتابه:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٢]

نقف وقفة سريعة عند قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

يقول العلماء: إن في أدمة الجلد خلايا عنكبوتية؛ أي على شكل العنكبوت، تمتد على جوانبها زوائد رقيقة، يصل عدد هذه الخلايا في كل بوصة مربعة إلى ستين ألف خلية.

إنه لا اختلاف في عدد الخلايا بين أبيض وأسود، فإن الخلايا في الإنسان الأبيض والإنسان الأسود الملون عدد ثابت، ولكن اختلاف التلوين نابع من كثافة المادة الملونة، وهذه المادة الملونة اسمها الميلايين.

إن بين إنسان ناصع اللون، وإنسان داكن اللون فرقاً في هذه المادة الملونة لا يزيد على غرام واحد، لكن الشيء الذي يلفت النظر أن هذه الخلايا تتناقص بمعدل عشر إلى عشرين في المائة كل عشر سنوات، لذلك

(١) د/ محمد راتب النابلسي موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ص ٢٢٤.

يميل جلد الإنسان مع تقدم العمر إلى أن يصبح أكثر نصاعة وأكثر بياضاً، ولكن هذا لا يعنينا، بل يعنينا ترسب هذه المادة الملونة في الخلايا العنكبوتية التي تحت أدمة الجلد، والتي يزيد عددها في البوصة المربعة الواحدة على ستين ألف خلية، حيث أن نسبة هذه المادة الملونة تحددها المورثات في نوية الخلية.

ولكن ما العلاقة، وما تفسير تلك الألوان الداكنة عند الشعوب التي تعيش في خط الاستواء، على أن الشعوب التي تعيش في قطب الكرة الشمالي أو الجنوبي ألوانها ناصعة؟ هنا حكمة الله عز وجل.

قيل: إن المادة الداكنة من خصائصها أنها تمتص الأشعة فوق البنفسجية الضارة، ولأن أشعة الشمس في خط الاستواء عمودية شديدة كانت الشعوب في هذه المنطقة ذات ألوان داكنة.

والآن إلى الآيات الكريمة، قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾. [سورة الروم، الآية: ٢٢]

يقول تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾

إن اختلاف ألوان البشر آية دالة على عظمة اللَّه عز وجل، وينبغي أن تدقق فيها، وأن تقف عندها، وأن تبحث عن السر الذي تنطوي عليه، إنك إن نظرت بعينك إلى وجوه الناس، لا ترى إنساناً له لون كلون آخر، فلو صوَّرته بآلة لوجدت أن اللون موحد تقريباً، بينما إذا نظرت بعينك إليهم رأيت كل إنسان له لون خاص، **بل إن العين البشرية كما هو ثابت تفرق بين ثمانمائة ألف درجة من اللون الواحد!** فهي ذات الدقة العالية التي تفرق بين الدرجات الدقيقة في التلوين.

عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول اللَّه ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: **(يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)**(١).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **(إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**(٢).

ـ وفي آخر خبر طبي أذيع على شبكات التلفزة في أنحاء العالم وكذلك على صفحات المجلات العلمية وشبكة الإنترنت أنه تم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي مراكز البحوث الطبية اكتشاف الجين المسؤول عن ألوان البشر وقال الخبر: إنه من الممكن مستقبلاً التحكم بهذا الجين وتغيير لون البشرة(٣).

الشفاء الذاتي

إن الترسانة الطبية ـ دواء وتقنية ـ لا تُمَكِّنُ الأطباء من علاج أكثر من ربع الأمراض، وبقية الأمراض إما أن تشفى بنفسها، أو أنه لا علاجَ لها.

الحقيقة الثانية: لا يوجد طبيب لم يرَ أو لم يسمع عن حالات شفاء مرض عضال دون سبب طبي واضح، إن الشفاء الغامض لكثير من الأمراض

(١) رواه الإمام أحمد برقم (٢٣٥٣٦).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٦٤).
(٣) موقع سبيس دوت كوم على الإنترنت SPACE.COM .

المستعصية كان يحدث دوماً منذ أن وجد الطب، لكن الطب لم يتوقف عندها، لأن بعضهم يرجعها إلى أسباب غير علمية، وهي في الحقيقة ترجع إلى رحمة اللّه بعباده، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[سورة الشعراء، الآيات: ٧٨ ـ ٨٥]

هناك جهاز خاص للشفاء الذاتي، لم تأت على ذكره فهارس كتب الطب أو قواميسه، وهناك حالات مرضية مستعصية شفيت على نحو غامض، ودون سبب واضح، من هذه الأجهزة التي أوكل إليها الشفاء الذاتي جهاز المناعة، وهو من الأجهزة الرائعة التي أبدعها الخالق، ليس لها مكان تشريحي ثابت، جهاز جوال، وهو مبرمج ليعرف أية خلية غريبة غير خلايا الجسد ليقوم بتدميرها، وأهم ما في الجهاز ذاكرته العجيبة، فهو لا ينسى أبداً، فهو سلاح يواجه عدواً من أمد طويل، ولولا هذه الذاكرة العجيبة لجهاز المناعة المكتسب لم يكن هناك فائدة إطلاقاً من التلقيح ضد الأمراض، هذه الخلايا خلال جهاز المناعة تُصنع في نقي العظام، وتعد إعداداً خاصاً وقوياً في الغدة الصعترية تحت عظمة الصدر، وكأن هذه الغدة معهد إعداد المصارعين، وهذه الخلايا هي خط الدفاع الأول في الجسم، كما تقوم هذه الخلايا بحماية الجسم من مرض السرطان، ولعل هذا من أبرز خصائصها، وإن من هذه الخلايا ما هو خلايا مستطلعة تتعرف إلى الجرثوم، أو إلى الخلية الغريبة، فتأخذ شفرتها، وتذهب بهذه الشفرة إلى الخلايا المصنعة كي تصنع سلاحاً مدمراً لها، وبعض هذه الخلايا تصنع الدواء المضاد، أو المصل المضاد، وبعضها خلايا مقاتلة تحمل هذا السلاح، وتذهب إلى أرض المعركة لتقضي على هذا الجرثوم، وبعضها خلايا ملتهبة، هذه الخلايا يهاجمها فيروس الإيدز فيدمرها، لذلك يعد أخطر مرض يصيب البشرية

اليوم مرض الإيدز؛ الذي يسبب تدمير جهاز المناعة المكتسب، الذي يحقق الشفاء الذاتي.

من أطرف وظائف هذه الخلايا، وهذه بشارة لمن أراد أن يقلع عن التدخين أن بعضها يذهب إلى الرئتين، ويلتهم بعض ما علق بالشعب الهوائية من آثار، وشوائب التدخين.

والجديد في هذا الجهاز أن هناك خلايا من مكونات جهاز المناعة المكتسب اكتشف في أواخر السبعينيات، هذه الخلايا قاتلة بالفطرة، بمعنى أنها تستطيع التعرف إلى الخلايا الشاذة قبل أن يبدأ شذوذها، أو تلك التي تسبب ورماً.

إلا أن أخطر ما في الموضوع أن وراء جهاز المناعة قوة خارج الجسم لا علاقة لها بالمناعة، تشكله، وتطوره، وتأمره، فالقوة المسيطرة ليست من داخل الجسم، بل من خارجه، ولا يعلم مؤلف الكتاب ما هي هذه القوة، إنها اللّٰه سبحانه وتعالى.

والحقيقة العلمية أن الاكتئاب، والحزن، والتوتر، والشدة النفسية (الكرب) تضعف من قوة هذا الجهاز، وأن الأمل والحب والهدوء يقوي إمكانات هذا الجهاز، لذلك فإن الشرك باللّٰه يضعف هذا الجهاز، قال تعالى في محكم تنزيله:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ٢١٣]

أما المؤمن فأمره تسليم وتفويض وتوكل وإيمان بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٢٣]

إن التوحيد صحة لأن الرضا، والطمأنينة، والأمن، والثقة باللّٰه، والتفاؤل بالمستقبل، كل هذا يقوي جهاز المناعة، الذي أوكل اللّٰه إليه الشفاء الذاتي، أما القلق، والخوف، والحقد، فممّا يضعف جهاز المناعة، وهذا

الجهاز هو عصب صحة الإنسان لذلك نجد أن المؤمنين المتوكلين على اللّه حق توكله هم من أسعد الناس وأكثرهم طمأنينة وهدوءً واتزاناً فهم يعيشون بسلام وقولهم سلام وحياتهم سلام يقول تعالى:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٦٣]

إن من عظمة الخلق الإلٰهي أن جعل في الجسد شفاء ذاتياً كالجرح الذي يلتئم ذاتياً ومن إبداع الخالق في الجسد جهاز المناعة وهو جهاز جوّال في الجسد ليدافع عن الجسد وأمراضه ومن كل غريب داخل

الجديد
في بحوث الطب البشري

الجديد في بحوث الخلايا الجذعية

أفرجت الأكاديميات الوطنية هذا الأسبوع عن خطط جديدة تتعلق بإجراء البحوث الخاصة بالخلايا الجذعية البدائية للإنسان.

وكان الناخبون في كاليفورنيا قد وافقوا على رصد ثلاثة مليارات دولار من أجل تمويل بحوث الخلايا الجذعية، بينما صادق المشرعون في ولاية ماساشوسيتس في أوائل الشهر المنصرم على قانون جديد يؤيد المضي قدماً في هذا المجال العلمي الجديد، والآن فقد أصبح يتعين على المناصرين للبحوث في الخلايا الجذعية الالتزام بمزيد من الصبر من أجل تحقيق أهدافهم في هذا المجال الجديد.

ويذكر أن الخلايا الابتدائية للإنسان كان قد تم التعرف إليها منذ أقل من عقد من الزمن قبل أن تستحوذ على اهتمام العلماء نسبة لما تتضمنه من حقيقتين أساسيتين:

أولاهما أن هذه الخلايا يمكنها أن تستنسخ نفسها في وعاء استنباتي جديد والمضي قدماً لتشكيل أي نوع من أنواع الخلايا في الجسم بصورة تقضي إلى إمكانيات علاجية واضحة وغير محدودة على حد سواء حيث يأمل العلماء في تحويل هذه الخلايا إلى أعصاب لمعالجة مرض الباركنسون قبل المضي قدماً في تحويلها أيضاً إلى خلايا الأنسولين بهدف معالجة مرض السكري، ولما كانت هذه هي الخطة العامة إلا أن مسألة تحويل الخلايا الجذعية البشرية إلى أي نوع آخر من أنواع الخلايا ما زالت تمثل تحدياً كبيراً للعلماء حيث إن عملية تطوير هذه الخلايا العنيدة ما زالت تواجه العديد من الصعوبات، بل إنه حتى لو تمكنا من إنتاج خلايا بديلة في الوعاء الاستنباتي

فإننا سنواجه المهمة الأصعب الخاصة بمدى قبول الجسم لهذه الخلايا، يبقى أن السؤال المهم لا يتعلق فقط بإمكانية حل هذه المشكلات وإنما بالتوقيت الذي يتم فيه، وهنا لسوء الحظ فإن التقدم العلمي يسير ببطء شديد فيما يبدو، فبينما يمضي المؤيدون لبحوث الخلايا الجذعية في الترويج لهذه البحوث كوسيلة لعلاج المرضى الذين يمكن أن يستفيدوا من إمكانياتها العلاجية إلا أن هذه المعالجات ليس من المرجح أن ترى النور في وقت قريب بحيث يستفيد منها معظم المؤيدين لها حالياً على الرغم من أن مرضى السكري من الدرجة الأولى ربما يشكلون استثناء شديد الأهمية.

وعما قريب فإن المجموعات المؤيدة لهذه البحوث والتي ظلت تشكل دعماً أساسياً لعلوم الخلايا الجذعية ستواجه ضغوطاً عاتية من أجل أن تبرهن على أنها راهنت على التكنولوجيا المناسبة، أما بالنسبة إلى الباحثين في هذا المجال فمن المتوقع أن يحققوا تقدماً ملحوظاً ولكن العلم في حد ذاته ليس من المتوقع أن يمضي بخطوات سريعة تتفق مع التوقعات المأمولة، وهذا هو السيناريو الذي ربما تعودنا على مشاهدته في السابق حيث إن العلاج بالجينات وليس بالخلايا الجذعية كما هو الأمر حالياً، ظل لفترة طويلة يمثل فكرة علاج الأمراض بواسطة إصلاح خلية منكسرة من خلايا الحمض النووي، وهي الوسيلة التي طالما اعتبرت التعبير النهائي للدواء الجزيئي، ولكن عملية المعالجة كما أخبرنا العلماء ما زالت بعيدة من التحقق، ولسوء الحظ فإن النجاح ما زال أصعب من أن يتحقق على المستوى النظري ناهيك عن إمكانية علاج الأشخاص، وقد جاءت حالة الموت المأساوي المفاجئ لأحد المتبرعين للخضوع للدراسات العلاجية ويدعى جسي جيلسنجر بالتزامن مع إدراك أن هذا النوع من العلاج ما زال على بعد سنوات عديدة من التحقق لكي تمثل انفراجاً للفقعة في نهاية المطاف، واليوم فلا يوجد سوى عدد قليل من الباحثين المحبطين الذين ما زالوا منهمكين فيما كان يعتقد أنه العلاج الذي يؤرخ لعصر جديد من البحوث.

ولكن هل هذا هو المصير الذي ينتظر علم الخلايا الجذعية الأولية بعد خمس سنوات أو عشر سنوات من الآن؟ آمل ألا يحدث هذا الأمر على الرغم من إمكانية حدوثه، ورغم ذلك فإن الصحف اليومية ما زالت تحتشد

بأنباء تتحدث عن التقدم الهائل الذي يشهده مجال العلاج، ولكن هذه التقارير تتناقض مع التقدم العلمي الذي يسير بخطوات شديدة البطء في هذا المجال.

أضف إلى ذلك التوقعات التي تشير إلى إمكانية التقدم في النواحي العلاجية والواردة في مبادرة الخلايا الجذعية التي وافقت عليها ولاية كاليفورنيا مؤخراً، وعلى سبيل المثال فإنه في حال الاندفاع في تجارب علاجية في مجال الخلايا الجذعية قبل التحقق من أن العلم قد وقف على أرضية صلبة فإن النتائج السلبية المترتبة من الممكن أن تؤدي بسهولة إلى فشل مستقبل هذا المجال العلمي بأكمله.

ولكن كيف السبيل إلى تجنب هذا المصير المأساوي؟ يتعين على العلماء أن يقوموا بأداء أفضل فيما يختص بمهمة تحديد تفاصيل معرفتنا الحالية عبر التركيز ليس فقط على الإمكانيات العلاجية التي تتمتع بها هذه الخلايا الجذعية، وإنما أيضاً على المدى الذي نبتعد فيه عن تحقيق هذه الإمكانيات، وعلى المجموعات المؤيدة لهذه البحوث أن تعمل على موازنة احتمالات الفشل والنجاح وأن تشرح لنا الأسباب التي تدعو إلى المعالجات الخاصة بالخلايا الجذعية التي ستستغرق وقتاً طويلاً لكي تتحقق، ولماذا يستحق الأمر كل هذا الانتظار، وفي هذه الأثناء يتعين على المنظمات أن تستمر في تشجيع العلماء للعمل بهمة أكبر وتحقيق النتائج المرجوة في أسرع وقت ممكن، ويجب على المحررين والمراسلين في الصحف والمجلات العلمية أن يتجنبوا نشر مواضيع البحوث التي تنطوي على نوع من الشكوك حتى إذا كانت هذه المواضيع مؤهلة لأن تكتسب أهمية إعلامية، وأخيراً فإننا سنحسن صنعاً إذا ما وضعنا في الاعتبار أن عرض البرامج العلمية في أجهزة التلفزة ربما يأتي على حساب الحقائق العلمية بشكل يؤدي إلى حالة من الإخلال والفوضى، وفي النهاية فإنني أتشكك في أن تمضي البحوث الخاصة بالخلايا الجذعية كأداء علاجية في تطور، إلا أن التقدم في هذا المجال الجديد من العلوم سيتطلب المزيد من الجهد والأموال والمزيد من الوقت بالطبع.

ولكن الرسام العالمي مايكل أنجلو كان قد لاحظ أن العبقرية هي نتاج

الصبر، لذا دعونا نأمل مع أولئك الذين يتطلعون إلى الخلايا الجذعية كوسيلة للعلاج ألا يطول انتظارنا[١].

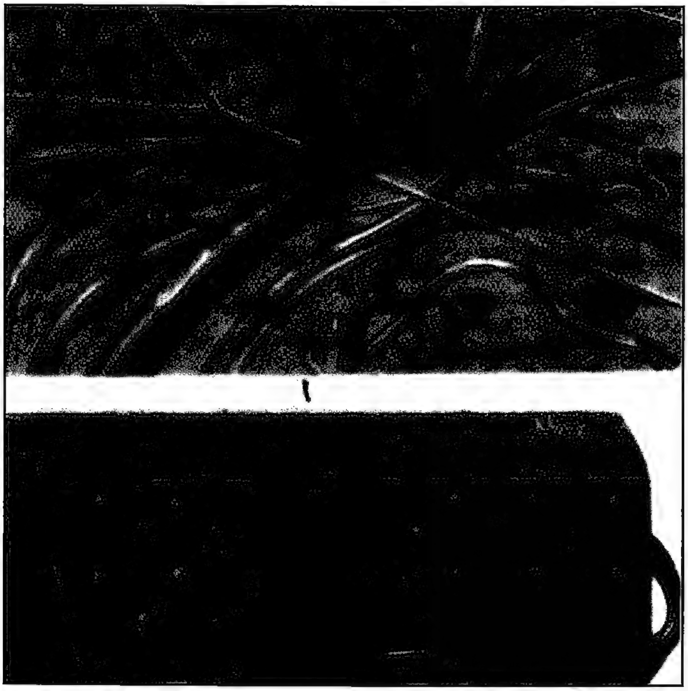

يقول العلماء: إن الخلايا يمكن أن تستنسخ نفسها بنفسها في وعاء استثنائي جديد والمضي قدماً لتشكيل أي نوع من أنواع الخلايا وهذا ما يسمونه (بحوث الخلايا الجذعية)

بدء استخدام الخلايا الجذعية في علاج أمراض القلب

قبل عامين تدهورت الحالة الصحية للسيد روزنبرج بسبب فشل قلبه، إلى درجة أن الأطباء أخبروه أنه لم يتبق إلا بضعة أشهر، قبل أن يتوقف قلبه عن النبض، وأن توافيه حتماً المنية، وأمام هذا المصير المحتوم، قرر روزنبرج السفر إلى مدينة فرانكفورت بألمانيا، كي يخضع لنوع من العلاج الحديث المعتمد على الخلايا الجذعية، في هذا العلاج، الذي لا زال في الطور التجريبي، تم سحب خلايا جذعية من نخاع عظام الساق، ثم حقنها في قلب السيد روزنبرج، والآن وبعد مرور عامين على تلقيه للعلاج، عبر

(١) ديفيد أيه شايوتز.

روزنبرج بوضوح وإيجاز عن مدى نجاح الأسلوب العلاجي الجديد بقوله: خلال بضعة أشهر أصبح باستطاعتي القيام بنشاطات يومية، لم أكن أتخيل حتى في أحلامي أن أتمكن من القيام بها يوماً ما، فالآن أستطيع أن أمشي بكل يسر وسهولة، وأن أصعد الدرج، وحتى لعب الجولف أصبح بإمكاني.

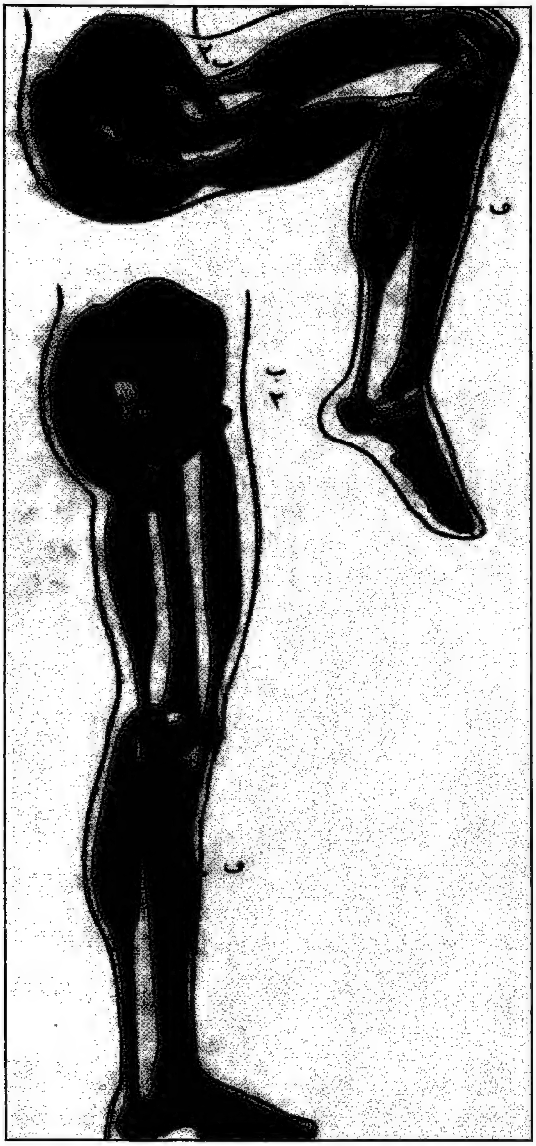

الخلايا الجذعية المستنسخة للعلاج تؤخذ من نخاع عظام الساق فقد جعل الله سبحانه في نخاع عظام الساق مصنعاً لإنتاج الفاقد من جسم الإنسان

لقد نجح العلاج باستخدام الخلايا الجذعية في أن يمنحني أعواماً من الحياة، لم أكن أعتقد سأحياها أبداً وأمام هذا النجاح الباهر، وكتعبيري عن العرفان، قرر روزنبرج إنشاء مؤسسة خيرية أطلق عليها اسم مؤسسة خلايا القلب Heart Cells Foundation هدفها المساعدة على توفير هذا الأسلوب العلاجي لأكبر عدد ممكن من المرضى في بريطانيا وحول العالم، وبالفعل في بداية هذا الأسبوع توجهت جهود المتطوعين في مؤسسة خلايا القلب ببدء دراسة علمية في اثنين من أكبر مستشفيات العاصمة البريطانية، للبحث في إمكانية استخدام الخلايا الجذعية المأخوذة من نخاع العظام، كوسيلة علاجية لإصلاح التلف الحاصل في عضلة القلب، هذه الدراسة، التي

تمويلها من مؤسسة خلايا القلب، ستجرى على سبعمائة مريض، وستقارن بين ثلاث مجموعات من المرضى، يمكن لكل منها أن يستفيد من هذا الأسلوب العلاجي الحديث، المجموعة الأولى: ستشمل ثلاثمائة شخص مرضى بهبوط أو فشل القلب، نتيجة إصابة سابقة بذبحة صدرية، أما المجموعة الثانية: فستشمل مائتي مريض مصابين بهبوط أو فشل القلب نتيجة تهدل أو تمدد عضلة القلب Cardiomyopathy أما المجموعة الثالثة: فستشمل مائتي مريض أيضاً أصيبوا حديثاً بذبحة صدرية وتلف في عضلة القلب، وفي المجموعات الثلاث ستتم تجربة أسلوب معتمد على خلايا جذعية مأخوذة من عظام الحوض، تحقن لاحقاً في داخل الشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب، أو أن يتم حقن عامل نمو، للمساعدة على تكاثر عدد الخلايا الجذعية في الجسم، والانتظار للتعرف إلى ما إذا كانت هذه الخلايا ستخرج من مكانها الأصلي في نخاع العظام، لتصل من نفسها عن طريق الدم إلى عضلة القلب، من ثم تقوم بإصلاح التلف الحادث فيها، هذا الأسلوب الأخير إذا ما نجح، فسيوفر على المرضى مخاطر تكاليف الإجراء الطبي اللازم لحقن الخلايا في داخل الشرايين التاجية مباشرة.

وتنتشر أمراض القلب والشرايين التاجية إلى حد كبير بين أفراد الجنس البشري، وخصوصاً في الدول الصناعية حيث تقتل أمراض القلب في بريطانيا مثلاً شخصاً كل ثلاث دقائق، وفي الولايات المتحدة تتسبب أمراض الشرايين التاجية في الإصابة بمليون ونصف المليون ذبحة قلبية في العام الواحد، تشير الإحصائيات الأمريكية، إلى أن ثلث الذين يتعرضون للذبحات القلبية يقضون نحبهم بسببها ومن بين هؤلاء يموت ٢٥٠٠٠٠ قبل أن يصلوا حتى إلى المستشفيات لإسعافهم، ولكن إضافة إلى من يلقون حتفهم، كثيراً ما تترك الذبحة الصدرية أثرها على القلب في شكل ندبة أو موت جزء من عضلة القلب، هذا الجرح الغائر، يؤدي لاحقاً إلى ضعف في قدرة القلب على ضخ الدم، وينتج عنه هبوط أو فشل القلب في تأدية وظائفه.

ورغم أنه يمكن للعقاقير الطبية أن تساعد مرضى هبوط القلب، إلا أن العلاج النهائي غالباً ما يكون في شكل زراعة قلب، أو عن طريق استخدام مضخة كهربائية أو قلب صناعي، ولكن للأسف هذه الاختيارات كزراعة قلب

جديد مثلاً، تحمل معها قائمة من المشاكل والمخاطر الخاصة، ففي ظل الوضع الحالي الذي اشتد فيه الطلب على القلوب البشرية الصالحة للزراعة وندر ما هو متوفر منها، أصبح على المرضى المحتاجين لتلك القلوب الانتظار لفترة طويلة تتعدى الشهور والسنين أحياناً، ولكن بسبب الحالة بالغة السوء لقلوب هؤلاء المرضىٰ، فكثيراً ما يلقون حتفهم قبل العثور على قلب مناسب، وحتى من يظلون منهم على قيد الحياة، تصل حياتهم الصحية إلى درجة من التدهور، يصبح معها من غير الممكن نقل القلب الجديد إليهم، وهذا الوضع المأساوي الذي غالباً ما يجد أصحاب القلوب شديدة المرض أنفسهم فيه، يؤمل أن تتمكن التقنيات الحديثة في مجال القلوب الصناعية من أن تخفف من وطأته إلى حد ما، ولكن حتى إن تطورت تقنيات الهندسة الطبية إلى درجة تجعل من القلوب الصناعية طويلة الاستخدام واقعاً طبياً عملياً وأن تصبح عمليات زراعة القلوب متوفرة لكل من فشل قلبه، سيظل اختيار إصلاح أعصاب القلب استخدام الخلايا الجذعية الخاصة بالمريض، هو الحل الأسهل والأرخص والأكثر فاعلية، إن أصبح إجراء روتينياً يوماً ما، فرغم ما تحمله أبحاث الخلايا الجذعية من آمال في علاج أمراض القلب وغيرها من الأمراض إلا أنها ما زالت تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة لإثبات فاعليتها أولاً، ثم سلامتها وأمنها للاستخدام ثانياً، وحتى وإن ثبتت فاعلية وسلامة استخدام الخلايا الجذعية هو ما من شأنه أن يحدث ثورة في عالم الطب، هو أن يغير إلى الأفضل حياة الملايين من البشر، إلا أنها ستظل دائماً ملاحقة بمعضلات أخلاقية وانتقادات اجتماعية، المعضلة الأخلاقية الكبرى، تتمركز في أن الكثير من أبحاث الخلايا الجذعية، يتم على خلايا تم الحصول عليها من أجنة، بعد تدمير هذه الأجنة.

وهذه المشكلة لا تنطبق على العلاج السابق، حيث أنه يعتمد على خلايا أخذت من جسد المريض نفسه، وإن كان يتوقع أن تحتل هذه المشاكل والانتقادات، أهمية أقل شأناً في واقع الممارسات الطبية اليومية، إن أصبحت بالفعل الخلايا الجذعية اختياراً عملياً لعلاج أمراض القلب، أو غيرها من الأمراض(١).

---

(١) د. أكمل عبد الحكيم، الخليج العربي ١٠/ ١١/ ٢٠٠٥م.

تناول الأسماك يؤخر تأثير تقدم العمر على المخ

إن استخدام الخلايا الجذعية هو ما من شأنه أن يحدث ثورة في عالم الطب إلا أن المعضلة الأخلاقية الكبرى تتركز في أن الكثير من هذه الأبحاث يتم على خلايا تم الحصول عليها من أجنة بعد تدمير وقتل هذه الأجنة

توصلت دراستان أمس أن تناول الأسماك مرة واحدة في الأسبوع على الأقل يبطئ من تأثير تقدم العمر على المخ وأن الإصابة بالسمنة في منتصف العمر تضاعف خطر الإصابة باختلال وظائف العقل.

وقالت الدراسة التي أجريت على سكان شيكاغو على مدى ست سنوات أنه ثبت أن أحماض (أوميجا ـ ٣) الدهنية التي تحتوى الأسماك تعزز وظائف المخ وتقلل خطر الإصابة بالسكتة أيضاً، كما تبين أن تناول الأسماك بصورة منتظمة يحمي المخ من تقدم العمر.

وكتبت مارت كلير موريس من المركز الطبي من جامعة روش في شيكاغو قل معدل تدهور المخ بين من يتناولون وجبة أسماك واحدة أو أكثر أسبوعياً إلى ما بين ١٠ ـ ١٣ في المائة سنوياً مقارنة بأولئك الذين يتناولون كميات أقل أسبوعياً.

وأضافت في تقرير نشرته دورية الجهاز العصبي على الإنترنت: إن معدل التدهور يعادل انخفاض عمر الشخص ما بين ثلاث إلى أربع سنوات.

وثبت التأثير الوقائي لتناول الأسماك بعد أن أثبت باحثون أن تناول الفاكهة والخضروات يحدث نفس الأثر.

ويعتبر مرض خرف الشيخوخة (الزايمر) ومسببات أخرى للاختلال العقلي من المشكلات المتنامية حول العالم خاصة في الدول المتقدمة التي يعيش سكانها عمراً أطول.

وفي دراسة أخرى نشرت في نفس الدورية توصل باحثون سويديون من معهد كارولينسكا في ستوكهولم إلى أن أياً من السمنة أو ارتفاع ضغط الدم أو ارتفاع معدلات الكولسترول في منتصف العمر يؤدي إلى زيادة خطر الإصابة بالاختلال العقلي بمقدار الضعف في مراحل متأخرة من العمر.

وقالت: إن من يعانون من الأعراض الصحية الثلاثة في منتصف أعمارهم يزيد خطر إصابتهم بالاختلال العقلي بمقدار ست مرات مقارنة بمن لا يعانون من هذه الأعراض.

وتم تقريباً إعادة فحص نحو ١٥٠٠ حالة شملتهم الدراسة التي بدأت عام ١٩٧٢م وتبين أن ١٦ في المائة من بين هؤلاء أصيبوا بالسمنة في منتصف أعمارهم وزاد خطر إصابتهم بالاختلال العقلي بمقدار الضعف بالمقارنة مع ربع من شملتهم الدراسة الذين كانت أوزانهم طبيعية في منتصف أعمارهم ومع

الأسماك التي جعلها الله سبحانه لنا لحماً طرياً نستخرجه
من البحر جعل فيها فوائد عظيمة منها كما قال العلماء: يؤخر تأثير تقدم العمر على المخ

نصف من خضعوا للدراسة وكانوا يعانون من زيادة قليلة في الوزن (١).

على طريقة جينات الزواحف
مشروع علمي لإعادة نمو الأطراف المبتورة
لدى الإنسان

شرع علماء بريطانيون بتنفيذ مشروع للتعرف إلى جينات الزواحف التي تؤهلها لإنتاج أطراف بديلة حال تعرض أطرافها أو أجزاء منها للأضرار، وأضافوا أن المشروع يهدف إلى فهم عمل تلك الجينات ومحاولة تنشيطها لدى الإنسان لتعويض الأطراف المبتورة لديه والتخلص من الندوب المتخلفة عن الجروح خصوصاً أن الإنسان يتشارك مع تلك الأحياء بنسبة ٨٥ في المائة من الجينات.

ويمتد المشروع الذي خصص له مبلغ ١٠ ملايين جنيه إسترليني وساهمت بتأسيسه جامعة مانشستر بالتعاون مع مؤسسة هيلنغ (الشفاء) على مدى ربع قرن، ويهدف إلى التعرف إلى الجينات التي تنشط عمليات توليد أنسجة الأطراف المبتورة وتنشيط مثيلاتها إن وجدت لدى الإنسان.

ويزعم العلماء في دراسة هذه الجينات لدى الشرغوف فرخ الضفدع الذي تندمل الجراح في جسمه في غضون ساعات قليلة من دون أي أثر للندوب، وينمو لديه ذيل جديد كامل خلال تسعة أيام.

أعلن أنريك أميا البروفسور في إعادة توليد الأنسجة في الجامعة أن الهدف واقعي خصوصاً أن الأجنة البشرية تمتلك مثل هذه الخصائص الممتازة، إذ إن العمليات الجراحية التي تجرى داخل أرحام الأمهات لا تخلف أي أثر للندوب بعد مرور عدة أشهر وأضاف أن هذه الخصائص التي يمتلكها الجنين تختفي بعد ولادته، حيث تظهر الندوب بعد الجراحات عند الكبار، ويقول العلماء: إن خلايا البلاستيما المتخصصة التي يولدها التمساح قد تلعب دوراً مهماً في إعادة نمو الأطراف ومن الأحياء التي لا تتخلف لديها

(١) الشرق الأوسط: ٢٠٠٥/٦/١٢م.

الندوب ويمكنها إنتاج أطراف جديدة التماسيح وبعض الديدان التي يكتمل نموها حتى بعد تقطيعها، وأفراخ الضفدع الصغير(١).

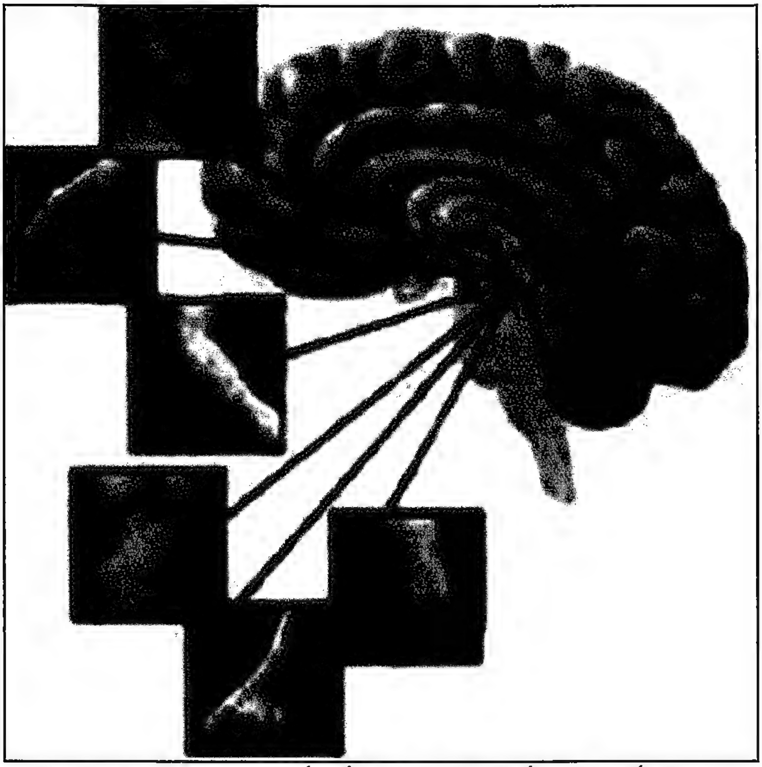

أمل الإنسان أن يحقق كل شيء وأمله أن يستطيع هذا الجسد
من خلال الأنسجة إعادة توليد الأنسجة في الجسد للفاقد منها كأن يفقد الإنسان
يده فتعيد الأنسجة هذه اليد كما كانت فهل ينجح العلم؟؟

السمك ضروري لاكتمال
نمو دماغ الجنين والحفاظ على ذاكرة المسنين

أفادت دراستان أمريكيتان مفصلتان أن السمك مفيد لاكتمال نمو دماغ الجنين والحفاظ على ذاكرة المتقدمين في السن، فقد توصل باحثون من جامعة هارفارد للطب في بوسطن إلى أن تناول الأمهات للأسماك أثناء فترة

(١) الشرق الأوسط : ١٨/ ٦/ ٢٠٠٥م.

الحمل يزيد من نمو الدماغ لدى الأجنة، الأمر الذي يظهر جلياً من خلال الأداء المتميز في الاختبارات القياسية للقدرات والمهارات الذهنية لدى الأطفال في سن ٦ أشهر مقارنة بغيرهم من الأطفال ممن لم تتناول أمهاتهم الأسماك أثناء فترة الحمل.

لكن الدراسة التي أجريت على ١٣٥ أماً ونشرت في العدد الأخير من مجلة توقعات الصحة البيئية الأمريكية شددت على ضرورة أخذ الحيطة والحذر من تناول أنواع من السمك تحتوي على كميات عالية من مادة الزئبق.

وخلص الباحثون إلى أن الأمهات اللواتي ترتفع في أجسامهن نسبة الزئبق فإن مواليدهن يسجلون نقاطاً متدنية في الاختبارات القياسية للقدرات والمهارات الذهنية للأطفال.

وعلقت الدكتورة أميلي أوكين الباحثة الرئيسة في الدراسة بأنه يجب على الأمهات الحوامل تناول الأسماك لكن عليهن في نفس الوقت الحرص على أن يكون من أنواعها ذات المحتوى القليل من الزئبق، كالسلمون والتونة الخفيفة وسمك الكود الأبيض، وذكرت أن لحوم الأسماك تحتوي على مادة أوميغا ٣ المهمة في نمو الدماغ ومحافظة على قدراته، كذلك خلص باحثون من المركز رش بشيكاغو إلى أن تناول السمك مرة في الأسبوع على الأقل يقلل كثيراً من تدهور القدرات الذهنية والعصبية لدى المتقدمين في العمر، الأمر يضعف احتمال الإصابة بالخرف والعته، ومنذ مطلع الشهر الجاري، صدرت عشر دراسات طبية على الأقل تؤكد فوائد الأسماك على صحة الدماغ وسلامة التفكير والمحافظة على الذاكرة وسلامة القرارات وتسلسل العبارات وغيرها من الأشياء التي يتأثر بها المسنون[١].

---

(١) موقع سبست دوت كوم على الإنترنت.

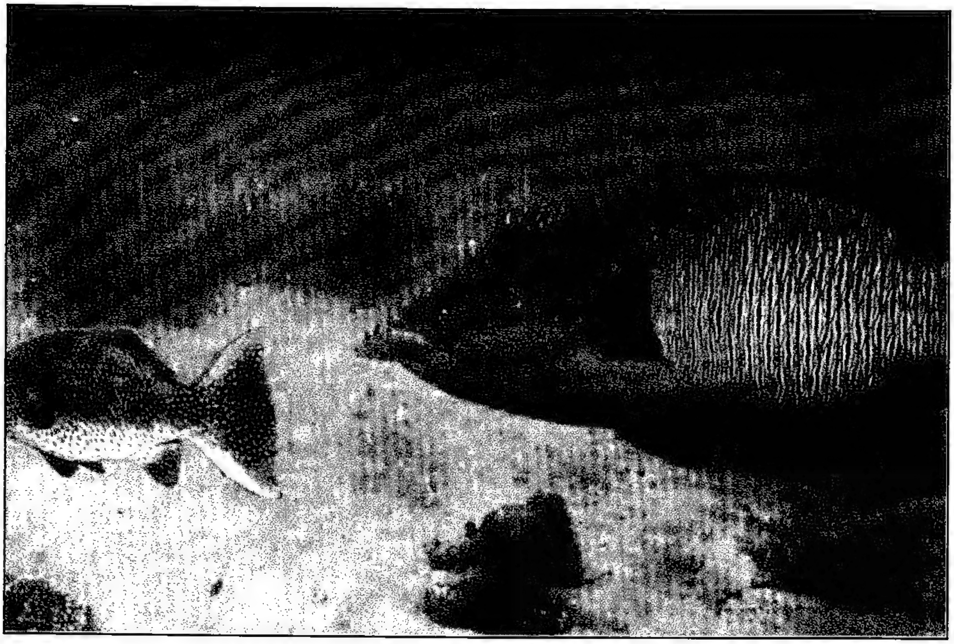

لقد ثبت علمياً أن للسمك فوائد كبيرة على الدماغ والذاكرة وقوة التفكير
وصفاء الذهن فالسمك لذيذ الطعم فلنكثر منه فنحافظ على دماغ سليم وذاكرة طيبة

هرمون للتحكم بالبشر يثير الجدل

حقق العلماء السويسريون والأمريكيون اكتشافاً مثيراً يمكن أن يجعل من التحكم بالبشر أمراً في غاية السهولة إذ سيكفي لذلك أن يرش المرء رذاذاً من علبة في وجه شخص ما كي يتحكم به، وقد بين الباحثون أن هرمون الأوكسيتوتسين يحول المرء إلى إنسان يصدق كل ما يقال له فيقدم على أعمال يطلبها الآخرون منه دون أن يجد تفسيراً لما فعل ذلك، ورغم أن التجارب تجري على علاقة الإنسان بالمال بعض تعرضه لرذاذ هذا الهرمون، إلا أن التأثيرات تشمل مختلف جوانب الحياة.

درس هذا الهرمون منذ زمن بعيد، لكن الذي كان يعرف عنه حتى تاريخنا الحالي أنه هرمون له علاقة مباشرة بالتناسل فقط وأنه يوجد لدى الذكور والنساء فهو يحفز تقلصات عضلات الرحم ويستدعي إدرار الحليب لدى الأم المرضعة وإضافة على ذلك فإنه يظهر في الجسم لدى القيام بالعمليات الجنسية.

وقد بقي دوره في التأثير على سلوك البشر الاجتماعي في إطار الافتراضات حتى الآن.

يمكن لهذا الاكتشاف أن يساعد في معالجة أمراض الانطوائية التي تعذر فيها على المرء إقامة علاقات مع الوسط المحيط به ويمكن عن طريق إنقاص هذا الهرمون في الجسم معالجة مرض آخر هو متلازمة ويليلمز التي تفقد الإنسان إحساسه بضرورة الحفاظ على الذات [١].

دراسة لفهم
مقاومة جهاز المناعة للأمراض

قالت جامعة سنغافورة الوطنية: إنه يجري الآن تنفيذ مشروع بحثي جديد في الجامعة يستهدف تحقيق فهم أفضل للجهاز المناعي للجسم وكيفية محاربة للأمراض، ويتولى الفريق المكون من ١٤ باحثاً البروفسور مايكل كيميني وهو حجة بارز في الجهاز المناعي من مستشفى كنجز كوليدج في لندن.

ويدرس الفريق طريقة تجاوب الجهاز المناعي مع الأمراض المعدية ومواد البيئة، وتنسب الدراسة على أمراض الحساسية التي تحدث حينما يتجاوب الجهاز المناعي بأكثر من اللازم ويعطي رداً مفرطاً على شيء غير مؤذ نسبياً، وتدرس الجامعة خلايا وآليات معينة يتم تنشيطها خلال هذه الاستجابات حسبما قال كيميني لصحيفة ذا ستريس تايمز.

وفي البلدان المتقدمة تضاعفت أعداد الإصابة بالربو وأمراض الحساسية على مدار العقود الثلاثة الماضية[٢].

(١) الاتحاد الإماراتية ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٠م.
(٢) الاتحاد الإماراتية ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٠م.

مقل العين يكشف لغز الكرة الأرضية

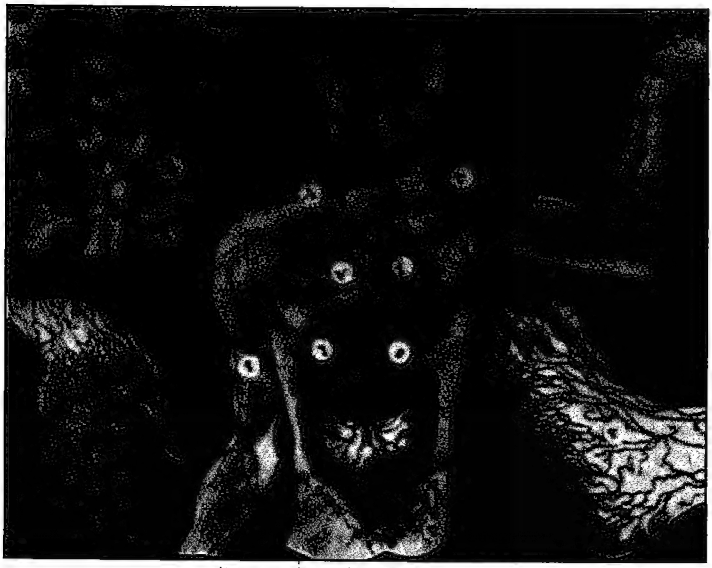

جهاز المناعة قدرة عظيمة إلهية في الجسد
يحاول العلماء فهمه لاستقلاله في معالجة الأمراض حتى المستعصية منها

توصل طبيب أردني إلى وجود علاقة عميقة بين كرة عين الإنسان وكوكب الأرض من حيث الشكل والانحناء وبما يفتح المجال للإجابة عن أسئلة حائرة كثيرة عن عمر الأرض ونهايتها وتوليد الطاقة وغيرها، وقال الدكتور (عماد قيام) في تصريحات لصحيفة الانبطا الأردنية: إن هذا التشابه يفتح مدخلاً لفهم الكون وربما يساعد في إجابة عن أسئلة كثيرة متعلقة بنشوء الكون وتطوره والإجابة عن السؤال المتعلق باحتمالية وجود أشكال للحياة على كواكب أخرى بالإضافة إلى وصف اقتراحات تطبيقية حول إمكان تصميم تقويم وتوقيت أرضي بيولوجي وذلك من خلال الاستفادة من التشابه التشريحي للعين والفلكي للأرض، وأضاف د. قيام المتخرج في طب القاهرة أنه توصل إلى أن كرة عين الإنسان هي كروية تميل إلى الشكل البيضاوي ولها قضبان وخط استواء ويميل محور ارتكازها عن محور ارتكازها في حجر الجمجمة بمقدار (٢٣ درجة تقريباً) تماماً مثل كوكب الأرض الكروي المائل إلى الشكل البيضاوي والذي يميل محور ارتكازها عبر القضيبين من ٢٣ ـ ٤٥ درجة عن محور دورانها حول الشمس.

واضح أن التشابه بين كرة العين والأرض من حيث الشكل والميل والحركات أعطى المسألة بعداً جديداً بأن وجود الإنسان على كوكب الأرض ربما يحمل دلالة بيولوجية تكمن في الشكل التشريحي للعين تربطه بهذا

الكوكب وربما يكون لهذا الأمر علاقة وطيدة بالوقت والتقويم أيضاً [١].

لغة الخلايا مفتاح العلاج والعلماء يسترقون السمع

إنها متناهية الصغر ولا يمكنك أن تراها أو تسمعها ولكن هناك نقشاً مهماً وقوياً داخل جسمك يحتدم على مدار الساعة من دون توقف حول كل ما يتعلق بك جسدياً وحيوياً إنها عدد لا ينتهي من نوعية خاصة من الخلايا لا تكف عن الاتصال وتبادل الأحاديث بلغتها البيولوجية الخاصة من بين تريليونات الخلايا داخل جسم كل شخص أو حيوان أو نبات.

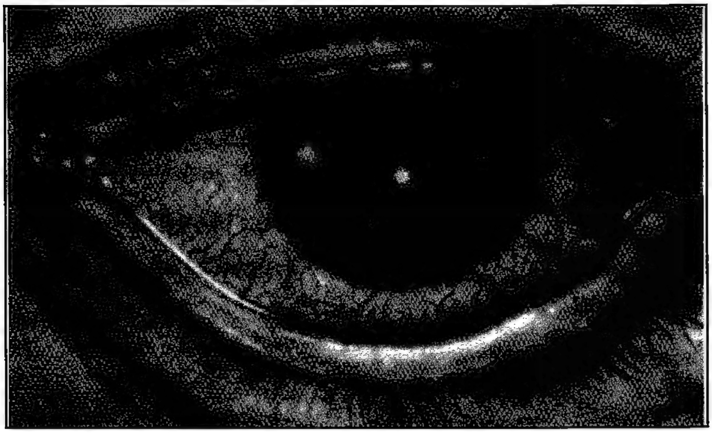

كل شيء متاح أمام العلماء فأحد الأطباء قال:
إن هناك علاقة عميقة بين كرة عين الإنسان وكوكب الأرض
بما يفتح المجال للجواب عن أسئلة محيرة كثيرة

ويقول العلماء: إنه حتى الميكروبات الأحادية الخلية هي كائنات اجتماعية تتواصل مع بعضها بعضاً من خلال لغة خاصة حفاظاً على بقائها واستمرارية حياتها ونموها، وإن التقدم التكنولوجي قد أتاح للعلماء فرصة تعلم كيفية استراق السمع لمعرفة لغة الخلايا وكيفية الاتصال والحديث فيما بينها وكشف ما هو غامض ومجهول من أسرار تلك اللغة وقواعدها ومفرداتها ولكن الكثير من هذه الأسرار ما زال مجهولاً إلا أن الأبحاث المستمرة في هذا المجال قد تقضي إلى التوصل إلى طرق علاج الأمراض [٢].

---

(١) الاتحاد الإماراتية ٩/ ٨/ ٢٠٠٥م.

(٢) الخليج الإماراتية: ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٥م.

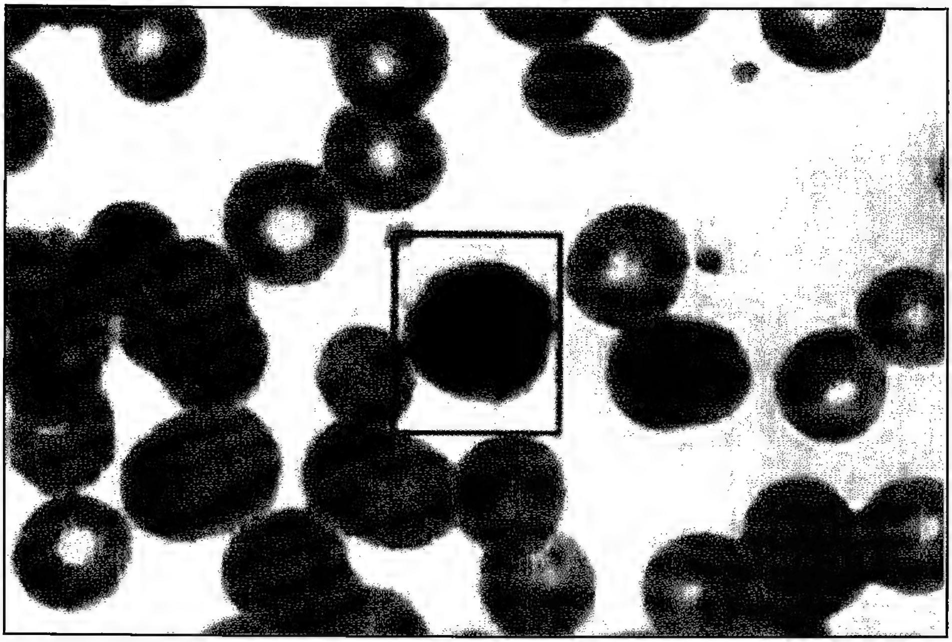

يقول أحد العلماء: إن هناك نوعية خاصة من الخلايا في الجسد
لا تكف عن الاتصال فيما بينها ولها لغة خاصة بما يفيد الجسم ويحافظ عليه سبحان اللّه
ولا يزال الطريق مفتوحاً لكشف أسرار هذا الجسد المعجز

اكتشاف الجين المسؤول عن لون البشر

أعلن بكافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وشبكات الإنترنت ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٥عن أحد مراكز البحث العلمي في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عن اكتشاف الجين المسؤول عن لون الجلد في الإنسان، وقد أثار هذا الاكتشاف الجدل في الأوساط العلمية حول الخوف من التجارب على هذا الجنين لتغيير لون جلد الإنسان وربما يحدث هذا مضاعفات فطرية لا يعلمها إلا اللّه سبحانه وتعالى [١].

---

(١) سبست دوت كوم على الإنترنت.

الفصل الثالث

النفس البشرية ومكوناتها .
ـ النفس البشرية .
ـ أين تسكن النفس؟
ـ كيف يكون الحساب يوم القيامة على النفس؟
ـ الإرادة وعملها في النفس الإنسانية .
ـ الضمير والنفس الإنسانية .
ـ النفس والعلم الحديث .
ـ كيف تحدَّث اللَّه سبحانه في كتابه عن النفس البشرية .
١ـ النفس الأمارة بالسوء .
٢ـ النفس اللوَّامة .
٣ـ النفس المطمئنة .
ـ كيف تعمل النفس وتقرر الفعل؟
ـ مسؤولية النفس عن الفعل .
ـ امتحان النفس وابتلاؤها .
ـ هل النفس مخيرة أم مسيرة؟
ـ النفس في القرآن الكريم .
ـ النفس في الحديث النبوي .
ـ النفس عند الفلاسفة .
ـ المعاني الثلاثة للنفس .
العقل والقلب والفؤاد في القرآن الكريم والسنة النبوية .
أولاً : العقل .
ثانياً : القلب .
ثالثاً : الفؤاد .

النفس البشرية ومكوّناتها

النفس: هي كتلة العواطف الإنسانية الساكنة في الجسد وتقسم إلى قسمين:

١ ـ كتلة عواطف الخير.

٢ ـ كتلة عواطف الشر.

وقد جعل اللَّه سبحانه وتعالى في النفس البشرية الكتلتين معاً كتلة الخير وكتلة الشر بالتساوي. قال اللَّه تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

[سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠]

وجعل اللَّه سبحانه وتعالى العقل هو القوة المتحكمة في تسيير الكتلتين باتجاهاتهما المتاحة لهما فالعقل لديه القدرة والقوة على التسيير إنه (المدير) ولكن اللَّه سبحانه وتعالى لم يتركه وحيداً بل جعل له مجلس شورى لا يقطع أمراً ويصدر حكماً إلا بالاتفاق مع مجلسه، ومجلس شورى العقل (السمع والبصر والقلب) شاركوا العقل المسؤولية واتخاذ القرار وذلك لمسؤوليتهم أمام اللَّه سبحانه وتعالى.

قال اللَّه تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

وجعل اللَّه سبحانه وتعالى في مجلس العقل هذا مرجحاً قوياً في حال اختلاف مجلس الشورى على أمر ما، هذا المرجح هو (الإرادة) وهي إدارة منفصلة ليس لها اتصال إلا بالعقل لتوجيه الأمر بتنفيذ القرار إما لمخالفة الرغبة النابعة من النفس أو لموافقتها.

ولقد خلق اللَّه سبحانه وتعالى تلك النفس بدقة متناهية يصعب على

الإنسان بحدوده العقلية المخلوقة أن يكتشف سر هذه النفس ومهما تطور العلم ووضع أمامه مئات الأجهزة المعقدة لفهم مكونات النفس وكيف تعمل.

فالنفس شيء روحي والجسد شيء مادي لذلك يبقى تحليل الجسد واكتشاف رموزه أهون بآلاف المرات من اكتشاف رموز النفس المخصصة بشيفرة معقدة خلقها اللّه بعلمه وقدرته. وما نقوم به في تقديم بيان عن النفس إنما يعتمد على التحليل العقلي مستنداً أولاً وأخيراً إلى كتاب اللّه سبحانه وتعالى وأحاديث رسول اللّه ﷺ وما جاء به العلم من قدرات طفيفة في فهم كنه النفس من التجارب التاريخية على عموم الإنسان.

والصعوبة التي يصطدم بها العلم في تفسير معنى النفس تفسيراً دقيقاً هو (تفردها) وهي صفة الخلق العظيمة..... فكل إنسان خلق على هذه الأرض منذ آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة له نفس متفردة بخصائصها وميزاتها عن باقي البشر وكذلك الروح. لهذا تبقى الروح والنفس في علم اللّه ويبقى الجسد المادي الذي تتناوله البشرية في التشريح والدراسة آية من اللّه سبحانه وتعالى فأمكنهم منه طبياً وعلمياً حتى يريهم آياته في خلقه وما خلق.

أين تسكن النفس؟؟

النفس بكتلتيها العاطفية الخير والشر مستودعها ومسكنها الجسد وحصراً ربما في القلب وذلك من مخاطبة اللّه للقلوب وحكمه عليها كأنها هي المسؤولة عن الإيمان والعمل.

قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٦]

وبما أن القلب هو قوة تشغيل الدارة الكهربائية التي تسري في الجسد فهو إما يرسل تلك الدارة على صورة إيمان وإما يرسلها على صورة فجور، والسيد المتحكم في التفاعل مع تلك الدارة الكهربائية هو العقل طبقاً لما يرسله سمعه وبصره بتوافق أو تنافر مع الإرادة، والدليل على وجود كامل الكتلة العاطفية في القلب بكتلتيها الفجور والتقوى. أن اللّه سبحانه وتعالى

يجعل على القلوب الميتة عن إصدار كتلة الخير أقفالاً ليزيد في إغلاق إرسال الدارة الإيمانية والخيرية إلى العقول ولتبقى دارة الشر تعمل في أولئك الذين كفروا وأشركوا وفسقوا ولم تنفع معهم كل وسائل الإنذار والهداية.

قال اللّه تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٧]

وقال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾.

[سورة محمد، الآية: ٢٤]

والجسد مُستقبِلٌ حسّاسٌ فقط لا دور له في كل العواطف وعملها، فيدي ليست كتلة عواطف إنما هي أداة منفذة وشاهدة لتلك الكتلة العاطفية، وكذلك قدماي وبطني وظهري، والجسد الدنيوي عموماً أداة منفذة لا ندري كيف يكون عليه الحساب يوم القيامة، فالمعدة في جوف البطن لا تحدد لصاحبها نوعية الطعام ولا ترفض هضم الطعام الحرام، فهي تستقبل ما يدخل إليها وتقوم بوظيفتها كمعدة وكذلك تفعل مع الشراب أو الخمر على حد سواء، فهي مأمورة لا آمرة وفي ذلك شهادة براءة لأعضاء الجسد من المسؤولية، فالمسؤولية لا تقع إلا على النفس بواقع فعل الاختيار بين أمرين أو عدة أمور ولهذا فيوم القيامة ينشئنا اللّه سبحانه وتعالى نشأة أخرى وبجسد جديد بعلمه وقدرته.

قال تعالى:

﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢]

وهذا الجسد الجديد هو المأوى والمسكن لتلك العواطف الإنسانية التي كانت في الدنيا والتي يقع عليها الحساب يوم القيامة ويقع عليها الجزاء.

فاللّه سبحانه وتعالى حينما يخاطبنا في القرآن الكريم نجد دائماً أن الخطاب موجه إلى تلك النفس التي تحمل جميع المشاعر والعواطف والآلام والأحزان والأفراح، وهذه العواطف هي التي كانت تُسَيِّر الجسد الذي خلقه اللّه للفناء ولم يخلقه للديمومة ورجوعنا إلى اللّه سبحانه وتعالى رجوع النفس وما تحمل وما حملت.

قال اللّه تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾.

[سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨]

فاللّه سبحانه وتعالى يرجع إليه النفس وأما الجسد فإنه يفنى في تربته ولا يبقى منه إلا كما قال رسول اللّه ﷺ: عجب الذنب. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) جزء من حديث[(١)].

وهذا العجب من الذنب هو الذي تعاد منه خلق الخلائق ولكن بتكوين آخر يعلمه اللّه سبحانه وتعالى وحده كي يتحمل رؤية آيات اللّه سبحانه وتعالى التي سيريه إياها.

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وهذه الرؤية تبدأ من لحظة البعث وكامل أحداث يوم القيامة وتكون مع الخلود سواء في الجنة أو في النار.

والنفس البشرية بما حملت من خير أو شر تبقى في هذا الجسد الجديد لتذوق العذاب والنعيم أو لتنعم بالنعيم.

واللّه سبحانه وتعالى حينما ينشئنا نشأة جديدة بعلمه فذلك لأن الجسد الدنيوي (بجبلّته) فيزيولوجية خلقه لا يمكن له أن يتعامل مع المستجدات

---

(١) رواه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم ٢٩٥.

والأحداث لأنها تفوق تحمل الجسد الدنيوي، من بعث وقيامة وموقف ورؤية الملائكة والجن والنار والجنة.

ولا يستطيع هذا الجسد أن يتحمل الرؤية الجمالية الفائقة في الجنة، كما أنه لا يتحمل تلك النار التي أعدت لبعضهم والعياذ باللّه، فالتغيير حتمي للجسد ثابت في القرآن الكريم والسنة الشريفة.... ودليل القول أن رجلاً دميماً قصيراً وقبيح الوجه ولكنه كان في الدنيا على درجة كبيرة من الإيمان وكان عابداً للّه عبادة صادقة، فهل يتركه اللّه على حالة الدمامة هذه يوم القيامة وتحديداً عند دخوله الجنة أو رجلاً خلق بلا ساقين أو يدين أو فيه تشويه خلقي أو كان مريضاً بالكبد أو الكلى أو كان أعمى أو أخرس أو أبكم فهل يترك هؤلاء على حالهم؟ أم لا بد من التغيير حتى يتناسب مع إكرام اللّه سبحانه وتعالى ويتناسب مع نعيم الجنة التي سيعيش فيها أبداً وخالداً واللّه أعلم.

كيف يكون الحساب يوم القيامة على النفس؟

الحساب يوم القيامة واقع على تلك النفس بما حملته وأصدرته كتلتها العاطفية التي أوصلتها إلى الخير أو إلى الشر، وعذاب النفس أشد بكثير من عذاب الجسد وإذا وقع على النفس العذاب فهو أشد إيلاماً من كل أنواع العذاب فأي إنسان يُخبَر بأنه صدر في حقه حكم بالحبس لمدة ما، وفي هذا الخبر يقع الإنسان بأشد الآلام والعذاب وتراه يتعذب ويتألم ويتملكه الخوف والرعب الشديد، فمن أين جاءت هذه الآلام رغم أن الجسد لم ينفذ فيه بعد حكم السجن ولم يتعرض للأذى والضرب؟

إذاً ما الذي يتعذب في الإنسان والجسد سليم معافى لم يصب بأذى؟ **(إنه عذاب النفس)**.

لذلك عندما يحاسب اللّه سبحانه وتعالى يوم القيامة العبد الفاسق الكافر يحاسبه على مسمع من البشر أجمعين ليكشف أسراره الدفينة في نفسه فيعيش ساعتها آلاماً شديدة بما وقع عليه من عذاب النفس رغم أنه لم يدخل النار بعد.

وكما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في العراء دون مأوى يأويه

ويحميه كذلك النفس فإنها ليست مجهزة لأن تعيش دون جسد يأويها ويحميها، وبما أن المأوى غير مسؤول عن أعمال الإنسان على اعتبار أنه مأوى، وكذلك الجسد الدنيوي غير مسؤول عن عمل النفس على اعتبار أنه مأوى فقط ومأمور ومحكوم بإصدارات النفس الداخلية في هذا الجسد، ولكن المأوى قد يكون شاهداً على كثير من تحركات الإنسان في أعماله الشريرة أو الخيرية لذلك فقد جعل اللّه سبحانه وتعالى الجسد يوم القيامة شاهداً على تلك النفس وأعمالها وتصرفاتها، قال اللّه تعالى:

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢١]

وقال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية: ٦٥]

وجسد النعيم دائم وجسد النار يتبدل بصورة دائمة بقدرة اللّه سبحانه وتعالى حينما تنضج الجلود وتتقطع الأمعاء من العذاب والنار.

قال اللّه تعالى:

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

واللّه سبحانه وتعالى لكامل عدله ورحمته لا يعذب إنساناً ويدخله النار قبل حسابه يوم القيامة وإذا مات العبد وقبر ففي القبر يكون عرض المقام فإن كان كافراً أو فاسقاً عرض عليه مقعده من النار فيقع العذاب على ذات النفس لأن عذاب النفس أشد من عذاب الجسد.

عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما، أن رسول اللّه ﷺ قال:

(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه يوم القيامة)[١].

(١) رواه البخاري رقم الحديث (١٨٢٢).

وانتظار العذاب على النفس ربما يكون أشد من وقوعه، فالإنسان إذا كان ينتظر حكماً بالإعدام بعد حين فإن عذاب النفس في انتظار تنفيذ حكم الإعدام لأشد بكثير من عذاب الإعدام وآلام وقوعه.

ومما يفسر بوضوح وجلاء قوله تعالى:

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٦]

وهذه الآية الكريمة تشير إلى عذاب القبر (النفسي) فالعرض على النار لا يعني دخولها لأن اللّه سبحانه وتعالى يحدد الدخول في عذاب النار يوم تقوم الساعة ويقع الحساب ويتقرر نوعية الجزاء.

فعذاب النفس في العرض على النار ورؤيتها للمصير والعذاب كمن ينتظر موتاً من مرض عضال ألم به لا برء فيه ولا رجاء منه ولا ابتعاد فكلتا الحالتين تعيش النفس آلاماً عظيمة مع العلم أن المريض الميؤوس منه وينتظر الموت لا يعيش حالة آلام جسدية بفعل المسكنات القوية التي تميت الإحساس العصبي الجسدي بالآلام وكذلك من في القبر ربما لا يعيش آلاماً جسدية لأن النار لم تنل بعد من جسده شيئاً مع أن الأحاديث تؤكد وهي كثيرة عذاب القبر وهذا لا ينكره أحد مطلقاً.. ولكن كيف يكون هذا العذاب؟ وكيف يصل هذا العذاب إلى الجسد والنفس في عالم البرزخ فيبقى في علم اللّه سبحانه وتعالى وقدرته واللّه أعلم.

الإرادة وعملها في النفس الإنسانية:

النفس بكتلتيها العاطفية يستطيب لها المقام داخل الجسد لتحقيق رغباتها سواء كانت الرغبات شهوانية شيطانية وسواء كانت الرغبات في طرق إيمانية خيرية تعبدية.

والإرادة هي التي توجه خط السير وبيدها عجلة القيادة ـ المقود ـ (الدركسيون) ولديها القدرة على توجيه العجلة وإدارتها بكامل المحاور والاتجاهات والرؤى معتمدة على احتياط خزين الفكر من الفعاليات ضمن حركة دائرية تجمع زوايا الميل بأدق تفاصيلها وأجزائها.

والإرادة موجهة في أكثر زوايا الميل نحو الخير بارتباطها مع السمع والبصر لأن السمع لا يألف الكلمة القذرة كما أن العين لا تقبل المنظر البشع فكلا السمع والبصر موجه نحو رؤى الجمال الحسي والسمعي الذي يسمو بالإنسان إلى درجات رفيعة واللّه سبحانه وتعالى لما أوقع الابتلاء والامتحان على الإنسان ملكه حرية (الإرادة) القادرة على اتخاذ القرار دون تدخل القوة الإلٰهية.

وحقيقة الإرادة أنها دائماً حينما تريد أن تفتح أي باب تجد لها عدواً (بقالب صديق) وهو الشيطان المتوجه كلياً نحو الشر والسوء يقف على جميع الأبواب، فإن كانت النفس الموجهة من الإرادة تريد فتح أبواب الشر ابتسم لها وباركها وأثنى على عملها وإن كانت النفس الموجهة من الإرادة تريد أن تفتح أبواب الخير بقواه المتعددة (الإيمان باللّه ـ الإحسان ـ إقامة العبادات ـ صلة الرحم) فإن الشيطان لا يستطيع منعها ولكن ما ملك من قوة الوسوسة للنفس يحاول أن يثبطها عن فعل الخير بكل ما أوتي من قدرة من أن تفتح الأبواب الخيرية وليس له سلطان جبري على رد الفعل المراد تحقيقه.

قال اللّه تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٣٠]

وليس الشيطان حارساً على أبواب الخير لا يفتحها لأحد ولكنه يقف عليها جميعاً كموجه وليثنيك عن الدخول في الأبواب الخيرية بكل الوسائل الممكنة (ترغيب ـ ترهيب ـ تخويف ـ تأمل ـ تزيين وقلب جميع صور الخير إلى شر وجميع صور الشر إلى خير).

ولا بد لكل نفس تريد فتح أبواب الخير من مواجهته وهنا الامتحان من اللّه سبحانه وتعالى لكل الامتحانات الدنيوية التي توجب الرسوب أو النجاح فتقدم الجواب في امتحانك بما تعلمته وأتقنته وفهمته. وكذلك النفس. الإرادة فإنها تلقي دروس الصح والخطأ عن طريق السمع والبصر ووعت ما تعلمت عن طريق الفعل، وأين يكون الخطأ وأين يكون الصح، وقبول فعل الخير وفعل الشر يقع عليك بكامل الحرية بناء على بنك المعلومات

(المخزن) الذي امتلأ عن طريق جهازي السمع والبصر فأنت حينما تفتح أبواب الخير وبناء بما لديك من معلومات تستجيب لإرشاد وتوجيه الشيطان أو لا تستجيب.

ولم يجعل اللّه سبحانه وتعالى لهذا الوسواس (الشيطان) التأثير المطلق عليك بل جعل توجيهه وكيده وأمره إليك (ضعيف) دون سلطان.

قال تعالى:

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٦]

ولهذا فهو إما أن يثنيك عن فعل الخير لضعف إيمانك وليس لقوته التنفيذية عليك، وإما أن تدفعه بقوة النفس المؤمنة دفعاً شديداً أو عندما تراه يبتعد عنك ابتعاد الخائف الذي تجعله يحسب ألف حساب قبل أن يعود إليك وليس من قوة أقوى من قوة (الإيمان باللّه الواحد) قادرة على دفعه حتى لو تمثل لك في كل لحظة من لحظات حياتك رغم أن الشيطان أخذ على عاتقه أن يحتنك ذرية ابن آدم إلا قليلاً منهم.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٦٢]

ولأحتنكن: أي لأستولي عليهم وأستميلهم وأعلمهم دروب الفساد والطغيان إلا قليلاً منهم وهم عباد الرحمن المؤمنون بربهم وبوحدانيته.

وليس من شيء يقهر النفس الأمارة بالسوء إلا إرادة صلبة لديها القدرة على لجم النفس الشيطانية وقهرها ومن يريد النجاح والفلاح عليه بتربية الإرادة وتعويدها على اتخاذ قرار الخير وقهر كل قرارات السوء والطغيان.

الضمير والنفس الإنسانية:

الضمير هو أحد أجزاء النفس ويعمل في اتجاه الخير دائماً وهو أشبه ما يكون بعقرب ساعة لا يتجه إلا إلى جهة اليمين دائماً.

والضمير جعله اللّه سبحانه وتعالى في النفس البشرية رحمة منه بعباده وذلك ليستوقف النفس على أفعالها فيحملها على فعل الخير ويؤنبها على

فعل الشر ويظل مع النفس البشرية يعمل بصفة الناصح والمرشد لا يمل ولا يكل حتى وإن أعجزته النفس وقللت من دوره وقيمته والضمير لا يترك النفس إلا إذا طردته جبراً من ذاتها وعملت على خنق توجيهه وإرشاده ونصحه وتأنيبه فعندها يخرج الضمير من النفس غير حزين عليها لشرها وفسادها، وإذا خرج من النفس، فتكون النفس قد حكمت على ذاتها بالهلاك وسوء العاقبة التي تنتظرها من اللَّه سبحانه وتعالى وهذا الصنف من البشر ذكرهم اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه وقد أخرجهم من رحمته لإصرارهم على فعل السوء والشر وعدم قبولهم الدعوة إلى الهدى والإيمان والخير.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٧]

والضمير الذي أوجده اللَّه في النفس هو الذي يلعب الدور الرئيس في انتقال النفس الأمارة بالسوء إلى درجة النفس اللوامة والنفس المطمئنة.

واللَّه أعلم.

النفس والعلم الحديث:

النفس خلق اللَّه سبحانه وتعالى وتسويته ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، فيها من الدقة ما تعجز عن تحليلها أعقد وأدق حاسوبات هذا العصر.

وكم حاولت كبرى الشركات في صناعة أجهزة دقيقة لتصل بها إلى النفس البشرية لتشرّحها وتحللها ولكن كل محاولاتها فشلت، فالنفس بأجهزتها المعقدة ليست مادة حسية ملموسة يقع عليها الاختبار والتجربة كما يقع على عموم الجسد ولا يستطيع فهمها إلا اللَّه سبحانه وتعالى خالقها ومسويها.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٩]

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٩]

فعلم وسوسة النفس وخائنة الأعين وما تخفي الصدور علم اختصه اللّه لنفسه دون العالمين وكم من الأجهزة صنعت وأنفق عليها المال والجهد في سبيل معرفة ما يفكر به الإنسان بدقة وقياس كتلته العاطفية، ولكنها فشلت في الوصول إلى هذا العلم الدقيق وحتى الساعة، ورغم هذا العلم الكبير، إذا استطاع رجل معرفة بعض أسرار نفسك البسيطة الآنية معتمداً على الحدس والتخمين فإن البشرية تعتبره خارقاً للمعرفة وتهرع للتعرف إليه كي تعرف كيف استطاع هذا الرجل معرفة (ماذا أفكر الآن) وهم بين مصدق ومكذب، وأخيراً يردون هذا العلم على صاحبه بعد أن علموا أنه دجّال ومنافق وأنه من المنجمين. وصدق رسول اللّه ﷺ إذ قال: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(من أتى عرّافـاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[١].

ومع ذلك فإن أحدث ما توصل إليه العلم الآن يقول: إن الإنسان وإذا ما فكر فإن جسده يصدر (إشارات كهرومغناطيسية) لها رموز وشيفرات من الصعب جداً فك رموزها ومعرفة شيفرتها لأنها غامضة، ولكن الذي خلق أعلم بسر هذه الإشارات الكهرومغناطيسية فهو الذي أوجدها وأوقف الإنسان عند حد معرفتها[٢].

فاللّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق العقل وهو أعلم بأعلى طاقة إنتاجية له وهو أعلم أن سقف العقل ومهما طور ونمي لا يمكن أن يكشف سر الخلق في الروح والنفس والعقل فقد اختصها اللّه لذاته.

قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

---

(١) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك.

(٢) مجلة العلوم: ع ٦٠ الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي.

وقال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾.

[سورة الشمس، الآية: ٧]

وقد قال علماء كثيرون: إن سر هذا العقل وهذه النفس لا يمكن اكتشافها إلا بواسطة عقل أكبر ليكشف الأصغر وهو عقلنا وبما أن هذا غير متوفر في هذا الكون، لذا يبقى العقل والروح والنفس من اختصاص اللّه سبحانه وتعالى وحده.

كيف تحدث اللّه سبحانه وتعالى في كتابه عن النفس البشرية؟

لقد ذكرت كلمة النفس في القرآن الكريم على اختلاف معانيها ومدلولاتها ثلاثمائة وست مرات (٣٠٦) وهذا يدل على عظيم أمر النفس الإنسانية عند اللّه سبحانه وتعالى لمسؤوليتها أمامه يوم القيامة ولوقوع الحساب والجزاء والعقاب عليها.

ولكن بما يخص الموضوع فإن للنفس في القرآن الكريم ثلاثة اتجاهات عند اللّه سبحانه وتعالى:

١ ـ النفس الأمارة بالسوء: ولها حالتان:

الحالة الأولى: النفس التي تأمر بالسوء ولكن قد يرحمها اللّه ويهديها إلى صراط مستقيم. قال اللّه تعالى:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٥٣]

فالنفس كما تأمر بالتقوى تأمر بالفجور على قدر التساوي فإذا تغلب الأمر بالتقوى على الفجور أصبحت النفس في رحمة اللّه.

الحالة الثانية:

هي النفس التي تأمر بالسوء وتستمر به ولا ينفع معها إصلاح ولا تنبيه ولا إرشاد فتلك تخرج من رحمة اللّه لعلم اللّه أنه لا يمكن لهؤلاء الهداية ولن يهتدوا أبداً.

وأصحاب النفس اللوامة هم على الأغلب الذين كانوا يخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً فكان لديهم الاستعداد لفعل الخير ولكن استمالهم تيار الضلال قليلاً فرحمهم اللّه لاستعدادهم للتوبة والندم.

قال تعالى:

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

ومن كانت نفسه لوامة دخل في صنف التائبين الذين وعدهم اللّه بالمغفرة والتوبة والرحمة واستبدال ذنوبهم حسنات ومن أصدق من اللّه وعداً.

قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

عن ابن مسعود عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[١].

النفس المطمئنة:

وهي النفس التي سمت إلى أعلى مراتب السمو والرفعة والقرب من اللّه سبحانه وتعالى وأصبحت أقرب إلى الكمال الإنساني في التصاقها بالرحمة الإلٰهية، وأصحابها هم الذين باعوا دنياهم بدينهم وهم الذين لا يرضون عن رضا اللّه بدلاً حتى لو كانت خزائن الأرض والسماء ويدخل في جنسهم السابقون والمقربون والأبرار.

قال تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٢]

---

(١) رواه ابن ماجه وقال: حديث حسن.

وهؤلاء خاطبهم اللّه سبحانه وتعالى خطاباً رقيقاً فيه كامل رحمته وأكرمهم بقربه وجنته.

قال اللّه تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

إنه استقبال حافل بكرم اللّه والذي لا يعلم كنهه إلا اللّه سبحانه وتعالى يكون من دونهم الخلق أجمعون.

وقد جاء التكريم للنفس المطمئنة، لأن الاطمئنان في النفس أعلى مراتب الإيمان فإذا وصل إليها العبد صفت نفسه من كل شائبة وأضحى يعيش الحب والحب كله للّه سبحانه وتعالى، وإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة أحب اللّه لقاءه ومن أحب اللّه لقاءه أكرم نُزله وأحسن وفادته وأعظم أجره ووصل إلى درجة عظماء الآخرة وأسيادها ودخل الجنة دون حساب مع رسول اللّه ﷺ، وأعظم صفات هؤلاء الحمد والشكر والتوكل على اللّه في كل شيء والصابرون في البأساء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس. قال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ ـ ١٣٤]

وللوصول إلى درجة النفس المطمئنة حالتان:

١ ـ أن تكون النفس في بدايتها قد شذبت وأدبت دون انحراف ودون السير في طريق الشر، نشأت في حب اللّه وطاعته وماتت على ما نشأت عليه.

٢ ـ أن تصل النفس إلى هذه الدرجة عن طريق التدرج من النفس اللوامة إلى النفس المطمئنة، وقد تصل النفس الأمارة بالسوء إلى درجة النفس اللوامة ثم إلى درجة النفس المطمئنة بعد توبة نصوح وهذه النفس لها عند اللّه من الدرجة الرفيعة كما للنفس التي نشأت في طاعة اللّه لأن اللّه وعد من آمن وتاب أن يبدل سيئاته حسنات لأنه ذاق طعم الإيمان بعد

امتحان فرضي باللّه رباً وبالإسلام ديناً وبرسول اللّه ﷺ رسولاً وبالعمل الصالح طريقاً.

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(ذاق طعم الإيمان من رضي باللّه رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً).

وأعظم الوصف لتلك النفوس المطمئنة جاءت من الرجال الذين عاهدوا اللّه وصدقوا وما بدلوا تبديلاً. قال اللّه تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٢٣]

اللّهم اجعلنا ممن يملكون نفساً مطمئنة وارحمنا وأنت أرحم الراحمين وليس لنا إلا أن ندعو كما علمنا رسول اللّه ﷺ فقد روى الطبراني عن أبي أمامة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال لرجل:

(قل: اللّهم إني أسألك نفساً مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك).

كيف تعمل النفس وتقرر الفعل؟

قلنا: إن النفس البشرية المكونة من (كتلة العواطف) مخلوقة داخل الجسد لتعمل كما أراد اللّه لها أن تعمل بواسطة الجسد ومساعدته لها في العمل في تحمل المسؤولية فالجسد يملك مادتي الاستقبال (السمع والبصر) اللذين جعلهما اللّه مع الفؤاد في موقع المسؤولية يوم القيامة لتأثيرهم على العقل وقرار النفس وجعل اللّه سبحانه وتعالى في النفس إدارة تعمل طبقاً لشبكة المعلومات التي تستقبل كل المؤثرات الخارجية وهي (الإرادة) وملك اللّه سبحانه وتعالى بقدرته النفس إدارة منفصلة أخرى تعمل لصالحها دائماً وهي إدارة (الضمير) التي ليس لها مسلك إلا مسلك الخير. وهذا الضمير هو غاية الرحمة الإلٰهية بالإنسان ورفع اللّه سبحانه وتعالى من مكانة القلب فجعله مستودعاً أميناً لجميع الحالات وجعل اللّه سبحانه وتعالى له بابين باب الرحمة الإلٰهية وباب قرار النفس ولهما أقفال متينة وحراسة مشددة وأول

الاستقبال يكون من الأذن والعين معاً فتقوم الأذن والعين بإرسال الصورة والصوت إلى العقل (الدماغ) فيقوم العقل بتحليل هذا الصوت وهذه الصورة بأقل من جزء من الثانية ويرسل التحليل إلى مراكز القرار (في النفس) وإلى الخزانة الحاوية للمعلومات لإيداعها أولاً في المستودع كمخزون يستعمل عند اللزوم في (الذاكرة) ولمقارنتها ثانية مع بضاعة المخزن السابقة ليتبين تنافرها أو انسجامها.

ثم تمرر هذه الصورة وهذا الصوت (وهما من جنس العمل المراد تحليله) عبر شبكة قوية جداً تعمل في مجال دائرة النفس المهيأة مسبقاً لاستقبال الأفعال والأعمال والتي تحمل الفجور والتقوى ثم تعلن النفس استعدادها لقبول المرسل إليها من الصوت والصورة (فجور) أو رفضه أو قبول المرسل إليها إذا كان (تقوى) أو رفضه والذي يتحكم في القبول أو الرفض الاستيعاب السابق (لكامل الأفكار) كأن تكون النفس نشأت على الإيمان والخير فترفض الفجور والشر وتقبل التقوى والخير أو تكون النفس نشأت على الفجور والشر فترفض التقوى والخير وتقبل الشر والفجور.

وفي هذه الحال ترسل النفس رغبتها فوراً إلى الإرادة لتأخذ القرار السريع في القبول أو الرفض، واللسان هو حال النفس الداخلية، وفي الطريق لتنفيذ القرار من الإرادة تصطدم رغبة النفس مع اثنين يقفان دائماً لها في الطريق وهما (الشيطان والضمير) فالشيطان يؤيد قرار النفس في الشر، والضمير يؤنب النفس ويوجه إرشاده ونصحه إلى الإرادة، والشيطان والضمير في صراع دائم لاختلاف مواقفهما وآرائهما، والإرادة تسمع لرغبة الاثنين وتنقل هذه الرغبة إلى العقل، والعقل بدوره يستثير النفس مرة أخرى فتعطي النفس قرارها الأخير حسب تاريخها في الفعل ونوعية العمل التي تعودت عليه وحسب القوة النافذة من الشيطان أو الضمير فيحدث الفعل.

وفي حال يكون القرار للعقل والنفس هو الشر تتدخل العناية الإلٰهية لتبعد النفس عن فعل الشر، بالإرشاد أولاً والنصح ثانياً والإنذار ثالثاً، وإن لم تنفع تبدأ العقوبات المادية والحسية على الإنسان الذي يفضل قرار

الشر فيصيبهم اللّه ببعض ذنوبهم عقاباً. قال اللّه تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٤٩]

وإن لم تنفع هذه العقوبات والمصائب مراراً وتكراراً يكون لهم الخزي في الحياة الدنيا ويكون العذاب العظيم يوم القيامة بل ويمدهم اللّه في طغيانهم يعمهون جزاء وفاقاً لما تقترف أيديهم من الشرور والآثام.

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥]

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٥]

والإرادة والضمير والشيطان لا تتدخل في العمل إلا بما له علاقة في فعل الخير والشر وأما قرارها وتدخلها في الغرائز فيكون ضعيفاً كفعل الأكل والشراب والنوم وغيره وذلك لأنها تعلم أن هذه متطلبات الجسد الذي يحمل النفس وهو بحاجة إليها لاستمرار بقائه وصلاحه لحمل تلك النفس. واللّه أعلم.

مسؤولية النفس عن الفعل

إن الإنسان يولد على الفطرة ونفسه ملهمة بتقدير الخالق بعنصري الامتحان (التقوى والفجور) أي بفعل الخير وفعل الشر.

فكتلة العواطف مخلوقة مع الوليد ولكنها (خامدة داخل النفس) كبويضة الأنثى الوليدة تبقى خامدة حتى تصبح الطفلة (شابة) فتنشط هذه البويضة وتؤدي دورها كما رسم لها الخالق، وسريعاً يبدأ الوليد نقطة تحول ويبدأ جهاز السمع والبصر بالتدرب على الاستقبال ويبدأ جهاز الإدراك يعمل ببطء وحساسية شديدة مع وجود فطرة الإيمان باللّه ونوازع الخير ونوازع الشر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1].

وينتقل الطفل من مرحلة الإدراك البطيء إلى مرحلة الإدراك المتوسط بواسطة العين والأذن (السمع والبصر) اللتين تنقلان كل الصور وكل الكلام إلى أجهزة التخزين والرصد ويبدأ الطفل بمحاكاة أفعال والديه وأخوته الكبار تلقائياً دون تحليل فكري لتلك المحاكاة أهي خير أم شر؟

كمحاكاة حركات العبادة والطقوس الدينية على اختلاف مناهجها ومذاهبها ويصبح الطفل متقناً لتلك الحركات مع إتقانه لمجمل الكلام في تلك الحركات العبادية بواسطة جهازي الرصد السمع والبصر اللذين ينقلان هذه الحركات والكلام إلى كتلة العواطف الدفينة في عالم النفس ولكن كتلة العواطف لا تزال في مرحلة كمود تستطيع أن تخزن دون الاستطاعة في التحليل ولا يبدأ التحليل الصحيح لكل المحاور التي تحيط بالطفل إلا حينما يصبح جهاز الإدراك متكاملاً وهذا يكون في مرحلة الشباب. ولكن جهاز الإدراك لا يرفض جميع الصور والكلام المختزن داخل النفس وخاصة إذا رأى كل من حوله (مجموعة الأقارب) تقوم بهذه الحركات والأفعال، والرفض لا يتم للعمل ككل سواء أكانت نوازعه خيراً أم شراً لأن النفس كما قلت سويت وألهمت الفجور والتقوى على السواء.

وحينما ينمو العقل ويصبح على درجة من العقلانية والتفهم لمجريات الأمور المحيطة بصاحبه يقوم بعملية مساعدة لجهاز الإدراك فيساعده بالتحليل لما يجري حوله ولكنه يبقى كسولاً أمام (العقيدة) التي ربما تتغلب عليه بفعل الوراثة العقدية التي تنميها التربية البيتية من الأبوين.

وعندما يكبر العقل ويصبح القوة الحاكمة في عموم النفس تبدأ عملية الاصطدام بمعتقدات الأبوين من خلال اتصاله بالعالم الخارجي غير عالم البيت والأقارب (أصدقاء المدرسة ـ أصدقاء الجامعة ـ أصدقاء السوق ـ

(١) بعض حديث رواه البخاري.

أصدقاء العلم ـ أصدقاء الثقافة والعلم)، جميع هؤلاء أصدقاء يساعدونه إما على التمرد أو على قبول التربية البيتية كما هي دون محاولة نقاش، والبيت ربما يكون صحيحاً في تربيته وفي هذه يكون العقل قريباً من الوفاق مع الأهل ولكن إذا كانت تربية البيت شاذة وفي هذا مئات الاحتمالات مثلاً:

ـ أسرة تكفر بالله ولا تؤمن به.

ـ أسرة تعبد النار.

ـ أسرة أشرار وقطاع طرق.

ـ أسرة لصوص.

ـ أسرة يعمل أفرادها في الدعارة.

فهل يقف دور العقل ودور النفس الإنسانية على قبول الأمر الواقع كما هو أو يجب التمرد على واقع الأهل، والهروب من طغيان الأسرة وشرورها وهنا يقع امتحان الله للإنسان.

وقد يظن بعضهم خلو النفس من المسؤولية لحديث رسول الله ﷺ السابق إن الإنسان يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فالمسؤولية تقع على الأبوين دون الأبناء لأنهما علماه نوعية إيمان محددة وعقيدة محددة وبهذا يخلو الإنسان من المسؤولية والحساب والعقاب والجزاء.

هذا يكون صحيحاً بحالة واحدة ويكون غير صحيح بحالة واحدة فالحساب من الله سبحانه وتعالى والجزاء من الله سبحانه وتعالى والجنة والنار مادتا الجزاء خلق من الله والذي يقرر ويحاكم النفس ويفرض الجزاء هو الله، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى اتصف بصفات الرحمة الواسعة والعدل المطلق وأنه لا يظلم أحداً من عباده.

فهذه النفوس النائمة عن الإيمان والتوحيد وفعل الخير إذا لم توقظ فهي غير مسؤولة ومحاسبة عن معتقداتها وأفعالها (من الشر) ولكن إذا نبهت وأوقظت من الله سبحانه وتعالى وقع عليها الحساب، ولهذا التنبيه والإيقاظ للنفوس الكافرة أو الفاسقة سبل عند الله سبحانه وتعالى واضحة وأولها

إرسال الرسل مبشرين ومنذرين وثانيها ابتلاء النفس بالعقوبات الدنيوية الرادعة الفردية والجماعية. قال اللّه تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٦]

يرسلهم بالدعوة مؤيدين بالكتب السماوية والمعجزات فإذا نزلت على قوم تنبههم وتنذرهم وقع عليهم الحساب وإذا لم يرسل اللّه رسلاً فلا حساب على أحد.

قال اللّه تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

فإذا أرسل اللّه الرسل وقعت المسؤولية على البشر جميعاً في تصحيح المسار ليس في المجال الإيماني وحسب ولكن في كل السلوك المتبع والموروث من الآباء لتلقي الأذن والعين سماع الحق الإلهي عن طريق الرسل والكتب السماوية دون الجبر على الاعتقاد وفعل الخير لوقوع الإنسان في دائرة (الامتحان والابتلاء).

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

فالآية تشير إلى تعدد منهج اللّه فتقول الحق أولاً ثم الاختيار من النفس البشرية لسماع الحق ثانياً والمشيئة الحرة في اتخاذ القرار سواء في الإيمان وسواء في الكفر مع الإنذار الشديد اللهجة لمن كفر واتبع طريق الشر والفساد وهي النار التي تحيط بهم سرادقها وملائكتها الغلاظ الشداد.

وأما أن يتذرع الأبناء بأنهم وجدوا آباءهم على طريق فاسد وهم على آثارهم مقتفون فهذا لن يكون صحيحاً إذا جاءهم الإنذار من اللّه لتصحيح مسارهم الخاطئ وهذا ما أوضحه اللّه لنا في كل كتبه.

قال اللَّه تعالى:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية: ٦]

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٤٦]

وذلك لأن ليس كل ما تعلمناه صحيحاً وليس كل ما يتصرف به الآباء صحيحاً فإذا ابتعدنا عن موضوع (مسألة الإيمان) ودرسنا أسرة لصوص لديهم طفل يربونه وينشئونه ويلقونه على أيديهم فن السرقة والشر، وتعلم منهم هذا، ولكن هل يشترط أن يتبعهم الابن فيما يعملون وفيما علموه إياه؟ أو في لحظة اكتمال الإدراك يحس ويدرك أن هذا العمل غير صحيح فيمنع نفسه عن فعل السوء أو تهوى نفسه العمل فينساق وراءهم في الفعل، فلماذا امتنع أحدهم عن مشاركتهم الفعل؟ وانساق الآخر لفعل السوء وعلى من تقع المسؤولية؟ إنها تقع على النفس التي قبلت الفعل السيئ دون إكراه وإجبار. وقد صدق اللَّه تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

[سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠]

وعلى هذا فالنفس مسؤولة أمام اللَّه سبحانه وتعالى يوم القيامة ولا ينفعها العذر بأنها اتبعت ما وجدت عليه الآباء والأجداد إلا إذا كانوا على طريق الإيمان والخير فكل نفس تأتي يوم القيامة تجادل عن نفسها تريد لها النجاة من عذاب يوم عظيم يوم يفر الآباء من الأبناء ويفر الأبناء من الآباء وكل يأتي ربه يوم القيامة فرداً وعبداً.

قال تعالى:

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١١١]

يوم القيامة فيكون هذا (وحاشا للّه) نقص في عدل اللّه ورحمته وقدرته. قال تعالى:

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

[سورة ص، الآية: ٢٨]

كما أنه لا يعقل أن نعود بعد الموت ليعيدنا اللّه سبحانه وتعالى مرة أخرى للحياة الدنيا فيكون هذا عبثاً من اللّه سبحانه وتعالى (وحاشا للّه ذلك) لأن اللّه نفى أنه خلقنا للعبث وعلى هذا يبقى أمر عودتنا إلى اللّه سبحانه وتعالى لنحاسب وننال الجزاء أمراً ثابتاً بالقرآن والسنة والعقل.

قال تعالى:

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٥١]

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ٨]

إمتحان النفس وابتلاؤها

وهو أمر مفروض على العباد فرضاً لا يستطيعون عنه تحولاً ولا يملكون لأنفسهم مخرجاً من هذا القضاء الإلٰهي غير القابل للجدل الإنساني ولا لحيلة العقل البشري.

فإذا ثبتت لنا الحقيقتان بالكتاب والعقل وأننا لم نخلق عبثاً وأننا سنعود إلى اللّه بعد الموت فهاتان الحقيقتان تقتضيان أن يكون اللّه سبحانه وتعالى رقيباً على أفعالنا لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يخفى عليه ما في صدورنا وما توسوس به أنفسنا ويعلم ما نبدي وما نخفي.

وإذا كان هذا لا بد منه فلا بد أن أكون مراقباً ومحاسباً وإذا كنت مراقباً ومحاسباً لا بد أن أنال الجزاء على ما راقبني اللّه عليه وإذا كنت مجزياً على عملي لا بد أن أكون مخيراً في نهج عملي ومعتقدي لأنال الجزاء العادل

ولتحديد نوعية الجزاء ودخول الجنة أو النار لا بد أن أكون ممتحناً ومخيراً ومراقباً في كامل سلوكي وعملي ومنهجي ومعتقدي.

قال اللّه تعالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ١ ـ ٢]

وقال اللّه تعالى:

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٦٥]

وقال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ٣١]

وقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

وأنا في الحياة الدنيا إذا أردت أن أحاسب رجلاً ما، فعلى أي شيء أحاسبه؟ لا بد أن أكون قد وضعت في يديه مادة المحاسبة (العمل).

وإذا أردت أن أجزيه على مادة المحاسبة (العمل) فلا بد أن يكون قد أحسن القرار والاختيار ونجح فيما أوكل إليه بأمانة وصدق مترفعاً عن الغش والخيانة والغدر والظلم.

ولا يمكن أن أعطي أحداً (مكافأة) إلا إذا أحسن وصدق في عمله وتفانى فيه صدقاً وقولاً وعملاً. كما لا يمكن أن أعاقبه إلا إذا فسد عمله وكذب ولم يخلص فيه قولاً وعملاً.

فالصحيح الذي أوجبه اللّه علينا هو ما نطيقه في حياتنا الدنيا ولا نستطيع أن نفعل غير هذا فلا يمكن لأحد أن ينجح إلا إذا اجتهد فيما أوكل إليه ولا يمكن الجزاء لأحد من فراغ دون عمل وامتحان ولا يمكن أن نعاقب

أحداً إلا إذا أخطأ وأساء في الحق واتبع الباطل والظلم. . . . طالما أن اللّه سبحانه وتعالى أوجب على عباده الابتلاء والامتحان فلا بد من وضعهم ضمن هذه الدائرة ليكون الامتحان عادلاً ويكون الجزاء عادلاً ولا بد من وضع عناصر الامتحان التي يجب أن أنجح فيها أو أرسب.

والمادة التي فرضها اللّه سبحانه وتعالى علينا الامتحان، مادة سهلة لينة لا تفوّق قدراتنا الحسية والنفسية والتكليفية فقد وضع اللّه كامل الأسئلة بما يتوافق مع عموم البشر وعلى جميع مستوياتهم وقدراتهم العقلية والجميع يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة باجتهاد سهل بسيط فهي ليست من الألغاز ولا من الأحاجي.

قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]

فالسؤال الأول لا تشرك باللّه، **والثاني** لا تظلم، **والثالث** لا تعتدِ **والرابع** لا تأكل المال الحرام **والخامس** لا تغش، **والسادس** لا ترتشِ، **والسابع** لا تقتل أحداً، **والثامن** لا تسرق، **والتاسع** لا تتجسس على أحد **والعاشر** لا تنم على أحد، إلخ. . إنها أسئلة بسيطة الجواب يتم عليها بمنتهى السهولة.

هذا امتحان اللّه الذي جعلك مخيراً في إعطاء الجواب وأطلق لك الحرية في اتخاذ القرار، فإن شئت سرقت وإن لم تشأ لم تسرق، وإن شئت اعتديت، وإن شئت لم تعتد، وقد جعل اللّه سبحانه وتعالى السؤال الأول هو الأهم وعلاقته كبيرة لعبور الامتحان والنجاح فيه، وهو أن تعبد اللّه وتؤمن به ولا تشرك به أحداً، وهذا هو الحق، فهو الذي خلقك وأوجدك وأنعم عليك في الدنيا، وهو الذي سيرحمك في الآخرة، وهو مالك الملك ورب السماوات والأرض وما بينهما خالق كل شيء ومالك يوم الدين وخالق الجنة والنار، أفلا يستحق الشكر والثناء والحمد؟

وفي دنيا أحدنا ألا يشكر إنساناً إذا أعانه وساعده في أمر أو منع عنه

ظلماً ويبقى مديناً له مدى حياته؟ أفلا يحق للخالق الذي خلقك وأكرمك وسيدخلك جناته لك فيها نعيم وأجر غير مقطوع، أن تشكره وتحمده وتستجيب لما أمر وطلب؟

قال تعالى:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ .

[سورة التين، الآية: ٦]

هل النفس مُخيَّرة أم مُسيَّرة؟

يقع التخيير في دائرة صغيرة جداً في هذه الدنيا وهي كامل ما أستطيع أن (أفعل أو لا أفعل) وتكون فيها حرية مطلقة في اتخاذ قرار العمل أو السلوك أو المنهج، وأي أمر آخر ليس فيه حرية الاختيار يخرج من دائرة (الامتحان والابتلاء) ويخرج من دائرة المسؤولية المناط بها أحدنا في هذه الأرض.

- فكل ما في هذا الكون من سكنات وحركات لست مسؤولاً عنها ولا تقع في دائرة الاختيار.

- وأكثر حركات جسدي من سكنات وحركات لست مسؤولاً عنها ولا تقع في دائرة الاختيار.

- كل المصائب سواء كنت أنا سببها أو غيري لست مسؤولاً عنها ولا تقع في دائرة الاختيار.

- وكل عوامل الطبيعة وما ينتج عنها لست مسؤولاً عنها ولا تقع في دائرة الاختيار.

- ولادتي وحياتي وعمري وموتي وبعثي لست مسؤولاً عنها ولا تقع في دائرة الاختيار، فدائرة (الاختيار) لمادة الامتحان والابتلاء صغيرة وبسيطة لم يكلفني اللَّه إياها بما لا أطيق وإذا سأل أحدنا متى أكون مسؤولاً عن فعل أو منهج ومحاسب عليه ومجزي به؟

فالجواب حينما تكون مخيراً بين أمرين وحينما تكون لك وحدك دون

العالمين حرية الاختيار وحرية القرار وحرية الرأي المطلق.

وكل أمر لا تملك له حرية الفعل والقرار فأنت مسير فيه وكل أمر تملك فيه حرية العمل والقرار فأنت مخير فيه وفي هذا يقع السؤال والمحاسبة والجزاء.

ففي ما أنت مخير فيه لا يملك أحد قوة التأثير عليك لا من إنس ولا من مَلَك ولا من شيطان فليس من أحد في الدنيا يجبرك على الكفر كما أنه ليس من أحد في الدنيا يجبرك على الإيمان فالإيمان والكفر (امتحان) لوجود عنصر الاختيار بينهما.

وليس من أحد في الكون كله سخره اللَّه ليجبرك على الطاعة والعبادة أو يجبرك على تركها فأنت مخير بين العبادة أو العصيان، بأن تفعل أو لا تفعل، أن تصلي أو لا تصلي، أن تصوم أو لا تصوم، أن تدفع زكاة مالك أو لا تدفع، أن تذهب إلى بيت اللَّه للعبادة أو لا تذهب إلى بيت اللَّه للعبادة.

فمن هو الذي يملك الأمر والقوة ليجبرك على الصيام رغماً عنك وهل يستطيع أحد أن يفعل هذا؟ فقرار الصوم أو الفطر قرار اختيار فيه امتحان من اللَّه

فما امتحنك اللَّه فيه فأنت مخير فيه وما لم يوجب فيه الامتحان فأنت مسير فيه لذلك لما تحدث اللَّه سبحانه وتعالى عن كامل الأمور المسير فيها العبد تحدث عنها (بصيغة المصائب).

قال تعالى:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٥١]

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ١١]

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ١٧]

وأما السيئة فهي من الإنسان وقد فصل اللَّه سبحانه وتعالى المصيبة

المقدرة عن السيئة المفتعلة بالاختيار وحينما تحدث اللّه عن مشيئته تحدث عنها بعلمه ولم يوقع عليك الامتحان في مشيئته وإنما أوجب هذه المشيئة رحمة لعلمه بالأحداث والمستقبل فيما ينفع ويضر سواء فيك أو في عموم خلقه فاللّه جعل مشيئته رحمة بعباده ولولا ذلك لأوكل الأمر للبشر العاجز عن علم المستقبل والذي هو جزء من علم الغيب فنسي إلى الكون والحياة لحدودية قدراتنا العقلية المخلوقة عن علم اللّه.

قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

لهذا وجبت مشيئة اللّه في تسيير الكون والحياة لكامل علمه وإحاطته بكل شيء.

قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

هل تتدخل العناية الإلٰهية في تغيير منهجي في الاختيار؟

نعم وذلك لأننا واثقون جميعاً أن الرحمة هي من صفات اللّه وأسمائه الحسنى وطالما أن الرحمة المطلقة هي من صفات اللّه الخالق للبشر فلا بد أن تتدخل لتمنع اختيار السوء والشر ولكن دون قوة جبرية وقسرية كأن يرسل اللّه لك ملكاً يجبرك على عدم ارتكاب الفعل السيئ، بل تتدخل العناية الإلٰهية في إلهامك فعل الخير والابتعاد عمّا عزمت عليه من الشر وإذا أصرت نفسك بدافع شيطانك على فعل الشر، يبتليك اللّه بالمصائب المقدرة علك ترجع عن فعل الشر، ولا يزال اللّه رحمة بك يبتليك بالمصائب حتى تعود، قال اللّه تعالى:

﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٦٨]

فإن أصررت على فعل السوء باختيارك المحض يتركك اللّه غير مأسوف عليك لخيانة النفس واتخاذها الشيطان ولياً وناصراً، فيمدك اللّه في ضلالك لعلمه بأنك لن تعود أبداً إلى طريق الحق والخير فيمدك بالمال والبنين والجاه والعافية فيهلل الشيطان فرحاً لأنه رأى سبل الفساد قد توفرت بين يديك فيوهمك بأنك الحق وإلا لما كنت في هذا النعيم الكبير، والذين يصرون على فعل السوء وتأمرهم شياطينهم أن يفعلوا ما يشاؤون فيطغوا ويفسدوا ويزيد تكبرهم على اللّه ويظنون القوة في نفوسهم وتزيدهم القوة الممنوحة لهم من اللّه سبحانه وتعالى على التحدي. وإن دعوتهم مرات ومرات إلى الهدى والإيمان والخير لن يستجيبوا أبداً.

قال تعالى:

﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٥]

وحينما تملّك قوم عاد القوة والقدرة التي أمدهم اللّه بها لطغيانهم زادوا في طغيانهم وتحديهم حتى قالوا: قال اللّه تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٥]

وكما أن العناية الإلٰهية تتدخل رحمة منها لتمنع عباد اللّه من فعل الشر تتدخل رحمة منه أيضاً مع أولئك الذين ارتضوا طريق الحق والخير والهداية فيفتح اللّه لهم أبواب الرحمة حتى لا يروا أمامهم إلا الخير والحق والإيمان والصبر.

قال تعالى:

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٦]

وذلك لأن اللّه سبحانه وتعالى ولي المؤمنين والصالحين والتائبين والمستغفرين وهو وكيلهم في الدنيا والآخرة.

النفس في القرآن الكريم

النفس غيب، وهي جزء لا يتجزأ من الذات البشرية (النفس والعقل والروح) خلق اللّه آدم جسداً من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، فصار بذلك بشراً، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ .

[سورة ص، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢]

فالتسوية هي بالتقاء النفس بالجسم، فيصير حياً، وبعد ذلك تنفخ فيه الروح فيكون بشراً، فسر الحياة بالنفس وسر البشرية بالروح، وسجود الملائكة لآدم كان سجود تكريم للروح، فهو سجود تكريم لا سجود عبادة، ودائماً تعقبُ الخلقَ تسويتُهُ، نجد ذلك في آيات كثيرة، قال اللّه عز وجل: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ .

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨]

وكما قال تعالى﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ .

[سورة الأعلى، الآيتان: ٢ ـ ٣]

وكما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

[سورة السجدة، الآيات: ٧ ـ ٩]

فبعد الخلق تكون التسوية، وبعد التسوية يكون نفخ الروح.

وذكرت النفس في القرآن الكريم في ٢٩٥ موضعاً، والنفس ليست مادية وهي سر حياة الجسم، وإذا فارقت الجسم فارقته الحياة، كما قال اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ .

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٥]

النفس غير مادية ولا تدرك بالحواس، وما يدرك بالحواس بأية صورة من الصور لا يخضع للعلوم الإنسانية التجريبية.. وليس له من مصدر للعلم عنه إلا مصدر واحد، هو وحي خالق الإنسان وهو اللَّه عز وجل.

النفس في الحديث النبوي

ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«كل ابن آدم أصاب من الزنا لا محالة، فالعين زناها النظر، واليد زناها اللمس، والنفس تهوى وتحدث، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**

ـ أخرج الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن حمزة ابن عبد المطلب رضي اللَّه عنه جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها»** قال: بل نفس أحييها؟ قال ﷺ: **«عليك بنفسك»**.

ـ أخرج الإمامان وأحمد عن أبي هذيل عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من علم لا ينفع، ودعاء لا يسمع، وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع.

ـ أخرج الإمام أحمد عن الخشني قال: قلت: يا رسول اللَّه أخبرني بما يحل لي ويحرم علي، فقال ﷺ: **«البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب»**.

ـ أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن ابن عباس عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن اللَّه كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**.

ـ أخرجه الأئمة مسلم وأصحاب السنن عن أبي عثمان النهدي، عن زيد بن أرقم أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول: **«اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»**.

النفس عند الفلاسفة

تكلم عن النفس والروح كل من سقراط وأرسطو وأفلاطون وتكلم أيضاً الفلاسفة العرب.

قال سقراط «في القرن الخامس ق. م»: إن النفس جوهر روحي، وإن النفس البشرية أسمى النفوس منزلة.

وقال أرسطو «في القرن الرابع ق. م»: إن النفس هي ماهية الإنسان وفكره وتمييزه.

وقال أفلاطون: «إن النفس وسط بين عالميين: عالم علوي وهو عالم الخير والفضيلة، وعالم سفلي هو عالم الشهوة والشر، وإن الحكمة هي سمة النفس العاقلة».. وهكذا نجد أن فلاسفة الإغريق خلطوا بين النفس والعقل والروح، واختلط عليهم الأمر.

أما الفلاسفة المسلمون فقد ذهبوا مذاهب شتى، إلا أن معظمهم تأثر بالفلسفة اليونانية.

ابن مسكويه: المتوفى سنة ٤٢١هـ قال: إن الإنسان إذا أخطأ قامت النفس بتصحيح ما أخطأ فيه، لذلك خلط بين النفس والعقل.

أما ابن سينا: فقد توصل إلى بعض الأفكار الصحيحة عن النفس فقال: إن النفس لا تموت بموت الجسم، وإن النفس سر الحياة في الجسم، وإن الجسم هو الذي يحيز النفس أثناء الحياة الدنيا.

أما أبو حامد الغزالي فقال: إن النفس هي الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان، واستدل على ذلك بالحديث الشريف: «**أعدى عدوك، نفسك التي بين جنبيك**» وفرق بين النفس والعقل والروح، إلا أنه اعتقد أنها صفات مترادفة للنفس.. وتطلق على النفس باختلاف أحوالها.

أما ابن رشد: فاعتبر النفس والروح شيئاً واحداً، ولكنه ميز بين النفس والعقل.

لذلك قال ألكسيس كاريل المتوفى سنة ١٩٤٤م: إن معلوماتنا عن الإنسان معلومات بدائية.

وقال أحد فلاسفة العلمانية: سيظل جهلنا بالإنسان إلى الأبد.

وهكذا وجدنا أن الفلاسفة أخطأوا، وتحدث كل واحد منهم عن خياله.

أما إذا تدبرنا القرآن والسنة، فسنجد أن النفس غير العقل.. وهما معاً غير الروح.

النفس سر الحياة، والروح سر بشرية الإنسان، وسر وعيه وإدراكه.. والعقل هو الذي يُسَيِّرُ النفس، فالإنسان يعلو على جسمه بنفسه، ويعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١]

مَنْ الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى؟ إنه العقل.

ـ النفس هي التي تأمر بالخير والشر، تحت وصاية العقل.. والنفس التي تحت وصاية العقل هي التي تجادل عن نفسها يوم الحساب أيضاً، ولا دخل في ذلك للروح! لأنها من أمر اللَّه، أما الجسم فهو طائع ساجد للَّه تعالى.

المعاني الثلاثة للنفس

١ ـ **المعنى الأول للنفس**....: نفس الإنسان ذاته، كما قال تعالى في سورة البقرة (٤٤): ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وفي سورة القصص (١٦): ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وفي سورة يوسف (٦٨): ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ ﴾. وفي سورة لقمان (٣٤): ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾.

وفي سورة النحل (١١١): ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

٢ ـ **المعنى الثاني للنفس. . .** : نفس الحياة، والتي هي جزء من الذات الإنسانية، كما قال تعالى في سورة الزمر (٤٢): ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وكما في سورة آل عمران (١٨٥): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

وكما في سورة يوسف (٥٣): ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾.

وكما في سورة السجدة (١٣): ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾.

وكما في سورة النجم (٢٣): ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

وكما في سورة القيامة (٢): ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

وكما في سورة النازعات (٤٠ ـ ٤١): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

وكما في سورة الفجر (٢٧ ـ ٢٨): ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

وكما في سورة الشمس (٧ ـ ٨): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

والنفس سر الحياة في الجسم، وتتصل بكل خلاياه، وتغادر الجسم عند الموتة الكبرى، ولقد أثارت طبيعة النفس ومصيرها جدلاً كبيراً بين المفكرين، وشغل بها الفلاسفة وعلماء الدين، وتؤكد كل الرسالات التي أرسلت على الرسل، وجود النفس وخلودها، إلا أن الفلسفات المادية تنكر وجودها.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: إن النفس لها معنيان: الأول ما يراد به الصفات المذمومة في الإنسان وصفات الشهوة والغضب، ويقول أهل التصوف: (لا بد من مجاهدة النفس وكسرها)، وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**المجاهد من جاهد نفسه**»

وقال رسول اللّه ﷺ: **«أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»** كشف الخفاء للعجلوني.

وبعد الفتح قال رسول اللّه ﷺ: **«قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»** قالوا: ما هو؟ قال **«جهاد النفس»** الزهد للبيهقي.

المعنى الثاني: هي الإنسان على الحقيقة وهي الذات الإنسانية (الإنسان الحقيقي).

٣ ـ **المعنى الثالث للنفس**: هي التي يسميها علماء النفس والأطباء النفسيون INTERNAL ومجال الطب النفسي PSYCHIATRY وعلم النفس PSYCHOLOGY.

ونظرة الطب النفسي للإنسان نظرة شاملة، فهو (يعتبر الإنسان كائناً) لا يتجزأ، مكوناً من جسم ونفس وعقل وروح.

وللجسم أمراض هي الأمراض العضوية.

وللنفس أمراض هي الأمراض النفسية.

وللعقل أمراض هي الأمراض العقلية.

أما الروح: فلا تتعرض لأي مرض: لأنها من أمر اللّه.

وتؤثر الأمراض النفسية على الجسم فتحدث به أمراضاً بدنية PSYCHOSOMATIC DISEASES وتؤثر الأمراض البدنية على النفس فتحدث بها إحباطاً نفسياً DEPRESSION.

وتختلف النفس عن الروح:

١ ـ النفس قد تكون أمّارة بالسوء، أما الروح فلا.. فهي خير مطلق.

٢ ـ النفس تتعرض للمرض، أما الروح فلا.

٣ ـ النفس تسعد لملذات الدنيا، والروح تسعد للحرمان من ملذات الدنيا وتتألق.

٤ ـ النفس يقع عليها الخوف، أما الروح فلا.

٥ ـ النفس لا تغادر الجسم قط إلا عند الموت الأكبر، أما الروح فتغادره أثناء النوم.

٦ ـ النفس سر حياة الجسم، أما الروح فهي سر بشرية الإنسان وسر خلوده.

وتختلف النفس عن الجسم:

١ ـ النفس سر حياة الجسم.. فلا يحيا الجسم إلّا بوجودها.

٢ ـ الجسم يخضع للزمن ويمر بأطوار الخلق: الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة، أما النفس فلا تخضع لزمن، ولا تمر بأطوار مختلفة من الخلق، ولا تحدث لها شيخوخة، ولكن تحدث لها تغيرات إلى الأفضل كلما تقدم العمر.

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: **«قلب الشيخ شاب في اثنتين: طول الحياة وكثرة المال»**.

العقل والقلب والفؤاد
في القرآن والسنة الشريفة

أولاً

العـقـل

ـ أخرج الإمام أحمد عن زرعة عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول اللّه ﷺ قال: **«إن بين يدي الساعة فتناً كأنها قطع الليل المظلم، فيصبح فيها الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن النعمان الغفاري عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: **«أعقل ما أقول لك يا أبا ذر، إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال كذا وكذا»**.

ـ أخرج الإمام أحمد في المسند عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: رأى رسول اللّه ﷺ شاتين تنتطحان، فقال: **«يا أبا ذر، هل تدري فيم تنتطحان؟»** قال: لا، قال: **«ولكن اللّه يدري وسيقضي بينهما»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن زيد بن ثابت أن أبا بكر أرسل إليه، فجاءه فإذا عمر عنده جالس، وقال أبو بكر: يا زيد بن ثابت، إنك غلام شاب عاقل، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

ـ أخرج الإمام أحمد في المسند عن قيس بن أبي حازم أن أبا هريرة قال له: صحبت رسول اللّه ﷺ ثلاث سنين، ما كنت قط أعقل مني فيهن، ولا أحب إليّ أن أعي ما يقول رسول اللّه ﷺ فيهن.

ـ أخرج الإمام ابن ماجه في سننه عن سليمان بن عمر الأحوص عن أم جندب قالت: رأيت رسول ﷺ يوم النحر وقد انصرف، فتبعته امرأة من خثعم ومعها صبي لها به بلاء، لا يتكلم، فقالت: يا رسول اللّه، إن هذا ابني، وبقية أهلي، وإن به بلاء لا يتكلم، فقال رسول اللّه ﷺ: **«ائتوني بشيء من ماء»** فأتي به فغسل يديه ومضمض فاه، ثم أعطاها إياه، فقال: **«اسقيه منه، وصبّي عليه منه واستشفي اللّه له»**، قالت: فلقيت المرأة فقلت: لو وهبت لي منه (أي من ذلك الماء) فقالت: إنما هو لهذا الصبي المبتلى، قالت: فلقيت المرأة في الحول (يعني بعد عام) فسألتها عن الغلام، فقالت: برئ وعَقَل عقلاً ليس كعقول الناس.

وأخرج الترمذي في الجامع الصحيح، وأبو داود في سننه، عن زيد بن علي زين العابدين عن جده الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: أن رسول اللّه ﷺ قال: **«أول ما خلق اللّه القلم، ثم قال له: لتخطّ كل شيء إلى يوم القيامة، من خَلْق أو أجل، أو رزق أو عمل: إلى ما هو صائر إليه من جنة أو نار، ثم خلق العقل، فاستنطقه فأجابه»** فقال اللّه تعالى: **«وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وعزتي لأكملنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت، فأكمل الناس عقلاً أخوفهم للّه عز وجل، وأطوعهم له، وأنقص الناس عقلاً أخوفهم للشيطان وأطوعهم له»**.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: (إن مقاصد الشارع الحكيم منحصر في الضرورات الخمس للإنسان وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال والبدن، وكل ما يحفظ هذه الضرورات الخمس فهو مصلحة، وكل ما لا يحفظها فهو مفسدة) وما أهم الضرورات الخمس للإنسان؟ إنه العقل، مناط التكليف في العبادات والمعاملات، والإنسان بغير عقل هو والحيوان سواء، ولا يكمل إيمانه ودينه، ولا تسمو نفسه، ولا يحافظ على ماله، ولا يرعى صحته، من هنا ندرك أنه لا وجود لكل الضرورات الأربع الأخرى بدون كمال العقل، من هنا كانت المحافظة على العقل أمراً جوهرياً في الإسلام، لذلك كان تحريم الخمر والمسكرات، لأنها تذهب بالعقل، إن العقل جوهر منحه اللّه تعالى للإنسان، هو طاقة هائلة من القدرة على الفهم والإدراك

والفكر والتعلم، وبواسطته يعرف الإنسان خالقه وبواسطته أيضاً يعبر الإنسان عن نفسه، وتخاطب النفس البشرية من خلاله، وإذا ذهب عقل الإنسان لا يكون عن أعماله مسؤولاً.. وذكر اللّه تعالى نعمة العقل وأنه منحها للإنسان فقط دون سائر الخلق حيث قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

.. وهذه الأمانة هي العقل.

وأين يوجد العقل في الإنسان؟

العقل طاقة غير مادية، وهو جزء من الذات الإنسانية غير المادية وهي النفس والعقل والروح، وقد يقال: إن العقل يوجد في الدماغ، لأن الإنسان إذا شرب مسكراً وخامر مخه ذهب عقله، نقول: لا.. العقل لا يوجد في المخ ولكنّ له اتصالاً به.. والإنسان يتصل بعقله عن طريق مخه، وإذا حدث سكر للمخ، انقطع اتصال الإنسان بعقله.

وتحت عنوان «العلاقة بين العقل والمخ» كتب راجي عنايت [١]: (مع مرور الزمن تزداد وضوحاً حقيقة مهمة، وهي أن العقل والمخ ليسا مترادفين ومن الأبحاث التي حسمت هذا بشكل كبير، ما قاله جراح المخ الدكتور «ويلدر بينفيلد» أنه دهش كثيراً عندما اكتشف أنه أياً كان قدرة المادة التي يستأصلها من المخ، فإن ذلك لا يؤثر على قدرة المريض العقلية، ولقد صار واضحاً أن العقل لا يوجد داخل المخ [٢]).

ويجد جراحو المخ الآن أنهم إذا استأصلوا نصف المخ فإن قدرة العقل في ذلك المريض لا تتأثر، مما يدل على أن العقل ليس موجوداً في المخ، وإلا لفقد الإنسان نصف عقله.

ودليل آخر هو أن الدواب قد خلق اللّه فيها أدمغة تشبه دماغ الإنسان تماماً من الناحية التشريحية والفسيولوجية، ولكن لم يمنحها اللّه تعالى أمانة العقل.. وبالتالي فهي غير مكلفة بالقيام بمنهج اللّه في الأرض.

---

(١) من عجائب العقل البشري: راجي عنايت.
(٢) معجزات العلاج: راجي عنايت.

فالدواب تعيش على الفطرة، وتوجهها الغرائز.. وإذا ظهر من الدواب ما يدل على الذكاء، فإنما هو ذكاء فطري وليس ذكاء عقلياً، حديث أبي ذر: رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان فقال: «**أتدري يا أبا ذر لم تنتطحان؟ قال: لا أدري يا رسول الله**» قال: «**ولكن الله يدري وسيقضي بينهما**» قد يقال: إذا كانت الدواب لم تمنح طاقة العقل، فلماذا ذكر في القرآن الكريم أنها ستحشر؟

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾.

[سورة التكوير، الآية: ٥]

.. والوحوش هي كل الدواب، حشرت أي جمعت، وقال العلماء: إن المعنى أن الدواب جميعاً ستجمع كلها عند النفخة الأولى فيفصل الله تعالى بين بعضها البعض، ثم يقول لها: موتي وكوني تراباً، فتموت وتكون تراباً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (حشرها) جمعها للموت، ولكنها لا تحاسب، لأنها لم تمنح طاقة العقل وبالتالي فهي غير مكلفة، هنالك ينظر الكافر إليها، ويتمنى أن يكون تراباً مثلها فلا يحاسب، فذلك قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا**﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٤٠]

وهل يموت العقل؟

العقل هو جزء من الذات الإنسانية التي لا تموت بموت الجسم، وإنما تعود إلى الله تعالى.. والدليل على أن العقل لا يموت: سؤال القبر، فالإنسان إذا تحدث وتجادل مع غيره إنما يستعمل طاقة العقل.. والإنسان يجادل عن نفسه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل، الآية: ١١١]

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يوماً في نفر من أصحابه فضحك، فقال: «**أتدرون مم أضحك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، فيقول الله تعالى: بلى،**

فيقول العبد: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول اللّه تعالى: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً، ثم يختم على فيه، ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول العبد لأركانه: بعداً وسحقاً فعنكن كنت أناضل».

والعقل يدخل مع صاحبه في الجنة أو النار، لذلك فأصحاب الجنة يتناقشون ويستعملون عقولهم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ٢٥ ـ ٢٨]

وأهل النار يتجادلون أيضاً كما قال اللّه تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

وأهل الجنة يتحدثون مع أصحاب النار كما قال اللّه تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٤]

وأهل النار يتحدثون مع أصحاب الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٠]

والعقل يدخل مع صاحبه في الجنة أو النار.. أهل الجنة يتخاطبون مع بعضهم البعض، ونفهم من الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف أن العقل مع صاحبه يوم القيامة، وسيكون معه أينما ذهب في الجنة أو في النار[١].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي: أ. د. أحمد شوقي إبراهيم.

ثانياً

القلب

ـ أخرج الإمام مسلم والإمام أحمد عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: كان النبي ﷺ **«يتعوذ من علم لا ينفع ودعاء لا يُسمع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن الحسن عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال النبي ﷺ: **«القلب يزني والعين تزني، فزنا العين النظر، وزنا القلب التمني، والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: **«الشيخ يكبر ويضعف جسمه، وقلبه شاب على حب اثنتين طول العمر والمال»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن مطرف بن عياض أن النبي ﷺ قال في حديث له: **«أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، ورجل فقير عفيف متصدق»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي أن رسول اللّه ﷺ قال: **«إن من المؤمنين من يلين لي قلبه»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن الخشني أنه سأل رسول اللّه ﷺ بما يحل له ويحرم عليه، فقال النبي ﷺ: **«البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب»**.

ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رجلاً شكا إلى رسول اللّه ﷺ قسوة قلبه، فقال له: **«إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم»**.

ـ أخرج الإمام أحمد أن عمرو بن العاص قال: لما ألقى اللّه عز وجل في

قلبي الإسلام أتيت رسول اللّه ﷺ ليبايعني فبسط يده فقلت: لا أبايعك حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي، فقال: «**أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب**».

- أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس عن كعب أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن موسى عليه السلام ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب، لي.. فأدركه رجل فقال: يا رسول اللّه هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا**».. إلخ الحديث الشريف.

- أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن زكريا بن عامر، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى اللّه في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صَلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

فقد ذكر القلب في القرآن الكريم كناية عن العقل والإدراك.. إلا أن الحديث النبوي الشريف ذكر كلمة (قلب) على الحقيقة تارة، وعلى الكناية تارة أخرى.

فقد ذكر كناية عن العقل والإدراك كما في سورة الشعراء (١٩٣): ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾.

وفي سورة البقرة (٩٧): ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والقرآن الكريم نزل على رسول اللّه ﷺ فلماذا قال اللّه تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ خص القلب بالذكر إذ جعله كناية عن العقل، أو كناية عن الذات البشرية كلها، وفي ذلك إشارة إلى كمال عقله ﷺ وكمال فهمه.

وذكر القلب كناية في آيات أخرى كثيرة، ففي آل عمران (١٥٩): ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وفي سورة ق (٣٧) قال اللّه عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾.

وفي سورة الرعد (٢٨) قال اللّه تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

وفي سورة البقرة (١٠) قال اللّه تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾.

وفي سورة الأنفال (٦٣) قال اللّه تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾.

وفي سورة الحشر (١٤) قال اللّه تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾.

وقال رسول اللّه ﷺ: **«تنام عيني ولا ينام قلبي»** العين كناية عن الجسم كله، والقلب كناية عن العقل والوعي والذات الإنسانية.

وفي سورة الحج (٤٦) قال اللّه عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

القلوب: كناية عن العقول، والآية تشير إلى أنه لا عمى في حواس أبصارهم، فهم يرون بها، ولكن العمى في بصيرتهم وعقولهم وأفكارهم حيث لم ينتفعوا بما أبصروه.

وأي فائدة لذكر (الصدور) والقلوب الحسية لا تكون إلا في الصدور؟

المتعارف عليه أن العمى يكون في البصر، فلما أريد إثباته للقلب على خلاف المتعارف عليه، احتاج الأسلوب اللغوي إلى زيادة بيان وتصوير، كما نقول: (ليست الحدة في السيف ولكن الحدة في لسانه الذي بين فكيه)، فالقول (لسانه الذي بين فكيه) زيادة في بيان ما ادعيته للسان، لأن محل الحدة هو هو لا يتغير، وكأننا نقول: (ما نفيت الحدة عن السيف وأثبتها للسانه سهواً أو فلتة في الكلام) ولكني تعمدت ذلك تعمداً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي ما نفيت العمى عن أبصارهم وأثبتها لقلوبهم سهواً أو فلتة لسان، وإنما تعمدت ذلك تعمداً.

واحتاج الأسلوب البلاغي إلى زيادة في التصوير والبيان فقال: ﴿ وَلَٰكِن

تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ والمعنى المراد من الآية أن العمى ليس عمى بصرهم، ولكن العمى عمى بصيرتهم.

وذكر الحديث النبوي كلمة (قلب) على الحقيقة ويعني القلب العضوي قال ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة، إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**. . والحديث الشريف يشير إلى أن أهم عضو في الجسد إن صلح، صلح الجسم كله، وبالتالي إذا صلح الراعي صلحت الرعية، والحديث الشريف يتحدث عن حكم الشبهات، والتحذير من الوقوع فيها لأن الوقوع فيها حرام.

وذكر الحديث النبوي كلمة (قلب) على المجاز: فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: **«قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: حب العيش والمال»**.

قال المفسرون: للحديث النبوي (قلب الشيخ شاب) هذا مجاز واستعارة.

ثالثاً

الفـــؤاد

- أخرج الإمام أحمد والترمذي عن الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«قال اللّه تعالى: يا ملك الموت قبضت ولد عبدي، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده، قال: نعم، قال: فما قال؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة سموه بيت الحمد»**.
- أخرج الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة»**.
- أخرج الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال: بعثني رسول اللّه إلى اليمن قاضياً فقلت: تبعثني إلى قوم وأنا حدث السن لا علم لي بالقضاء، فوضع يده على صدري فقال: **«إن اللّه مثبت قلبك وهاد فؤادك»**.

ـ أخرج الإمام مسلم عن زياد بن الحصين أبي جهمة، عن أبي العالية عن ابن عباس قال عن معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

[سورة النجم، الآية: ١١]

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآية: ١٣]

قال: رآه بفؤاده مرتين.

ذكر (الفؤاد) في القرآن الكريم في خمس عشرة آية كريمة، والفؤاد هو مجموع ملكات العقل والإدراك وذكريات الأحداث والتجارب السابقة، لذلك لا يعمل الفؤاد في الأطفال حديثي الولادة، يبدأ عمله فيما بعد، عندما يبتدئ العقل والوعي في الطفل في العمل، وتبتدئ التجارب وذكريات الحواس فيه.

وارتبط السمع والبصر بالأفئدة في ست آيات قرآنية في سورة الإسراء ٣٦، والنحل ٧٨، والمؤمنون ٧٨، والسجدة ٢٩، والملك ٢٣، والأحقاف ٢٦، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٧٨]

والأفئدة ملكات غير مادية في الإنسان، هي مجموع مدارك الإنسان وعلمه وطاقاته العقلية، وتجاربه السابقة، وذكريات حواسه، والحواس لا تعمل إلا من خلال مجموع تلك الملكات في الإنسان، فحاسة السمع مثلاً تستقبل موجات الصوت في الأذن الوسطى، أما الأذن الداخلية فتحول موجات الصوت إلى ومضات كهربائية، تجري في عصب السمع، حتى تصل إلى مركز الإحساس بالسمع في الفص الصدغي في المخ، حينئذ يسمع الإنسان الصوت ولكنه لا يفهم معناه إلا بواسطة الفؤاد.

وكذلك حاسة البصر، تستقبل العين موجات الضوء من الجسم المرئي، فتحولها شبكية العين إلى ومضات كهربائية تجري في العصب البصري في الفص الخلفي في المخ، حينئذ يرى الإنسان الصورة ولكنه لا يفهم معنى ما يرى إلا بواسطة الفؤاد، وكذلك باقي الحواس.

وليس الفؤاد مركزاً من مراكز المخ، فهو طاقة لا مادية قوامها العقل، ودليل ذلك أن بعض الدواب فيها مخ يشبه مخ الإنسان من الناحية التشريحية والفسيولوجية شبهاً كبيراً.. والدواب لا عقل فيها وبالتالي لا فؤاد فيها.

وذكر الفؤاد كناية عن العقل والوعي والإدراك في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ١٠]

قال المفسرون من السلف الصالح: إن فراغ الفؤاد كناية عن ذهاب العقل، المعنى أن أم موسى حين سمعت بوقوع ابنها في يد فرعون ذهب عقلها من فرط الفزع.

وبواسطة الفؤاد يفهم الإنسان معنى ما يسمع كما قال تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٣]

وبواسطة الفؤاد يرى الإنسان ويفهم معنى ما يرى، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ١١]

والفؤاد في اللغة القلب، والقلب كناية عن العقل أيضاً.. لذلك نقول إن العقل قوام الفؤاد، ونقرأ عن ذلك قول اللّه عز وجل: ﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٣٧]

أي تميل عقولهم وأفكارهم إليهم.

وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٠]

والمعنى نقلب عقولهم وأفكارهم، لأن كلمة ﴿ أَبْصَارِهِمْ ﴾ تعني طاقة علمهم وفكرهم، كما قال تعالى يحكي عما قاله السامري: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾.

[سورة طه، الآية: ٩٦]

أي علمت بما لم يعلموا به وقال تعالى عن الكفار يوم القيامة: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٣]

أي عقولهم خاوية لا فكر فيها من شدة الخوف.

وقال تعالى يخاطب رسوله محمداً ﷺ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٢٠]

أي ما نقوي به قلبك على القيام بمشاق الرسالة، وفي نفس المعنى قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً**».

فالفؤاد مجموع مدارك الإنسان العلمية والفكرية والعقلية، والقلب كناية عن الفؤاد، وما ذكر القلب في القرآن الكريم إلا كناية عن العقل [١].

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي: أ. د. أحمد شوقي إبراهيم.

الفصل الرابع

عالم الروح

- الروح الإنساني .
- معاني الروح في القرآن الكريم .
- هل للروح الإنساني علاقة بالخير والشر .
- مفهوم الروح في القرآن عند المفسرين .
- الروح في الاستعمال القرآني .

عالم الروح

الروح الإنساني

المراد هنا (الروح الإنساني) التي بها نحيا ونعيش، هذه الروح التي ليس من أحد في هذه الدنيا من يملك التفصيل الدقيق عنها إلا بعض علم مستمد من القرآن الكريم أو من أحاديث رسول اللّه ﷺ.

فالروح الإنساني هو من عالم الأمر الرباني اللطيف كما قال المحققون من أهل العلم والمعرفة.

يقول **الإمام الغزالي** رحمه اللّه: الروح جسد لطيف نوراني علوي، ينفذ في جواهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من الروح بقي ذلك الجسم الإنساني بإرادته وتحسسه وحركاته، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب ما وخرجت عن قبول الروح، فارق الروح البدن إلى عالم البرزخ.

نلاحظ من تعريف الإمام الغزالي للروح أنه يتكلم عنها بإطار عام لا خصوصية فيه وذلك لسبب بسيط أنه ولا غيره يملك علم خصوصية الروح وماهيتها.

والغزالي مثله مثل كثير من العارفين والمحققين الذين لم يتجاوزوا بحديثهم عن الروح أكثر من التعريف العام.

وهذا ما يكون من علماء هذا الجيل والذي يليه وإلى أن تقوم الساعة فلن يتعدوا حدود التعريف للروح الإنساني.

فقد اختص اللّه بعلمه (الروح الإنساني) كما اختص بعلمه الساعة ـ والغيب وعلم ما في الرحم والمستقبل وعلم الغيب كله.

قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وفي عصرنا الحاضر استطاع الإنسان بأمر اللّه ومشيئته ولوعد وعده في كتابه العزيز أن يتعرف ويكتشف بعض خلق اللّه وآياته بما وهبنا اللّه سبحانه وتعالى من عقل وفكر ميزنا به عن سائر مخلوقاته.

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وهذا ما نراه اليوم من اكتشاف الإنسان لمجاهل الكون المحيطة به ليدرك قدرة اللّه ويؤمن وكذلك مجاهل الجسد الإنساني المعجز في خلقه بالنسبة إلى عقولنا المحدودة أمام علم اللّه سبحانه وتعالى واللّه سبحانه وتعالى يعلم طاقة العقل المخلوقة لذلك جاءت آياته لعلمه بهذه الطاقة العقلية المخلوقة.

فاللّه سبحانه وتعالى حينما وعد بأن الإنسان سيرى آياته في الآفاق وفي الأجساد وذلك لأنه يعلم أن العقل الإنساني المخلوق يستطيع أن يصل إلى بعض هذه العلوم.

وحينما نفى معرفة الإنسان شيئاً عن سر روحه وذلك أيضاً لأنه يعلم أن هذا العقل المخلوق لا يستطيع بقدرته المخلوقة اكتشاف (سر الروح) ودليل القول.

اكتشاف بعض آيات الكون واكتشاف بعض آيات الجسد الإنساني دون اكتشاف أي شيء عن الروح الإنساني وصدق اللّه سبحانه وتعالى، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨٢]

نعم هذه حقيقة واقعة لأن القرآن الكريم بآياته المحكمة من عليم حكيم.

ومعرفتنا أن الروح هي من أمر اللَّه سبحانه وتعالى لم يمنع الإنسان من التساؤل عن سر الروح ومحاولته أن يعلم عنها شيئاً أو أن يكتب عنها شيئاً.

فليس من القرآن الكريم آيات كريمة تأمر الإنسان بالتوقف عن البحث والمعرفة ولكن كثيراً من الآيات أوضحت للبشرية أن اللَّه سبحانه وتعالى اختص لنفسه علماً كثيراً لن تصل إليه البشرية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣٤]

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٣٠]

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦]

ولكن الإنسان بطبيعته المخلوقة يحب الجدل والسؤال. قال تعالى:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٤]

وأما لماذا لم يمنعنا اللَّه سبحانه وتعالى من البحث في كل العلوم سواء تلك التي اختصها لنفسه أو تلك التي لم يختصها لنفسه بل أراد أن يطلع عليها خلقه بمشيئته وذلك ليعلموا أن اللَّه حق ومن العلم يتبين لهم أنه الحق، وأن لهم في النهاية قدرات محدودة جداً أمام علم اللَّه سبحانه وتعالى.

فمكونات الإنسان هي (الروح والنفس والجسد) ومكونات الحياة الكون المحيط بك والأرض التي تعيش عليها واللَّه سبحانه وتعالى أمرنا بالعلم أمراً. قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ .

[سورة الذاريات، الآية: ٢١]

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ * وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ * وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ .

[سورة الغاشية، الآيات: ١٧ ـ ٢٠]

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وحينما قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٣]

الآية إشارة مطلقة إلى تفرد اللَّه بالحياة والموت والنشور التي لها علاقة مباشرة بالروح الإنساني فلا حياة دون روح والموت يحتاج إلى خروج تلك الروح والنشور يحتاج إلى عودة تلك الروح وبما أن الروح من أمر اللَّه سبحانه وتعالى يقف الإنسان عاجزاً أمام هذه الحقائق الثلاثة والتي هي محور الحياة كلها.

وفي كل يوم جديد يكتشف الإنسان سراً جديداً من أسرار الجسد وفي كل يوم يكتشف سراً جديداً في الكون وكذلك في النفس ولكن الإنسان في كل يوم جديد لا يكتشف شيئاً عن الروح وحتى هذه الساعة ورغم كل هذا التقدم العلمي الكبير يعلن الإنسان وعلمه إفلاساً في معرفة أي شيء عن الروح.

ويتمركز السر الأكبر للروح في بداية الحياة (لحظة الحياة في الجنين) لهذا جعل اللَّه سبحانه وتعالى الخلق لا يتم إلا في داخل الجنين بأمر منه.

قال تعالى:

﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٦]

وأيضاً في نهاية الحياة (عند الموت) حينما يصبح الجسد فجأة جثة هامدة لا حياة فيها.

كرجلين في كامل عافيتهما ورجولتهما لا يشكوان أية آلام أو أوجاع ولا يحملان أي علائم مرضية، يسيران جنباً إلى جنب في الطريق وفجأة يرتمي أحدهما على الأرض ويفقد الحياة (موت مفاجئ) ويصبح جثة هامدة، وينظر إليه صديقه ويتساءل ما الذي حدث في صديقه فأصبح جثة هامدة وقبل ثوان كان رجلاً معافى لم يشكُ له من شيء.

فما الفرق بين الرجلين اللذين لم ينقص من أعضائهما شيء أحدهما بقي حياً والثاني أصبح جثة هامدة؟

الفرق واحد أن أحدهما فارقته الروح فجأة بأمر من اللّه والثاني بقي حياً لأن روحه لم تفارق جسده بأمر من اللّه وهذا حدث ويحدث وسيحدث.

نفهم من المثل المضروب أن الروح هي (قدرة إلٰهية) لتشغيل هذا الجسد وهذه النفس الساكنة في داخله. قال تعالى:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة المنافقون، الآية: ١١]

فاللّه سبحانه وتعالى لا يؤخر أجل إنسان سواء أكان مريضاً أم معافى، شاباً أم صبياً أم عجوزاً لعلم يعلمه ولعلمه شؤون خلقه جميعاً.

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٥]

والروح ربما تكون أقرب إلى مفهوم (الطاقة) التي هي مصدر الحياة في كل الآلات الحديثة فكل المصنعات الآلية شيء جامد لا تدب فيها الحياة إلا بالطاقة (ذرة ـ شمس ـ بترول ـ غاز ـ كهرباء) وإذا فقدت أي آلة طاقة تشغيلها وعوامل الحت كما تأكل الأرض الأجساد التي فقدت الأرواح ونقول ربما ولا نؤكد فالبشرية كلها لا تملك العلم القطعي عن ماهية الروح ولن تملك.

معاني الروح في القرآن الكريم:

وردت كلمة الروح في القرآن الكريم في أربع وعشرين (آية كريمة) ومن سياق الآيات الكريمة تعددت المعاني لكلمة (روح) فهي بالإضافة إلى كونها (الروح الإنساني).

تحمل معاني عدة نورد بعضها لنيل المراد في فهم معاني كلمة الروح.

وردت بمعنى (سيدنا جبريل) الروح القدس. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٧]

وردت بمعنى (الرحمة الإلهية) قال تعالى:

﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٨٧]

وردت بمعنى (القدرة الإلهية) قال تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٢٩]

وردت بمعنى (الوحي) قال تعالى:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٢]

وردت بمعنى (القرآن الكريم) قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٥٢]

وردت بمعنى (النور الإلهي) قال تعالى:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

[سورة المجادلة، الآية: ٢٢]

هذه الآيات الكريمة تشير إلى بعض معاني كلمة الروح غير معنى (الروح الإنساني) وما ذكر هو حقيقة بعلم اللّه، واللّه سبحانه وتعالى أعلم بالمراد ولكن هذه المعاني تقريباً وردت في أكثر التفاسير للآيات القرآنية واللّه أعلم.

ونلاحظ من جميع الآيات الكريمة التي ذكرت كلمة (الروح) أنها تشير إلى جلال معنى الروح وقدسيتها وبالروح شرف اللّه سبحانه وتعالى الإنسان تشريف إكرام وتكريم ودلالة شرف الروح الإنساني، أن اللّه سبحانه وتعالى لم يأمر الملائكة بالسجود لآدم كجسد إلا بعد أن نال هذا الجسد الشرف الروحاني الذي جعله اللّه في آدم ولما أصبحت الروح في الجسد وأصبح آدم جسداً بروح أمر اللّه الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية لتشريفه بالروح بمعانيها السامية.

قال اللّه تعالى مخاطباً الملائكة:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ .

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠]

وتم السجود بعد تكامل الجسد الذي خلق في أحسن تقويم مع قدسية الروح.

ولقدسية الروح ومكانتها السامية لم يجعل اللّه سبحانه وتعالى علمها بين أيدي البشر حتى لا يفسدوا قدسيتها ومكانتها السامية ولا يعبثوا فيها، لأنها بحاجة إلى الحفظ والصون.

وبما أن الإنسان المخلوق لا يملك الحكمة والرحمة المطلقة التي هي من صفات اللّه وحده لم تكن الروح بين يديه ولم يجعلها اللّه سبحانه وتعالى ضمن ملكات العقل الإنساني فرفع العلم بها عن العقل لأنه غير مؤهل لحفظها وتقديرها لسموها ورفعتها ومكانتها.

وقدسية كلمة (الروح) جاءت من المعاني المصاحبة لها والمدلولات التي تشير إليها فالروح التي وردت في الآيات تشير إلى جبريل عليه السلام وتشير إلى الوحي وإلى الرحمة وتشير إلى القرآن كما أنها تشير إلى النور الإلٰهي كما وردت بالدلائل القرآنية، فجميع معانيها القرآنية معاني تحمل القدسية من النور الإلٰهي إلى القرآن الكريم إلى رحمة اللّٰه إلى جبريل عليه السلام وجميعها من أسرار اللّٰه سبحانه وتعالى لذلك دخلت حقيقة الروح الإنساني في علم اللّٰه الذي اختصه لنفسه دون خلقه أجمعين.

هل للروح الإنساني علاقة بالخير والشر؟

لا أتصور والعلم عند اللّٰه سبحانه وتعالى أن الأرواح لها علاقة في تحديد مسلك الإنسان ومنهجيته وعقيدته وكذلك في تحديد طريق الشر أو الخير والإيمان والكفر. إن هذا يعود إلى النفس الإنسانية التي تحدد منهجيتها وطريقها.

والقرآن الكريم لم يذكر عن الروح أنها يمكن أن تكون خبيثة أو أمارة بالسوء مما يدل على قدسيتها وعدم مسؤوليتها في اختيار المنهج والمسلك لدى الإنسان والآيات تشير إلى مسؤولية النفس.

قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

[سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠]

فالامتحان والابتلاء وقع على النفس وكذلك وقع الجزاء عليها والحساب يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٧]

قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١]

وما ذكرت هو اجتهاد دلت عليه الآيات الكريمة والله سبحانه وتعالى عنده العلم الأول والآخر ـ **والله أعلم**.

الروح والموت:

الموت حكماً: يعني خروج الروح من الجسد بأمر الله سبحانه وتعالى ولكمال الحكمة الإلٰهية أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للموت (منهجاً زمنياً ثابتاً) يعمل به كأن تعيش البشرية عمراً محدداً ثمانين عاماً ثم الموت ولو أن هذا حدث لفسدت حياة الإنسان على الأرض لأن الإنسان بفيزيولوجية خلقه المخلوق بها لا يمكن لاستمرار حياته السلمية أن يحدد العمر بزمن معين لكل البشر وقد بين القرآن الكريم هذا الأمر بوضوح وجلاء.

قال تعالى:

﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

فالموت بقانون الحياة الذي نعيشه هو مطلق الرحمة الإلٰهية لذا جعل الله سبحانه وتعالى احتمال الموت في كل لحظة من حياة الإنسان قائماً حتى لا يتواكل ويتكاسل العبد المخلوق في أداء العمل واتباع المنهج الرباني الذي أمر به على فرضية امتداد العمر وأن الموت بعيد ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الروح مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالموت فلا موت دون خروج الروح من الجسد كما أنه لا حياة للجسد دون خروج الروح للجسد ودخول الروح وخروجها من الجسد لا يمكن أن يتم إلا بإذن الله سبحانه وتعالى وأمره وقد

تبين لنا هذا من الآيات الكريمة ومن نصوص الأحاديث القدسية والنبوية الشريفة:

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٥]

وقال تعالى:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة المنافقون، الآية: ١١]

وللموت وخروج الروح من الجسد حقائق يجب أن نتبينها لنكون أقرب إلى حقيقة الموت.

اللَّه سبحانه وتعالى لم يخلق البشر للفناء بل خلقهم للديمومة والبقاء وما الموت إلا مرحلة من مراحل حياة الإنسان يمر بها سريعاً وقد بينت الآيات القرآنية الحقيقة الزمنية للموت، نتبينها وندرك ماهيتها يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤٥]

وقال تعالى:

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٤٦]

الموت خلق كما الحياة خلق ولكن بعلم اللَّه سبحانه وتعالى لا كما يظن كثير من الناس أن الموت عالم الفناء والنهاية. قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

فالموت خلقه اللَّه كما خلق الحياة، وما الموت إلا مرحلة انتقال نعيش

فيه عالماً خاصاً (برزخي) كنهه ليس مجهولاً إلينا بالكلية من إشارات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة أطلعتنا قليلاً على هذا العالم البرزخي في مرحلة الموت.

فالموت وما بعده هو المرحلة الأهم من حياة الإنسان لأنه ينقله إلى عالم الحق ويبين لنا تماماً حقيقة وجوده التي غفل عنها كثير من الناس. قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وقال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٢]

فيرون الحقائق والآيات المخفية عنهم رحمة بهم ولكن بعد أن ينهي الإنسان حياته على الأرض يصبح من الضروري إطلاعه عليها ليرى الحقائق جلية أمام عينيه هذه الحقائق التي غفل عنها كثير من الناس لشك في أنفسهم ولاتباعهم طريق الهوى والفساد.

فالإنسان خلق ليعيش الأبد بعد البعث والنشور ويوم القيامة والانتقال من الحياة إلى يوم القيامة مباشرة لا يتناسب مع منهج الحياة والموت والقيامة والخلود التي ارتضاها اللّه لنا، وكذلك لأن فيزيولوجية خلق الإنسان تقتضي انتقاله عبر أطوار فالانتقال من الصيف إلى الشتاء مباشرة يخالف فيزيولوجية الإنسان لذا جعل اللّه سبحانه وتعالى (فصل الخريف) مرحلة انتقال وكذلك الانتقال من الليل فجأة إلى النهار لا يناسب فيزيولوجية الإنسان لذا جعل اللّه سبحانه وتعالى طلب النهار من الليل حثيثاً.

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

الموت الذي نفر منه رحمة مطلقة للعباد جميعاً المؤمن منهم والعاصي، فلو أن الإنسان تسلسل هرمياً عبر حياته فإنه سيصاب بالشيخوخة

والعجز ويرد إلى أرذل العمر فلو أن اللّه سبحانه وتعالى قضى أن لا يموت فلان فإلى أين يصل بالعجز والهرم؟ فإنه يصل إلى درجة أنه لا يقبل دون الموت بدلاً وهو الذي يطلب الموت لنفسه برجاء ودعاء فتركيب الإنسان لا يتحمل العمر المديد.

الراحة الحقيقية للإنسان وأقصد المؤمن لا يجدها إلا في الموت لأنه الباب الأول الذي يُفتح ليكون منه لقاء اللّه سبحانه وتعالى ومن أحب لقاء اللّه سبحانه وتعالى أحب اللّه لقاءه.

الموت سبب قوي جداً لتوبة العبد وعودته إلى اللّه وهو سيف الحق المسلط على الإنسان وحتميته المطلقة هي التي تؤهل النفس البشرية إلى صفاء العلاقة مع اللّه سبحانه وتعالى وتتجلى بذكر الموت الدائم صفحات النور والإيمان في وجه المؤمن، لذلك فإن ذكره يهذب النفس ويخفف من غلوائها ويلطفها ويستميلها إلى حب الخير.

الموت رمز العدل الإلٰهي المطلق فقد ساوى في أمره جميع خلقه غنيهم وفقيرهم سيدهم وعبدهم وساوى فيه بين الحاكم والمحكوم والآمر والمأمور وكل آتيه يوم القيامة عبداً وفرداً.

جعل اللّه سبحانه وتعالى الموت حقيقة مطلقة غير قابلة لأي جدل ونقاش ورأي وفلسفة وتساؤل ورجاء وتمّ فإنه قضاء إلٰهي وسنة من سنن اللّه لا تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً وليس للإنسان في الموت رأي وقرار ورغبة لذلك أكده اللّه وجعله حقيقة جلية أمام البشر لا يجدون لها مصرفاً. قال تعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧]

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ٨]

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٨]

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ .

[سورة المنافقون، الآية: ١١]

وكذلك كثير من آياته التي تؤكد حقيقة الموت التي لا مفر منها أبداً ومن هذه الحقائق المؤكدة تسعى البشرية إلى حرب الآيات القرآنية وحرب آيات خلقه، لأن عقل الإنسان قاصر ما إن يملكه اللّه بمشيئته بعض علم ومعرفة حتى يسعى إلى فساد الأرض بتبديل خلق اللّه ومحاولة لإلغاء الشيخوخة والتطلع بالمستقبل إلى معرفة حقيقة الموت ليتمكنوا منها ويصرفوها عن أنفسهم وما الاستنساخ البشري الذي يقولون فيه ومحاولة تصنيع أدوية للقضاء على الشيخوخة ودفن كثير من الجثث في ثلاجات المستشفيات على أمل العودة إلى الحياة عندما يجد العلماء علاجاً للشيخوخة ووقف الموت وإعادة الحياة للموتى إلّا دليلاً على محاولة تحدي الرغبة الإلٰهية والأمر الإلٰهي وما يفعلونه دليل على قصر حكمة الإنسان وقبوله العاجلة (الدنيا) وقصر حكمتهم بالسؤال ماذا لو استطاعوا وقف الشيخوخة وإطالة العمر ووقف الموت؟ التي يحلمون بتحقيقها ويعملون لهذا.

فهل تستمر الحياة على الأرض؟ بالطبع لا لأن المعايير ستختلف وإذا اختلفت معايير الوجود والبقاء لا بد من نهاية مؤلمة، لأن كل شيء مخلوق بقدر ومنها الحياة والموت والحقيقة أن كل إنسان مؤمن باللّه ويرى بنور اللّه يدرك حقيقة الموت ويشكر اللّه سبحانه وتعالى ويحمده عليها فالذين يرضون بالحياة الدنيا عقولهم قاصرة ولا يمكن لعاقل أن يقارن نعيم (سبعين سنة) أو مائة أو ألف بنعيم الأبد ولا يمكن لعاقل أن يرضى بنعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة لذلك من يرضى باللّه رباً وبسيدنا محمد نبياً وبالإسلام ديناً لا يبيع دينه بدنياه ولا حياته بآخرته ولا متع الدنيا بنعيم الآخرة ولا يفكر بهذا ولا يحلم به ولا يعمل له فاللّهم اجعلنا من الذين يرضون بك رباً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً وبالإسلام ديناً واغفر لنا وتجاوز عن أخطائنا وارحمنا وأنت أرحم الراحمين.

والحمد للّه رب العالمين

مفهوم الروح في القرآن الكريم عند المفسرين

لم يستطع الإنسان من قديم، أن يفرق بين عنصره المادي ممثلاً في الجسد، وعنصره المعنوي ممثلاً في الروح، وقد ربط الحياة والموت بهذه الروح التي تمنحه الحياة، فكانت الروح تعني النفس من حيث لا بقاء لنفس بغير روح.

وبهذا قال الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ) عن الروح: (ما تقوم به حياة الأنفس)[١].

ومن اللغويين[٢] من يعتقد أن الروح والنفس بمعنى واحد، فهم يذكرون الروح، ويعنون بها النفس، كما يذكرون النفس، ويعنون بها الروح، إلا أن الروح كائن مجرد غير محسوس، وسر من أسرار الله سبحانه وتعالى ومعجزة من معجزاته، ومظهر خارق لا يمكن فهمه ولا إدراكه ولا حصره ولا تحديده، ولهذا سمعنا قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وهذا المعنى الواضح الدال على سر الروح، لم يختلف في معناه دين من الأديان ولا فلسفة من الفلسفات ولا علم من العلوم، إذ كلها تتفق على أنها من الأسرار التي لم تعرف بعد، قال الجنيد البغدادي (ت٢٩٨ هـ): (الروح شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود، لقوله:

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾).

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥][٣].

وقال ابن القيم (ت٧٥١ هـ): إن الروح لا تطلق على البدن لا بانفراده

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (روح)، ١/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: الفراهيدي، العين، ٧/ ٢٧٠ والأزهري، تهذيب اللغة، ٣١/ ٧-٨ والجوهري، الصحاح، ٢/ ٩٨١ وابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٢٣٣ والزبيدي، تاج العروس، ٤/ ٢٥٩.

(٣) أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ٦٧.

مع النفس، وسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن، وقال بعضهم: الأرواح من أمر اللّه أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق، وقال آخرون: الأرواح نور من نور اللّه وحياة من حياة اللّه[١].

ومهما يكن من أمر فالروح في الفكر الفلسفي الإسلامي بقيت لغزاً، وهي أمر لا يمكن إثباته بالشواهد والأدلة الحسية على وجه القطع، ولا يمكن إنكاره إلا تعسفاً، ولا يمكن تجاوزه إلّا جهلاً، وهي تبقى بعد ذلك قضية القضايا التي يقف أمامها علمنا المحدود مكتوف الأيدي.

وإذا كانت الروح على هذه الصورة من الربانية غدت من النماذج التي تضرب على قضاء اللّه وقدره فكأنها رقيب منتدب يلابس الجسد الإنساني ويحيط به من كل ناحية إحاطة تامة.

وإذا كان أكثر اللغويين قد اعتقدوا بأن الروح والنفس في معنى واحد، فإن القرآن قد فرق بين الروح والنفس، وأعطى لها مفهومها ومعناها الخاص، وهذا ما سنوضحه الآن.

الروح في الاستعمال القرآني:

وردت لفظة (روح) في القرآن الكريم في (٢٤) أربعة وعشرين موضعاً منها (١٨) ثماني عشرة آية مكية و(٦) ست آيات مدنية، والقرآن الكريم عندما استعمل لفظة (روح) فإنه ينظر إليها نظرة شاملة متكاملة، وأوردها في دلالات معينة أضفت عليها طابعاً مميزاً مما يجعلها أن تبقى السر الإلٰهي الذي لا يعرف كنهه وماهيته. فقد وردت في دلالات عدة وهي على الوجه الآتي:

١ ـ إفاضة الحياة من اللّه في آدم تكرماً وتشريفاً له، كقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٢٩]

ومعنى الآية: فلما أجرى اللّه سبحانه وتعالى الروح في آدم عليه السلام

---

(١) ينظر: ابن القيم، الروح، ٢١٧-٢١٩.

على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه وإنما أضاف روح آدم إلى نفسه تكرماً له وتشريفاً وهي إضافة الملك[1].

وكقوله تعالى:

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٩]

ومعنى الآية: أي سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقاً سوياً معتدلاً ثم نفخ في ذلك المخلوق فصار حياً ناطقاً بعد إضافة الروح إلى نفسه إضافة اختصاص وملك على وجه التشريف[2].

٢ ـ إضافة الروح في مريم المصطفاة للدلالة على خلق عيسى، كقوله تعالى:

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩١]

وكقوله تعالى:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ١٢]

ومعنى الآية:

خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حياً فالضمير في (فيه) يعود إلى المسيح[3].

٣ ـ الروح التي من أمر الله تبقى هي السر الإلٰهي، ومعرفة ماهيتها مقصور

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ٦/ ٣٣٦ وينظر الطبري: جامع البيان، ١٤/ ٣١ والزمخشري، الكشاف ٢/ ٣٩٠.

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٩٦ والزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٤١-٢٤٢ والطبرسي، مجمع البيان، ٨/ ٣٢٧ والشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٣١٠.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/ ٣١٩.

على اللّه وحده، فحينما سأل اليهود النبي ﷺ بأن يخبرهم عن الروح نزلت الآية الكريمة:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

٤ ـ الروح بمعنى الوحي، كقوله تعالى:

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٥]

والمعنى:

ينزل الوحي من أمر اللّه على من يشاء من عباده يعني على الأنبياء[١].

وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٥٢]

والمعنى: وحياً من أمرنا[٢].

٥ ـ الروح بمعنى عيسى ابن مريم عليه السلام، كقوله تعالى:

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٧١]

وجاء في تفسير الطبري (ت٣١٠ هـ): وروح من اللّه خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم، فدخلت فيها فصيرها اللّه سبحانه وتعالى روح عيسى عليه السلام[٣].

---

(١) مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ١/ ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) الطبري، جامع البيان، ٦/ ٣٦.

وللراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) قول: (سمي عيسى عليه السلام روحاً وذلك لما كان له من إحياء الأموات[١] وأن خلق عيسى عليه السلام في بطن مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله: «رُوحٌ مِّنْهُ» وقد نفخ اللَّه في طينة آدم من قبل من روحه فكان إنساناً[٢].

٦ ـ وكما تقترن الروح بالملائكة تشريفاً وتكريماً لهم، كقوله تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

وقوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

وقوله تعالى:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

[سورة القدر، الآية: ٤]

يقول الراغب الأصفهاني: (وسمي أشراف الملائكة أرواحاً)[٣].

٧ ـ والروح بمعنى جبريل عليه السلام، كقوله تعالى:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٠٢]

والمعنى:

(قل جاء به جبريل من عند ربي بالحق)[٤].

وكقوله تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ ـ ١٩٤]

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٢٠٥.

(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/ ٨١٧.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، ٢٠٥، العمود٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ١٤/ ١٧٧ وينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٢٨ وأحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ١٤/ ١٤٢.

والروح الأمين (يعني جبرائيل عليه السلام وهو أمين اللّه لا يغيره ولا يبدله وسماه روحاً لأنه يحيي به الدين وقيل: لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل: لأنه جسد روحاني ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأن اللّه سبحانه وتعالى يسمعه جبرائيل عليه السلام فيحفظه وينزل به على الرسول ويقرأه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه وقيل: معناه لقنك اللّه حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاءً له)[١].

وقوله سبحانه وتعالى لمريم:

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآية: ١٧]

والمعنى:

(هو جبريل وأضيف الروح إلى اللّه سبحانه وتعالى تخصيصاً وكرامة، والظاهر أنه جبريل عليه السلام لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ أي ممثل الملك لها)[٢].

وقوله سبحانه وتعالى لعيسى:

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٧]

وقد فسر الرازي هذه الآية بقوله: (اختلفوا في الروح على وجوه: أحدها ـ أن جبرائيل عليه السلام إنما سمي بذلك لوجوه: الأول: أن المراد من روح القدس الروح المقدسة كما يقال: حاتم الجود ورجل صدق فوصف جبرائيل تشريفاً له وبياناً لعلو مرتبته عند اللّه. والثاني: سمي جبرائيل بذلك لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح... والثالث: أن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة. والرابع: سمي جبرائيل روحاً لأن ما ضمته من أصلاب الفحول وأرحام الأمهات.

والثاني ـ المراد بروح القدس الإنجيل كما قال في القرآن ﴿رُوحًا مِّنْ

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ٧/ ٢٠٤.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ٩٠-٩١.

أَمْرِنَاۚ﴾ وسمي به لأن الدين يحيا به ومصالح الدنيا تنتظم لأجله. وهناك قول لابن عباس وسعيد بن جبير وهو الثالث ـ أنه الاسم الذي كان يحيي به عيسى عليه السلام الموتى. ورابعها ـ أنه الروح الذي نفخ فيه والقدس هو اللّٰه سبحانه وتعالى فنسب روح عيسى عليه السلام إلى نفسه تعظيماً له وتشريفاً، كما يقال: بيت اللّٰه، وناقة اللّٰه)[١].

٨ ـ والروح بمعنى الرحمة، كقوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٢٢]

ومعنى الآية: (وقاهم برحمة منه)[٢].

وهكذا فإن الروح في كل هذه المعاني التي أشار إليها القرآن الكريم توضح أن ورود اللفظة ليست للدلالة على الشخص نفسه، ولا للدلالة على البدن فقط، ولا على البدن مع الروح الذي هو الإنسان بمجمل فعالياته، وإنما لها اعتبارات خاصة من قبل اللّٰه سبحانه وتعالى، وهذا ما يجعلها متميزة عن النفس في الدرس القرآني.

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن للروح خمسة استعمالات منها: نفخ اللّٰه الروح في آدم معطياً الحياة إلى جسم آدم، وكذلك إلى مريم لخلق عيسى، وكما يقال سمي عيسى بروح من اللّٰه، وكذلك ارتباط الروح مع الملائكة، ومن ثم الروح الأمين التي نزلت على قلب سيدنا محمد لأجل أن توحي له بالقرآن.

ومهما تكن معاني (أمر) و(من) فإنها مرتبطة مع الروح:

أ ـ بالمعرفة.

ب ـ مع الملائكة والمخلوقات لإعطاء التحذير.

ج ـ مع المخلوقات للتحذير.

د ـ مع سيدنا محمد للمعرفة والعقيدة والنور والهدى.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٣/ ١٧٧.

(٢) مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ١/ ١٦١.

ولذلك فإن هذه الروح هي أداة خاصة من اللّه لخدمة النبوة. وفي القرآن فإن الروح لا تعني الملائكة بصورة عامة ولا الإنسان نفسه أو روح الإنسان، وإنما هناك في وحدة الملائكة والرسل والذين قد يكونون هم الروح أنفسهم.

ومما سبق فإن دائرة المعارف الإسلامية لم تعط لكلمة الروح غير هذه المعاني، تاركة المعاني الأخرى التي ذكرناها، وهذا مما يوضح أن الروح لا يستطيع أن ينالها أي باحث أو مستشرق مهما طالت يده وغزر فكره، وهي بذلك تبقى قضية القضايا، وتبقى حقيقتها مختلفة على الخلق أجمعين[١].

(١) د. فاضل النعيمي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد جامعة صنعاء.

الفصل الخامس

آيات اللَّه في بعث الإنسان وحسابه:

أولاً: بعث الإنسان.

- مدخل.
- كل شيء هالك إلا وجهه.
- وعد اللّه سبحانه بالبعث والنشور.
- بيان قدرة اللَّه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جميعاً.
- كل الخلائق تبعث يوم القيامة كبعث نفس واحدة.

ثانياً: حساب الإنسان.

- مدخل.
- العرض على اللَّه تعالى.
- عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة.
- آيات الحساب في القرآن الكريم.
- الحساب اليسير والحساب العسير.
  ١ ـ الحساب اليسير.
  ٢ ـ الحساب العسير.

آيات اللّه
في بعث الإنسان وحسابه

أولاً

بعث الإنسان

مَدخل: كل شيء هالك إلا وجهه

قلنا في الجزء الرابع من الكتاب: إن اللّه سبحانه يميت كل الخلائق من النفخة الأولى في الصور إلا من يستثني اللّه سبحانه بعلمه يقول تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

ولقد بينا كذلك الآراء حول الذين استثناهم اللّه سبحانه من الصعق (الموت) عند النفخة الأولى... لكن الآيات القرآنية تؤكد أنه وقبل النفخة الثانية للبعث والنشور يميت اللّه سبحانه كل أولئك الذين استثناهم من الموت عند النفخة الأولى، ودليل ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى بين لنا في الآيات الكريمة التي تخص يوم القيامة أن كل الخلائق هالك وميت ولا يبقى إلا وجهه الكريم، وما ذلك إلا لتعلم الخلائق جميعاً ومهما كان وضع أحدهم وقربه من اللّه سبحانه أنه يصيبه ما يصيب الخلائق من الحياة والموت والبعث والنشور

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

ويقول سبحانه:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧]

وتؤكد الآية الكريمة من سورة القصص هلاك كل مخلوقات اللّه تعالى دون استثناء لأحد.

يقول تعالى:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

وفي هذه الآيات الكريمة بيان من اللّه سبحانه أنه غني عن العالمين ملائكته وإنسه وجِنّه وما لا نعلم من خلق اللّه سبحانه.. ولقد أكد اللّه سبحانه في أكثرَ من آية كريمة استغناءه عن العالمين جميعاً.

يقول تعالى: **﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.**

[سورة الحج، الآية: ٦٤]

ويقول تعالى: **﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.**

[سورة لقمان، الآية: ٢٦]

ويقول سبحانه: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ ﴾.**

[سورة العنكبوت، الآية: ٦]

ويقول أيضاً: **﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾.**

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

وكذلك فإن اللّه سبحانه في إهلاكه لكامل الخلق وتحقيق الموت فيهم جميعاً، بيان منه جل جلاله بأنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين ففي تعميم الموت يجمع اللّه كامل العدل الإلٰهي الذي وصف نفسه به.

يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الأية: ٤٥]

ويقول تعالى:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة التين، الآية: ٨]

ويقول سبحانه:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٥]

نعم لا تبديل لكلماته وهو القائل: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

.. وأما قوله ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

فإن في معناها الكثير ـ فاللَّه سبحانه يقول: إنه الغني، الغني عن خلقه جميعاً ملائكة وإنساً وجناً، ولكنه ذو الرحمة.. فإذا أماتهم جميعاً قبل يوم القيامة، فَمَنْ يكون الشاهد على اللَّه سبحانه في إعادة خلقه وقد ماتوا جميعاً؟ ولم يبق شهيد ولا رقيب من ملك ولا رسول؟... ولكن رحمة اللَّه تكفي. ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ فمن رحمته يعيد خلقه ويبعثهم ليوم القيامة ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى والجنةِ والذين كفروا بجهنمَ خالدين فيها أبداً.

وعد اللَّه سبحانه بالبعث والنشور

لقد وعد اللَّه سبحانه في كتابه العزيز رسله والناس جميعاً بالبعث والنشور والعودة إليه، وأقسم على هذه العودة ثم بين لنا بالحجة والبراهين بعث الناس من قبورهم وعودتهم إلى اللَّه سبحانه لحسابهم وجزائهم، وتعددت الآيات القرآنية الكريمة، وقد عرضها اللَّه سبحانه بالمحاجّة العقلية من خلال هذا العقل الإنساني الذي وهبه اللَّه سبحانه للبشر، والذي يوصلهم

إلى أن اللّٰه سبحانه حق وأن خلقهم حق وبعثهم حق وحسابهم حق وأن الآخرة حق وأن يوم القيامة لا ريب فيه من خلال قدرة اللّٰه سبحانه على الخلق والإعادة.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٥]

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٥]

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١١١]

... نعم إنه الوعد الحق من اللّٰه سبحانه، ومن أصدق من اللّٰه وعداً؟ ومن أعظم من اللّٰه رحمة؟ ومن أقدر من اللّٰه على البعث والنشور؟ وهو الخالق وهو الذي يحيي ويميت وبيده الأمر وإليه يرجع الأمر كله، وكم من الآيات الكريمة التي بين اللّٰه سبحانه لنا فيها أنه يحيي ويميت وليس غيره قادراً على فعل ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، مهما كَبُر أمره وشأنه وعظم خلقه، فلا يملك أحد سواه الحياة والموت والنشور.

يقول تعالى:

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣]

فلا أحد من العباد يملك الموت والبعث والنشور سوى اللّٰه سبحانه، فهو القادر على هذا وحده دون خلقه أجمعين، وصفة الإحياء والإماتة صفتان إلٰهيتان. وهذه البشرية وعمرها على الأرض عشرات الآلاف من السنين ماذا فعلت بالموت؟ فهل استطاع أحد أن ينفيه عن نفسه أو أن يدفعه؟ وكم حاول

الكثير من البشر الاحتفاظ بحياتهم أو تطويلها أو الاحتفاظ بشبابهم فما استطاعوا لذلك سبيلاً.

يقول تعالى:

﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٨]

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٨]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٧]

واليوم في عصر الحضارة والتكنولوجيا حاول كثير من العلماء إطالة العمر أو دفع الهرم والموت فما استطاعوا لذلك سبيلاً أيضاً... ذلك أن اللّه سبحانه وفي أساس خلقه لم يجعل للهرم ولا للموت دواء يدفعهما أو يؤخرهما.. فخلايا الإنسان مبرمجة من اللّه سبحانه، نشوء وقوة ثم الهرم ثم موت لا محالة، ولا سبيل للخلاص أبداً منهما، تطور العلم ووصل إلى أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها العقل البشري، لأن البشرية تبقى أولاً وأخيراً ضمن الدائرة التي رسمها اللّه سبحانه لها.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم**»(١).

عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت**»(٢).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك حديث صحيح. السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك. السيوطي في الجامع الصغير

ويؤكد اللّه سبحانه أنه هو الذي يميت، وهو الذي يحيي الموتى في عشرات الآيات القرآنية، وذلك لتطمئن قلوب العباد، واعتبر اللّه سبحانه الذين يمارون في إحياء الموتى أنهم لفي ضلال بعيد، ولفي ضلال كبير والذين لا يقدِرون للّه حقه ولا يعتقدون بالبعث والإحياء والنشور أولئك الذين لا يعلمون عن اللّه شيئاً ولا يقدرون قدرته وعلمه وعظمته، وأنه الخالق الذي يقدر على الخلق ويقدر على الموت ويقدر على الإحياء والبعث للخلائق جميعاً يقول تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٦]

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٥٨]

وفي آية جامعة شاملة يقول تعالى:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨]

ولقد أقسم اللّه سبحانه على هذه العودة وعلى هذا البعث، وقال عنه إنه حق وقول فصل مثلما أنكم تتكلمون وتنطقون، فكما أن كلامكم ونطقكم لا ريب فيه كذلك فإن العودة والبعث والنشور حق لا ريب فيه أبداً.

يقول تعالى:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

ثم يقسم اللّه تعالى مؤكداً قوله ينبه الناس ثم يبين لهم عظمته وقدرته ليس في إحياء الميت وبعثه ونشره فحسب، بل في إعادة بنانه (أصبعه) كما

كان قبل الموت وهي عملية إعجازية في الخلق والإعادة كون الإبهام له بصمة إنسانية منفردة بواسطة خطوطها الحلزونية.

يقول تعالى:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ١ ـ ٤]

وحتى لا يقف الإنسان مستغرباً أو متعجباً كيف تكون إعادة الأموات أحياء بعد فنائهم وبلائهم، وتحولهم إلى عظام نخرة وتراب، بين اللّه سبحانه لنا أن إعادة البشر إلى الحياة بعد الموت هي عملية أهون عليه من الخلق، وكلا الأمرين على اللّه سبحانه هين، ولكن حتى تطمئن قلوب الناس ولا تتساءل نفوسهم عن كيفية عودتهم مرة أخرى إلى حياة وقد تحولوا عظاماً وتراباً.

يقول تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٧]

ثم يتوجه اللّه سبحانه إلى البشرية بالخطاب العقلي والتوجه القلبي والإثبات الفكري طالباً منهم النظر والبحث والتقصي.

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

بيان قدرة اللَّه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جميعاً

. . . كثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي تحدث فيها اللَّه سبحانه عن بعث العباد من قبورهم أو من أي مكان دفنوا فيه، ولو كان في أعماق باطن الأرض والبحار ورؤوس الجبال أو في الوديان السحيقة أو في طبقات الجو أو السماء، فالآية واضحة تبين قدرة اللَّه سبحانه على جميع الخلائق والبعث والنشور.

يقول تعالى:

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

فلا فوت ولا هرب لأحد، ولا يملك أحد لنفسه نجاة أو ملجأ، ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه وما كان ربك نسياً.

فكل ما في هذا الكون مُلكه، وكل ما خلق مما علمناه وما لم نعلم ملكُه وهو تحت علمه وقدرته وإرادته. . . فأين نذهب. . فأي مكان نذهب إليه ملكه.

قال تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٢٦]

وقال اللَّه سبحانه على لسان الجن ما تقوله الجن بعد أن أدركوا أنهم لن يعجزوا اللَّه سبحانه في أرضه ولن يعجزوه هرباً، على الرغم مما تملكه الجن والشياطين من قُوى خارقة وقدرة على الطيران، حتى إنهم كانوا يصعدون إلى السماء الدنيا فيسّمعون إلى الملأ الأعلى.

يقول تعالى على لسان الجن:

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾.

[سورة الجن، الآية: ١٢]

ولقد بين اللَّه سبحانه لنا في الآيات من آخر سورة مريم بعد أن تحدث

عن الكافرين الذين قالوا: إن اللَّه اتخذ ولداً، أن هذا الادعاء الذي يدعيه أهل الشرك والكفر تكاد السموات تتفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ثم أوضح اللَّه سبحانه أنه لا إلٰه سواه وأن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وفرداً لا ينسى أحداً منهم أبداً لأنه أحصاهم وعدهم عداً وما كان ربك نسياً.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۞ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

[سورة مريم: الآيات: ٨٨ ـ ٩٥]

اقرأ هذه الآيات العظيمة وأعد قراءتها مرات، تدركْ عظيم معانيها وكلماتها. . . وعظيم الأمر وهولَ القول فيمن قال اتخذ الرحمن ولداً أو كان للرحمن ولد. . . هذا الإلٰه العظيم لا ينبغي أن يتخذ ولداً ولا أن يكون له ولد، وليس في هذا الكون كله على عظيم اتساعه إلا حقيقة لا إلٰه إلا اللَّه، عليها قامت السموات السبع والأرض ومنها كانت الجنة والنار، فلا حقيقة في كل هذا الكون إلا حقيقة لا إلٰه إلا اللَّه. . وكل شيء مخلوق بقدرة اللَّه سبحانه يعلم بالفطرة حقيقة وحدانيته وحقيقة لا إلٰه إلا اللَّه حتى السموات والأرض والجبال ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾.

ثم يبين اللَّه سبحانه أن كل من في السموات والأرض من إنس وجن ومن ملك عظيم مقرب، حتى لو كان جبريل وميكال وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش إلا سيأتي الرحمن فرداً يوم القيامة لا حول له ولا قوة له إلا بحول اللَّه وقوته، كل يأتيه داخراً راجياً عفوه ورحمته ومهما عظمت هيئته وخِلقته ولو بلغ حجمه كما بين السماء والأرض فإنه يأتي يوم القيامة مطأطأ الرأس لا يرجو إلا رحمة اللَّه وكرمه وعفوه. . .

يقول رسول اللّه ﷺ عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تعالى أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة اللّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمِائة عام**»[١].

هذا الملك على عظيم خلقه بهذه الصورة التي تفوق حد تخيّلنا وليس تفكيرنا... يوم القيامة لا يرجو إلا رحمة اللّه سبحانه... فماذا يفعل بنفسه من أعماه الباطل عن الحق ومات على كفره وشركه وضلاله واعتقاده بأن للّه ولداً أو أن اللّه اتخذ لنفسه شريكاً.

... ثم لنتابع الآيات القرآنية ففيها وعيد اللّه للكافرين بأنهم سيأتونه داخرين صاغرين، وفيها اطمئنان للمؤمنين أن اللّه سبحانه لن يترهم أعمالهم ولن ينسى عند البعث والنشور والخروج وتشقق الأرض أحداً من المؤمنين.

﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٩٤ ـ ٩٥]

هكذا يبعث الناس لا يُنسى منهم أحد، ويكون البعث بمنتهى الدقة والعلم الإلٰهي لا عشوائية ولا فوضى ولا استهتار ولا نسيان، فهذه صفات آدمية وليست صفاتٍ إلٰهيةً، فاللّه سبحانه الذي خلق السموات السبع بكل هذه الدقة وهذا النظام، وخلق الأرض وخلق أقواتها بعلم ونظام يفوق كل تخيلاتنا وعلمنا ومهما أوتينا من العلم... فالبعث سيكون منظماً وأحداثه تباعاً دقيقة ومفصلة مرتبة ترتيباً إلٰهياً عجيباً.

فلننظر في مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم وفي هذه اللحظات الحاسمة لحظات البعث والنشور والخروج من القبور.. وكيف يكون الموقف يومئذ، وما شعور البشرية بعد أن تستفيق من موتتها وغفلتها وتشاهد الحقائق التي تبدأ ولا نهاية لها، والتي بذل الكفرة كل جهد جهيد في دنياهم لنكرانها وبطلانها وتكذيبها، وذلك بعد فترة جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث صحيح.

كل الخلائق تبعث يوم القيامة كبعث نفس واحدة

يقول تعالى:

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٨]

آية عظيمة يجب أن نتوقف عندها ونتأملها وننظر فيها إلى عظمة اللَّه سبحانه فهذه قضية مهمة في عالم البشر.. فاللَّه سبحانه يعلم ذاته وقدرته بعلمه وهو يعلم كيف يحيي الخلائق جميعاً كإحيائه لنفس واحدة، فهو الخالق وهو أعلم بما خلق.... ولكن اللَّه سبحانه يتوجه في هذه الآية الكريمة للبشر مؤمنهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم المؤمن منهم بالبعث والنشور والمنكر للبعث والنشور وذلك لتطمئن قلوب الجميع فيزداد إيمان المؤمن.. وعسى بهذه الآية تطمئن قلوب المنكرين إذا قرؤوها وتهديهم.. والقرآن الكريم كله آيات هداية وتنوير وتبصير، تماماً كخطابه الموجه للناس الذين في قلوبهم ريب من البعث علهم يعودون كما في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾.

[سورة الحج، من الآية: ٤]

يقول المنكرون للبعث وإعادة الأموات إلى الحياة مرة أخرى بعد أن تحولت أجساد الموتى إلى عظام وتحولت العظام إلى تراب.. يقولون: كيف يعيد اللَّه آلاف المليارات من الخلائق وقد تحولوا إلى تراب بعد طول زمان؟ يهولهم الأمر ويستعجبون منه ولا يصدقونه!!

وليسأل أحدنا نفسه سؤالاً هيناً ليناً فيقول: هل يعجز هذا الإلٰه العظيم خالق السموات والأرض والناس أجمعين أن يحيي ميتاً واحداً وأن يعيد نفساً واحدة ويبعثها؟.. فالجواب حتماً أن اللَّه لا يعجزه أن يحيي نفساً واحدة من كل هذه الخلائق.. فتقول: إن الذي يعلم سر إرجاع نفس واحدة يعلم سر إرجاع الخلق جميعاً.

.... فلو أن الطب عرف كيف يشفي مريضاً واحداً بمرض السرطان

بدواء جديد صنعوه وجربوه على هذا المريض، فإذا شفي منه فيعني هذا شفاء جميع مرضى السرطان، لأن سر المرض اكتشف باكتشاف دوائه وكذلك المذياع فإنه في يوم لم يكن موجوداً، ولكن لما تم اختراع وصناعة مذياع واحد وعُرف سره، نسخت منه ملايين النسخ فيما بعد، وكذلك أي آلة لم تكن معروفة فعرفت وصنعت منها الآلة الأولى، تكرر منها ملايين النسخ فيما بعد.

فالإنسان لا يستطيع أن يحيي الميت لأنه لا يملك هذا العلم، وعقله المخلوق عندما خلقه اللّه سبحانه، أوقفه عن علم إحياء الميت، ومهما تطور العقل وارتقى فلن يصل إلى هذا العلم.. ولكن اللّه يعلم كيف يحيي الميت.. وكما أن صناعة المذياع الأول والهوائي الأول والهاتف الأول يعني صناعة ملايين النسخ، كذلك فإن علم اللّه بإحياء ميت واحد يعني إحياء الملايين، وخلق الإنسان الأول آدم عليه السلام يعني خلق الملايين منه.

.... فالأمر يسر على اللّه وأيسر مما نتخيل، فإذا ما اكتمل نبات الأجساد وكما قدَّمنا من قبل بالمطر الذي ينزله اللّه سبحانه بين النفختين، يرسل اللّه سبحانه عند النفخة الثانية (نفخة البعث) الأرواح التي كانت في الأصل في الأجساد قبل موتها.. أي يعيد اللّه سبحانه تلك الأرواح إلى أجسادها دون أن تخطئ روح واحدة في دخول جسدها، لأن لها شيفرة ولغزاً وتطابقاً وحيداً فقط مع جسدها لا يمكن أن تخطئ، فلا تدخل في جسد آخر لأنه يرفضها وهي ترفضه.... تنظيم إلٰهي فوق قدراتنا العقلية وتخيلاتنا الفكرية.

.... لذلك قال تعالى وفي أكثر من آية ذكرناها أن هذا الحشر عليه يسير: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

يسير لأنه يعلم سر إعادتهم جميعاً كإعادة نفس واحدة وما ذلك على اللّه بعزيز.

ثانياً

حساب الإنسان

مدخل

في موسوعتنا (موسوعة الآخرة) بينت فيها في الجزء السادس كيف أن اللَّه سبحانه وتعالى يقبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ التي تعم جميع أهل الموقف على مختلف أديانهم وعقائدهم، ليتخلصوا من أحوال الموقف وكرباته بعد اشتدادها وطولها، حيث امتدت إلى خمسين ألف سنة من سنوات الأرض. . . وذاق فيها المشركون والكافرون والمنافقون والضالون وأهل الكبائر والفواحش التاركون لفرائض اللَّه المستهزئون بدينهم وعودتهم إلى اللَّه سبحانه وتعالى من أهل الإسلام. . . ذاقوا الويل والثبور والعذاب والمهانة والذل والصغار والجوع والعطش، حيث تقطعت أحشاؤهم واحترقت أجوافهم وهم يستصرخون. .هل من منقذ لنا؟. . . هل من مخلص لنا. .؟. . .هل من شفيع يشفع لنا عند اللَّه سبحانه وتعالى. .وعلى طول هذه السنوات لا يجيبهم أحد ولا يسمعهم أحد سماع قبول، ولا ينجدهم أحد. .ومن الذي يستجيب لهم والأمر يومئذ للَّه وحده؟. .لا يقبل شفاعة من أحد إلا بإذنه. .ولا يقبل شفاعة إلا من ارتضى شفاعته. . .وقد بينت أن اللَّه سبحانه وتعالى أراد عندما قبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ أن يظهر للثقلين من أهل الموقف وعلى اختلاف أديانهم وعقائدهم سماوية كانت أو أرضية. . .من هو رسول اللَّه ﷺ، وما هو الإسلام ومن هم المسلمون.

الموحدون الذين عادوهم في الحياة الدنيا واتخذوهم سخرياً، وما فتئوا على محاربتهم والكيد لهم والتآمر عليهم ووصفهم بأوصاف بشعة وكذلك الكيد لدينهم ولكتابهم (القرآن الكريم) بكل وسائل الكيد والتآمر من أهل الكتاب والمشركين وأصحاب العقائد الأرضية الضالة، لقد صور لنا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة معاداة هذه الأمم لأمة الإسلام ودينهم وكتابهم ونبيهم. .أهل الحق وأصحاب دين اللَّه (الإسلام) الذي ارتضاه اللَّه برحمته للعالمين جميعاً. .ولكنهم رفضوا وما فتئوا بالكيد والأذى يتآمرون.

يقول تعالى:

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٦]

وكان جل سعي الكفار في الدنيا أن يطفئوا نور اللَّه في الأرض، نور الإيمان ونور الإسلام ونور الحق

يقول تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

[سورة الصف، الآية: ٨]

ويقول تعالى:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢٠]

هم يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم العسير حيث ألجمهم العرق الذي يخرج من أجسادهم فوصل إلى أفواههم كما غطتهم ذنوبهم وآثامهم وكفرهم وشركهم إلى أعلى من شحمات آذانهم... نعم شَحَمات يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم ولكن إلى أين.. إلى الوقوف بين يدي اللَّه تعالى والعرض عليه.. وهذا أشد عليهم من يوم الموقف.. لأنه ليس بين أيديهم حسنات ولا يحملون على ظهورهم عند لقائهم باللَّه ومحاسبتهم إلا الذنوب والمعاصي والكفر والشرك وتحديهم للَّه في حياتهم الدنيا واستكبارهم في الأرض على طاعة اللَّه ووحدانيته... وماذا بعد العرض على اللَّه سبحانه إلا الذل والهوان والأغلال والقَطِران، وجهنم التي ستصب من فوق رؤوسهم الحميم والحمم والسموم وكل من يحموم وأشواك وزقوم ونار تلفح الوجوه وتسقط اللحوم وطعام وشراب يقطع الأمعاء... نعم قبل اللَّه سبحانه الشفاعة العظمى من رسول اللَّه ﷺ ببدء الحساب والعرض عليه.. ولكن ليس رحمة بالكافرين والمشركين... ولكن ليحكم بعد حسابهم وتقريرهم بشركهم وكفرهم

ومعاصيهم ومؤامراتهم واعتدائهم على هذه الأمة الإسلامية وعلى دينه الحق إلى ما هو أشد وأعظم وأدهى وأمر.. إلى نار جهنم وبئس المصير..خالدين فيها أبداً لا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

العرض على اللَّه تعالى

...ماذا يعني العرض على اللَّه سبحانه؟؟

إنه يعني الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض مالك الملك الذي بيده الأمر من قبل ومن بعد أرحم الراحمين على المؤمنين والمنتقم الجبار من الكافرين والمشركين...فواللَّه لو أن السموات السبع ومن فيهن والأراضي السبع ومن فيهن عرضت على اللَّه سبحانه ووقفت بين يديه يوم القيامة لذابت وانصهرت خجلاً وحياء وخشعة وهيبة لهذا الإله العظيم الذي خضعت لعظمته الرقاب ودانت لقدرته الخلائق..ولو نظرت في أرض المحشر ورأيت الملائكة العظام والذي ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعمائة عام لرأيتهم خاشعين للَّه سبحانه قد طأطؤوا رؤوسهم خشية من اللَّه وحياء منه وإجلالاً لعظمته واحتراماً لقدرته وتحقيقاً لربوبيته.

...فماذا تفعل تلك الأمم إنسها وجنها ووحشها وطيرها إذا وقفت بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه وبدء فصل القضاء والحساب..حساب الخلق أمماً أمماً وجماعات جماعات وأفراداً أفراداً يُخرج سبحانه منهم جميعاً مقدار الذرة من خير أو شر لا تخفى منهم خافية ولا يستطيعون هرباً ولا مواراة ولا تخفياً.. ولا يستطيعون نفاقاً ولا كذباً ولا غشاً ولا عذراً ولا غدراً ولا خيانة..ليس لهم من الأمر شيء ولا يقدرون على شيء ولا يملكون شيئاً يدافعون به عن أنفسهم ولا يملكون لأنفسهم حيلة بل لا يملكون لأنفسهم من أنفسهم شيئاً إذ ستشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم ولا يستطيعون نوماً ولا سهراً ولا راحة ولا يفتر عنهم الذل والهوان فليس لهم وزن ولا قيمة ولا اعتبار، ولهوانهم وصغارهم وذلهم يتمنون أن يكونوا أنعاماً أو وحوشاً حتى يصيروا تراباً كما صارت الوحش والطير تراباً بأمر مالك الملك وفي الدنيا قال لهم سبحانه: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فاليوم لا مشيئة لهم بشيء فالمشيئة للّه وحده فهو الحاكم والآمر والناهي مشرئبة أعناقهم شاخصة أبصارهم. .لا يرتد إليهم الطرف وأفئدتهم هواء وقلوبهم جوفاء يتمنون الموت فلا يجدونه.

خلفهم وأمامهم ملائكة اللّه الغلاظ الشداد الذين لا يعصون اللّه ما يؤمرون ويكفي البشر يومئذ رؤية ملائكة العذاب من حولهم رعباً وخوفاً وهلعاً.

. . .يأذن اللّه سبحانه بفصل الحساب والعرض عليه وتأتي الأمم بين يديه كل أمة وما كانت تعبد حفاة عراة، سيدهم وخادمهم وزعيمهم وعبدهم سواء. . وكل أمة تجثو بين يدي اللّه سبحانه تنتظر فصل القضاء ومحاسبة اللّه سبحانه. .فإذا ما أخذت كل أمة موضعها الذي حُدد لها ومكانها الذي يختاره اللّه سبحانه لها ثم تجثو كل أمة على ركبها.

يقول تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

. . . .فأول العرض أن تأتي كل أمة مع كتابها وهي بحالة الجثي أي جاثية على ركبها من رهبة الموقف وعظمته. . ويقال عن هذا أيضاً إذ جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثئ على ركبتيه من الهول والفزع حتى ذكر ابن كثير في تفسيره أن هذا الموقف يشمل حتى الأنبياء، وإبراهيم عليه السلام يقول: نفسي نفسي وهذا سيأتي في حينه. .فإن الأمم تأتي عند العرض على اللّه تعالى جاثية على ركبها حتى أمة محمد ﷺ ثم يأمنها اللّه سبحانه من الفزع فيما بعد إن شاء اللّه.

عن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

«كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم».

. . . فعند العرض على اللّه كل أمة تجثو على ركبها معها كتابها منظمة صفوفاً تنتظر أمر ربها وتنتظر حسابها.

يقول اللّه:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٩]

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٨]

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

فهذه الآيات الكريمة تبين لنا كيف يعرض الناس على ربهم قبل بداية الحساب. . . فالعرض شيء وبداية الحساب شيء والإذن فيه شيء آخر. . وهناك (زمن ما) يكون بين العرض والحساب. . والأمم صفاً صفاً جاثية على ركبها.

عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»(١).

. . وفي هذه الحالة ينشغل كل إنسان بنفسه ولا ينظر إلا لنفسه ولا يدعو إلا لنفسه لا يؤذن لأحد بالكلام كل يجثو على ركبتيه في صف منظم. . . كل لا يعلم مصيره ولا إلى أين يذهب حتى المؤمنين يخافون

(١) رواه الترمذي كتاب صفة القيادة رقم الحديث (٢٤٢٥).

ويتذكرون بعضاً من أخطائهم وذنوبهم فيظنون أنها ستهلكهم الجميع خائف يرجو رحمة اللَّه سبحانه ينسى أحبابه وأقرباءه وأباه وأمه وأبناءه ويأتيهم التأنيب من ربهم ـ فيخاطب الكافرين والمشركين.

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٨]

في طول الموقف الذي امتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين وعند العرض على اللَّه يكلمهم تأنيباً على تكذيبهم في الدنيا.. وإنهم لن يعودوا ولن يجمعهم اللَّه كما وعد على لسان جميع أنبيائه ورسله وعلى لسان كل الكتب السماوية ﴿ زَعَمْتُمْ ﴾ فهذا زعمكم الذي زعمتم به. وهذا موعدكم وهم في حالة الذل والهوان جاثين على ركبهم تتحلق حولهم الملائكة.. فإذا خاطبهم اللَّه كما قلت فإنه تأنيب لهم... وتقول الملائكة يومئذ: نعم هؤلاء هم الذين كذبوا على ربهم وكذبوا بالساعة والقيامة.. بل كذبوا بذات اللَّه سبحانه..فتلعنهم الملائكة في هذا الموقف الذليل.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٨]

وتدرك الأمم الكافرة على أنواعها الكثيرة ومن طول الموقف وتأنيب اللَّه سبحانه لهم وشهادة الشهود من الملائكة واللعنات التي تنصب عليهم أنهم هالكون..عند ذلك كل واحد فيهم يفكر كيف يرد الكفر والشرك والمعصية عن نفسه باتهام غيره أنه كان السبب أو يكذب الشهود والرسل والملائكة... وكذلك المنافقين الذين يظنون أو ظنوا أن ظاهر العمل الذي كانوا يعملون به من أعمال صالحات خداعاً وكذباً من أجل مصالحهم الدنيوية وتحقيق رغباتهم..إن ظاهر الأعمال ينفعهم..وهم لا يعلمون أن اللَّه عالم بأحوالهم وبواطنهم وسريرتهم مثل علمه بظاهر أعمالهم.. فإذ كانوا على هذه الحالة من الهوان والصغار جاءهم من اللَّه ما لا يحتسبون.

عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة

. .لقد نبهنا رسول الله ﷺ أن هناك أموراً سيسأل عنها العبد يوم القيامة ليستعد لها المسلم المؤمن، وليعلم أن هناك سؤالاً عنها من الله سبحانه. . فليس كل شيء سيسأل عنه الإنسان في دنياه إذ إن أموراً كثيرة لا تكليف فيها. . فأنا لا أحاسب عن قولي وأنا نائم ولا عن قولي وأنا مغشي علي، ولا عن النسيان والسهو وكذلك لست محاسباً عن عملي قبل سن التكليف، ولست مسؤولاً عن غيري إلا ضمن ما كلفني الله سبحانه به، وكذلك لست مسؤولاً عن حركة الكون والأرض والهواء، والحرارة، والبحر، والنهر، والنبات، والحيوان إلا ضمن ما كلفني الله سبحانه به وكثير هي الأمور التي لا علاقة لي بها ولا أسأل عنها ولا عن آبائي وأجدادي ومن قبلهم فكل أمة مسؤولة عن نفسها وكل فرد مسؤول عن نفسه وما كلف به.

يقول تعالى:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٣٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

وكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تبين أن الإنسان مسؤول عما كلفه الله سبحانه به، وما استرعاه وما استخلفه وما حد له من حدود وما أوجبه عليه من إيمان وطاعة وعبادة، وقد بين لنا الله في كتابه ورسوله ﷺ في سنته الشريفة هذه المسؤولية وحدد أنواعها وأنه لا يمكن أن نحاسب يوم القيامة حتى نسأل عنها جميعاً.

أولاً: السؤال عن الإيمان والكفر:

قد أعطى الله سبحانه للبشر في الدنيا حرية الإيمان والكفر.

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

. . . فإذا وقف الكافرون بين يدي اللّه تعالى سُئلوا عن كفرهم ولماذا كفروا؟ ويطلب اللّه سبحانه منهم أن يأتوا بشركائهم.

يقول تعالى:

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٩٢ ـ ٩٣]

ولقد أقسم اللّه سبحانه أنه سيسأل الكفار عن افترائهم واتخاذهم أنداداً للّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى عن المشركين:

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة النحل، الآيات: ٩١ ـ ٩٤]

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ١٣]

والافتراء هو الكفر باللّه تعالى والشرك به لذلك سيسألون عن كفرهم وشركهم وويل للظالمين من مشهد يوم عظيم.

ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد) وعما استرعاه اللّه سبحانه:

. . . لقد نبهنا اللّه سبحانه في كتابه العزيز إلى هذه المسؤولية الجسيمة والتي هي من أهم المسؤوليات الكبيرة المكلف بها الإنسان والمسؤول عنها يوم القيامة، ألا وهي رعاية الأهل من زوجة وأولاد وتربيتهم على الإيمان وإقامة العبادات للّه سبحانه من صلاة وصيام وتأديبهم بآداب الإسلام . .

فالزوجة والأولاد تبع للأب في البيت وهم كما يعلمهم ويدربهم ينشؤون واللّٰه سبحانه يعلم هذا، فالولد طيع لأبيه في صغره فإذا أدبه بآداب الإسلام وعلمه الصلاة والصيام ومحبة اللّٰه سبحانه ورسوله ﷺ تدرب عليهما ونشأ عليهما وداوم على هذا الأمر طوال حياته الدنيا... وإن كان الأب مهملاً وكسولاً وترك أولاده بلا تأديب بآداب الإسلام وتعليم وتدريب على العبادة نشأ الأولاد على غير طاعة اللّٰه سبحانه، وهذا ما نجده اليوم في كثير من بيوت المسلمين.. وحتى لا يقول المسلم يوم القيامة عند ربه يا رب إني مسؤول عن نفسي فقط، نبهه اللّٰه ورسوله أن يتقي اللّٰه بزوجته وأولاده.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

فمن ظاهر الآية مسؤولية الأب والأم عن الأولاد ومسؤولية الأب عن الزوجة والأولاد أن لا يوردوهم موارد الهلاك وأعظمها مهلكاً نار جهنم يوم القيامة

عن أنس رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«إن اللّٰه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(١).

وأهمها التكاليف الشرعية وتدريب أهله عليها وتعليمهم تعاليم الإسلام.

عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«كلكم راع ومسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكل راع ومسؤول عن رعيته»(٢).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

والمرأة في بيتها راعية ومسؤولة تماماً مثل الرجل عن أولادها وعن تربيتهم وما قدمته لهم في معرفة دينهم وتعليمهم شريعة اللّه الإسلام، وأهمها الصدق ومحبة اللّه ورسوله ﷺ وإقامة الصلاة والصيام، والتكليفات الشرعية كافة وكذلك مسؤولة يوم القيامة عما استرعاها اللّه سبحانه في الحفاظ على بيت زوجها وماله وحفظ عرضها وشرفها وإقامة ما كلفت به.

ثالثاً

السؤال عن السمع والبصر والفؤاد

هذه الثلاثة أهم أعضاء الجسد المكلفة، وكم تحدث اللّه سبحانه ورسوله ﷺ عن هذه الأعضاء الثلاثة في جسد الإنسان... لما لها من علاقة وطيدة بالإيمان باللّه سبحانه ورسوله ﷺ وباستقامة المرء أو ضلاله وكلنا يملك هذه الثلاثة السمع والبصر والفؤاد والحمد للّه.. وكلنا يعلم كم لها من تأثير في بناء الشخصية المسلمة المؤمنة من حيث استقامة هذه الأعضاء الثلاثة أو انفلاتها نحو كل محرم.

... فإما أن أنظر إلى حرام وأتابع فيه حتى يدخلني البصر مداخل الحرام، وإما أن أكفه وأردعه فيدخلني مدخل الرضا.. وكذلك السمع.

فالأذن جاهزة أن تسمع كل شيء حراماً كان أو حلالاً مباحاً كان أو محرماً وأنا ومن واقع مسؤوليتي أمنع سمعي أن يتجسس بما حرم اللّه سبحانه عليَّ أو أن أستمع إلى كذب فأنقله فتكون الفتنة يقول تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ١٢]

وهذه مسؤولية الأذن أن لا تتجسس ولا تسمع الحرام.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

والسؤال من اللَّه سبحانه يأتي يوم القيامة لِمَ سمعت ما لا يحل لك سماعه؟ ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ كالعورات مثلاً وعن القلب يسأل اللَّه، لم عزمت بقلبك على ما لا يحل لك العزم عليه؟ ولم تعلق قلبك بما لا يحل لك شرعاً؟ ولم كرهت ما يحبه اللَّه ولم أحببت ما يبغضه اللَّه وأنت تعلم؟

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة فيقول اللَّه تعالى: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع**»(١) وفي رواية لصحيح مسلم: «**ترتع** (أي تنعم بالمأكل والمشرب) **فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟** (أي هل كنت تعتقد أنك سوف تلقاني في هذا اليوم يوم القيامة) **قال: فيقول العبد** (أي الكافر): **لا فيقول اللَّه تعالى له: اليوم أنساك كما نسيتني**».

أي اليوم أتركك في العذاب كما تركت في الدنيا شريعتي وديني ولم تؤمن بلقائي(١).

عن شَكل بن حميد رضي اللَّه عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي اللَّه علمني تعويذاً أتعوذ به قال: فأخذ بيدي ثم قال: «**قل اللَّهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وشر قلبي وشر مَنيِّ) قال: فحفظتها**»(٢).

فليتق الإنسان ربه في سمعه وبصره وفؤاده وليعلم أن كل ما يمر عليه سمعه وبصره وفؤاده ويتوجه إليه، فهو مسؤول عنه أمام اللَّه سبحانه، فإن كان توجهه خيراً فقد أُجر من اللَّه سبحانه وإن كان توجهه في الشر خسر وباء بخسران مبين.

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه الستة.

رابعاً

السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد وعن مرحلة الشباب والقوة

وفي كل هذا سيسأل العبد يوم القيامة. . . لأن هذه هي التكاليف إضافة إلى تكليف الإيمان والعبادة. . . إذ أن أكثر السؤال يوم القيامة سيكون من اللَّه سبحانه عن عمره وعلمه وماله وجسده. . فقد ذكر رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة أن العبد لا ينتقل إلى مكان آخر أو مرحلة أخرى من مراحل يوم القيامة إلا أن يسأل عن هذه الأربعة أو الخمسة، ويقف لها وربما يطول به الموقف في السؤال والجواب. . وهذا سؤال غير الحساب على العمل. . فهو يسأل ماذا فعلت؟ وهو يجيب بما فعل.

روى الإمام الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»**.

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ورواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به»**.

وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وما عمل فيما علم»**.

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي أيضاً والبيهقي.

وما ذكره رسول اللَّه ﷺ عن السؤال هو ما استرعاه اللَّه في ابن آدم ولذلك هو مسؤول عنه. . فالتكليف أمانة والعمر أمانة والجسد أمانة والمال أمانة والعلم أمانة. . ولا بد أن نسأل عن هذه الأمانة ولقد أقسم اللَّه سبحانه

بالعصر أي بالوقت والزمن والعمر بأن الإنسان قد خسر إذا لم يرع حق اللّه فيما يسأله فعله وطلب منه إنجازه.

يقول تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.

[سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣]

ويكون السؤال عن مرحلة الشباب والقوة في الإنسان، وهنا موضع الشاهد، فالإنسان لا يعطي إلا بقوة الشباب فأعظم الطاعة وأحبها إلى اللّه سبحانه ما كانت في مرحلة القوة والشباب حيث يقهر الإنسان نفسه وقوته وشبابه في سبيل اللّه، ومن أجل طاعة اللّه فإذا ما هرم الإنسان ضعف عن الطاعة والتكليف بسبب هرمه لذلك سألنا رسول اللّه ﷺ أن نغتنم خمساً قبل خمس ومنها (شبابك قبل هرمك).. لذلك يكون السؤال عن الشباب شديداً فإذا نجح فيه بما يرضي اللّه كان من السبعة الذين يظلهم اللّه سبحانه يوم لا ظل إلا ظله، كما ورد في الحديث الشريف الذي أوردناه (وشاب نشأ في طاعة اللّه).

... وأما المال الذي استخلفه اللّه بين أيدينا فهو الداء الذي يصيب بامتحانه وبلائه أكثر الناس فيهوون من أجله مهاوي الردى والهلاك.. وكم من المال سيكون مهلكة لصاحبه يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس سواء في عذاب أرض المحشر أو عذاب في النار كان السبب مالهم الذي كان بين أيديهم فلم يحسنوا استخدامه أو استخدموه في معاصيهم وضلالهم أو بخلوا به على اللّه سبحانه وعلى المؤمنين.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

... وليس من يوم أسعد من يوم القيامة على الذين وضعوا مالهم وما استخلفهم فيه اللّه سبحانه في رضا اللّه وفي سبيل اللّه، وأوسعوا دائرة

صدقاتهم فهؤلاء أجرهم لا يعلمه إلا اللَّه وهم الذين أقرضوا اللَّه والوفاء يوم القيامة. . فما رأيك بمن أقرض اللَّه فكيف يرد اللَّه له هذا القرض؟

يقول تعالى:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

وأما العلم فالإنسان مسؤول عنه ومحاسب عليه هل عمل به للدنيا ومن أجل الدنيا ومصالحه في الدنيا؟. أم كان يبتغي بهذا العلم وجه اللَّه سبحانه، وأعظم العلم ما كان للَّه وفي سبيل اللَّه. . وكم عظم اللَّه سبحانه العلم في كتابه وعظم العلماء ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾؟

[سورة الزمر، الآية: ٩]

وكذلك فعل رسول اللَّه ﷺ عندما جعل خير الناس على وجه الأرض من تعلم القرآن وعلمه «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخاري عن علي رضي اللَّه عنه وأما من كان علمه لذاته وآذى به خلق اللَّه سبحانه كصناعة القنابل التي تفتك بملايين الناس، أو تعلم لغير دين اللَّه من أجل الدنيا وكل هذا يأتي عند محاسبة اللَّه للعبد.

خامساً

السؤال عن النعيم (النعم والآلاء)

إن نعم اللَّه سبحانه على عباده في الدنيا لا تعد ولا تحصى وهذه حقيقة واقعة ملموسة جهل بها من جهل وعلم من علم، أقرَّ من أقر وأنكر من أنكر.

إن نعمة اللَّه على عباده لا تحصى ولا تعد. . ولكن العبد يظن أن النعم هي فقط تلك التي تحيط به في جسده ورزقه وأهله. . . لا فإن نعم اللَّه أعظم من هذا بكثير. . فمن نعمة الإيمان إلى نعمة الإسلام إلى نعمة العافية، والولد، والزوجة والأهل من أب وأم وإخوة إلى الرزق الذي لا ينقطع، إلى الماء الذي نشربه إلى الأشجار، والبحار والأنهار. . . وفوق هذا نعم

السموات التي سخرها اللّه سبحانه لعباده . . فمن منا يستطيع أن يحصي نعمة السماوات وما بطن فيها من النعم .

يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

ومن أعظم النعم التي أنعم اللّه سبحانه علينا أن خلقنا وأوجدنا وهدانا إلى صراطه المستقيم . . ولولا اللّه سبحانه لما خُلقنا ولما وُجدنا ولما تمتعنا بهذا النعيم، وفوق كل هذا النعمة العظمى وهي جنات اللّه الخالدات والتي يحيا فيها المؤمن خالداً فيها أبداً .

يقول تعالى مبيناً أنه سوف يسأل الناس أجمعين عن النعم التي أنعمها عليهم .

يقول تعالى :

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

[سورة التكاثر، الآية: ٨]

ومعنى الآية الكريمة أن اللّه سبحانه سيسأل عموم الناس عن النعم التى مرت عليهم وعايشوها في الدنيا ونعموا بها وتلذذوا من صحة البدن ولذة الطعام والشراب ولذة الظلال والمأوى ونعمة النظر والسمع والبصر والإحساس والتذوق والنوم . . . فالنعيم لا يحصى لكثرته .

يقول تعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ١٨]

عن الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال: لما نزلت: ﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال الزبير: يا رسول اللّه، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان الماء والتمر؟ فقال ﷺ: «**أما أنه سيكون**» رواه الترمذي .

يعني أنه سيكون السؤال عن نعمة الماء وغيرها من ألوان الأطعمة والأشربة .

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال لهما ﷺ: **«ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟»** فقالا: الجوع يا رسول اللّه. فقال ﷺ: **«وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا»** فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال رسول اللّه ﷺ: **«أين فلان؟»** قالت: ذهب ليستعذب لنا الماء: إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول اللّه ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد للّه ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني.

قال: فانطلق فجاءهم فيه بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا، وأخذ المدية (أي السكين) ليذبح شاة، فقال له رسول اللّه: **«إياك والحلوب»** أي لا تذبح شاة حلوباً. . فذبح لهم شاة غير حلوب، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر:

«والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[١].

عن زيد بن أسلم عن رسول اللّه ﷺ في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يعني شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم[٢].

لذلك ينبغي علينا إذا طعمنا أن نسمي اللّه سبحانه، وإذا شبعنا أن نحمد اللّه تعالى، وإذا لبسنا أن نحمد اللّه تعالى، وإذا نمنا، ثم استيقظنا أن نحمد اللّه تعالى، فكل أمر بحاجة إلى حمد. . وهذا هو جواب سؤال النعيم أنك كنت في الدنيا حامداً وشاكراً اللّه سبحانه على نعمه، لذلك جاءت كلمة الشكر والحمد في الدنيا ووقعت مواقع الغفران والشكر والحمد على الآلاء والنعم، فعظم اللّه أجرها في الآخرة وأدام على العبد في الدنيا تلك النعم من واقع الشكر والحمد **(من قال عند طعامه الحمد للّه الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر اللّه سبحانه له ذنوبه)**.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وللعلم فإن اللّه سبحانه يسأل الكافر سؤال تعنيف وتوبيخ وتحقير لأنه كفر بهذه النعم ويسأل المؤمن سؤال تشريف وتلطيف وتذكير لأنه حمدها وشكرها.

سادساً

السؤال عن العهود والمواثيق

لقد عظم اللّه سبحانه العهد والميثاق وعظم فاعله والملتزم به وأنب الذين ينقضون عهده والعهود والمواثيق على عمومها.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٤]

والعهد أخذه اللّه على نفسه وألزمه بنفسه وهو الحق المبين، لذا سألنا أن نلتزم به وفي أكثر من آية كريمة بين اللّه سبحانه لنا أن العهد مسؤول منه وأنه سبحانه ما عهده لنفسه سيعطيه لعباده، ومن أصدق من اللّه عهداً ومن أصدق من اللّه وعداً؟

يقول تعالى:

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٠]

ولقد نبه اللّه سبحانه على الوفاء بالعهود والمواثيق وأنذر أولئك المخالفين.

يقول تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩١]

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٥]

والآيات كثيرة لذا كان العهد مسؤولاً هو وصاحبه بين يدي الحق تعالى، ومن نكصه ونبذه فأولئك عند اللّه هم الضالون، وضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً ببني إسرائيل وقطعهم للعهود ومخالفتهم إياها ونقضها.

يقول تعالى:

﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٠٠]

فالعهد مسؤول وصاحبه مسؤول فانظر بما عاهدت ولم تف أو فثبت فؤادك على ما عاهدت اللّه عليه وما عاهدت من عباده.

آيات الحساب في القرآن الكريم

يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٢]

ويقول سبحانه:

﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٤]

ويقول سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٢١]

ويقول أيضاً:

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٤٠]

﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٤١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

[سورة ص، الآية: ١٦]

﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ١٦]

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ .

[سورة الغاشية، الآيات: ٢١ ـ ٢٦]

هذه بعض الآيات التي ذكرها اللّه سبحانه عن الحساب وأنه الحكم العدل يوم القيامة.. ومما نلاحظه في هذه الآيات أن اللّه سبحانه يختم بعضها أنه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين... واللّه سبحانه يؤكد أنه سريع الحساب ذلك أن المرء قد يسأل نفسه وهو واحد من الخلق الذين يتجاوز أعدادهم المليارات.. فمتى يكون دوره في هذا الحشد العظيم؟ وكم يطول أمد انتظاره حتى يأتي دوره؟ وحتى لا يسأل المؤمن نفسه هذا السؤال كان جواب اللّه سبحانه من قبل أن يسأل المؤمن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ أي له جل وعلا الحكم وحده يوم القيامة وله الفصل والقضاء لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا كما ورد به الحديث.

.... وفي هذا التفسير وأن اللّه سبحانه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين نقول:

١ ـ إن اللّه سبحانه يدل على عظيم قدراته وأنه قادر على أن يحاسب هذه المليارات في زمن لا يتخيله عقلنا.. والقضاة في الدنيا يعقدون جلسة حكم في قضية شخص واحد تستغرق معهم نصف يوم، ثم تؤجل الجلسة لمرات أخرى وقد تستغرق القضية الواحدة أعواماً طويلة حتى

يحكم فيها الحكم النهائي وقد يكون هذا الحكم ناقصاً.

. . . فتصوروا محاكمة اللَّه سبحانه وحسابه لتلك الخلائق التي تتماوج كتماوج البحر والتي لا يعلم عددها إلا اللَّه سبحانه والمحاكمة والحساب على مدى الحياة كلها وليست على قضية واحدة أو حدث واحد أو جريمة واحدة. . . فتصور قدرة اللَّه سبحانه.

٢ ـ إن المؤمنين يقفون كما تقف الخلائق جميعاً كافرهم ومشركهم وضالهم وعاصيهم وفاسقهم والوقت يشملهم كما يشمل الأقوام الكافرة. . . وذلك على غير الموقف في أرض المحشر والذي امتد زمنه على الكافرين والمشركين ما يقرب من خمسين ألف سنة وقصر زمنه على المؤمن كالوقت الذي يستغرقهُ رجل توضأ وصلى فريضة الظهر. . فإكراماً للمؤمنين يسرع اللَّه في حساب الأمم وزيادة في التكريم تكون أمة محمد ﷺ أول الأمم التي تحاسب.

٣ ـ إن اللَّه سبحانه يسرع في حساب الأمم الكافرة والمشركة حتى يلقوا في نار جهنم مأواهم ومستقرهم خالدين فيها، لأن الوقوف بين يدي اللَّه رغم ما فيه للكافرين من ذل وهوان فهم في فترة عن العذاب الذي يستحقونه لأن الوقوف بين يدي أرحم الراحمين رحمة. . وهم لا يستحقونها واللَّه أعلم.

الحساب اليسير والحساب العسير

١ ـ الحساب اليسير:

هم الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم على الأغلب المؤمنون الصادقون من عموم المؤمنين من غير تلك الأصناف التي ذكرت، وهم سواد كثير وأعداد كثيرة فليس كل المؤمنين علماء وقراء وشهداء وقوامين بالليل، ولكن منهم من كان له عمله في الدنيا وقد حافظ على طاعته وصلاته وصيامه وحجه وزكاته ومات على ذلك، فهو إن شاء اللَّه من الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهؤلاء يحاسبون حساباً يسيراً بلا مناقشة ولا تشديد، وإنما لعرض أعمالهم عرضاً ثم يتجاوز اللَّه سبحانه عن سيئاتهم ويغفرها برحمته.

قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ٩]

ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من نوقش الحساب عذب»

وفي روايه (من حوسب عذب) أي من حوسب حساب مناقشة وتشديد وتفتيش عذب لا محالة.

قالت عائشة رضي اللَّه عنها: فقلت: يا رسول اللَّه، أليس قد قال اللَّه عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فقال ﷺ: **«ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، ومن نوقش يوم القيامة عذب»**(١).

وفي تعليق حسن **للعلامة الخازن** يقول فيه: الحساب اليسير هو أن تُعرض على العبد أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويُتجاوز عن المعصية. فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له: لِمَ فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر فيه ولا حجة له فإنه حتى لو طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاث من كن فيه حاسبه اللَّه حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته» قالوا: وما هي يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي؟ قال: **«تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة»**(٢).

٢ ـ الحساب العسير:

إن هناك صنفاً يحاسبون حساباً عسيراً مناقشة وتدقيقاً فهؤلاء يهلكون ويعذبون كما قال رسول اللَّه ﷺ:

«من نوقش الحساب عذب» وهو كما وصفه تعالى بسوء الحساب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والبزار والحاكم وصحح إسناده.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ .

فالآية وصف للمؤمنين الصادقين الذين يخافون (سوء الحساب) أي إن هناك سوء حساب منذر بشدته وقوته ودقة مناقشته من اللّه سبحانه. . فكما أن اللّه سبحانه يعفو ويعفو عن المؤمنين ويتجاوز عن ذنوبهم ويرحمهم ويدنيهم منه كذلك فإنه سبحانه يدقق ويفتش في الحساب على آخرين من أهل المعاصي والكبائر والذنوب العظام.

. . . فكم من المسلمين ماتوا ولم يؤدوا فروضهم من صلاة وصيام وزكاة وحج؟ وكم من المسلمين ماتوا وهم أهل كبائر من زنى وربا وأكل مال اليتيم، والاعتداء وسوء الخلق وقلة الخير حيث لم يقروا معروفاً وينهوا عن منكر؟ وكم منهم منافقون ومداهنون وكاذبون، كانوا يسعون إلى جمع المال وإلى السعي وراء شهواتهم وملذاتهم لا يرعون حرمة للّه سبحانه ولا خوفاً. . وكم من النساء العاريات الكاسيات المائلات المميلات، قينات وصاحبات معازف وغناء وطرب سعين وراء أحلامهن وشهرتهن وشهواتهن فضللن وأضللن كثيراً من الرجال والشباب؟ وكم من النساء الكاذبات الخادعات الماكرات اللواتي أوقعن بين الرجال؟ وكم منهن كن يحلفن الأيمان الكاذبة. . وكم من النساء كن صاحبات فتنة وغيبة؟ وكم من النساء كن يسخرن من الأخريات؟ وكم من النساء اللواتي كن يسعين فقط إلى زينتهن ولباسهن وما يضعن على وجوههن من زينة ويضربن بأرجلهن ليعرفن في الأرض؟ فليس كل المسلمين مسلمين ولا كل المؤمنين مؤمنين بما يحمل الإسلام والإيمان من معاني، على المؤمن المسلم أن يلتزم بها وإلا ضاع منه الإيمان كالحياء الذي إذا خلعه الناس ذكوراً أو إناثاً عن وجوههم وارتكبوا من المعاصي ما يندى لها الجبين حياءً وعاراً. . وكثير من النساء اللواتي يحاسبن حساباً شديداً على ما خلعن وأغوين وكن سبباً في إغواء الرجال ووقوعهم تحت المعصية والكبائر والذنوب والفواحش.

يقول رسول اللّه ﷺ:

«وقفت على باب النار فوجدت أكثر أهلها النساء ووقفت على باب الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء».

ذلك في رحلة الإسراء والمعراج حيث أراه اللَّه سبحانه وهيأ له كيف يكون أكثر أهل النار النساء وأكثر أهل الجنة الفقراء.

.. فأهل الحساب العسير هم الذين ماتوا ولم ينتهوا عن الفواحش والكبائر فجاؤوا ربهم بها يوم القيامة مع ذنوبهم الصغار... إذ إنّ الذنوب الصغار تمحى ويغفرها اللَّه سبحانه إذا اجتنب صاحبها الكبائر،أما إذا لم تجتنب فتبقى في صحيفة الأعمال لا تغفر فتوبقهن مع الكبائر ودليل ذلك أن اللَّه سبحانه عندما يعطي الناس كتبهم ليقرؤوها يقول الكافرون والمنافقون والعصاة وأهل الكبائر: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

وكم من الناس من صنف الآية الذين قالوا يا ويلنا طغى وبغى وظلم وتجبر واعتدى على الناس وحقوقهم؟؟

وقد توجه اللَّه سبحانه بالخطاب إلى عباده في الدنيا لو أنهم تركوا الكبائر لعفا عنهم وغفر لهم.

يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٣٧]

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٣]

.. ومن قبل دعاهم ربهم في الدنيا إلى التوبة وترك بابها مفتوحاً طوال حياتهم علهم يرجعون أو يعودون عن كبائر ذنوبهم وفواحشهم لكنهم لم يعودوا.

يقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٥]

... وطالما أنهم لم يفعلوا وما فعلوا فاليوم حسابهم حسابٌ شديدٌ

عسير لا يسر فيه، يناقشهم اللّه سبحانه في أعمالهم عملاً عملاً وقولاً قولاً صغيراً كان أو كبيراً.

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ قال:

«**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**» فقلت: يا رسول اللّه، أليس قد قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟

فقال رسول اللّه ﷺ:

«**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك**»[1].

قال **ابن حجر عن القرطبي** في معنى قوله: (إنما ذلك العرض) قال:

إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعلم (منة) اللّه عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة.

وقال النووي في شرحه للحديث: معنى نوقش الحساب: أي استقصي عليه.

وقال القاضي عياض: (عُذّب) له معنيان.. أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب بما فيه من التوبيخ، والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار.. ويؤيد قوله في الرواية الأخرى: (هلك) مكان عذب هذا كلام القاضي.. وقال النووي: ومعناه أن التقصير غالب في العباد في استقصي عليه، ولم يسامح هلك ودخل النار.. ولكن اللّه تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء وهذا أيضاً يكون من حسن الظن باللّه تعالى أنه الغفور الرحيم الذي يتجاوز عن عباده.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه عز وجل**»[2].

وزاد ابن أبي الدنيا على هذه الرواية (فإن قوماً قد أرداهم سوء الظن باللّه عز وجل) فقال لهم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٣]

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق فتح الباري (١١/ ٤٠٠) وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٤) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الخاتمة

. . لقد حاولنا بفضل اللّه سبحانه في هذا الجزء أن نتناول كل شيء عن الإنسان بحيث يكون جزءاً متكاملاً كي يعلم الإنسان من هو؟ ولماذا خلق؟ وكيف خلق وإلى أين هو ذاهب بعد الموت. . . . قدَّمنا دراسة عن النطفة والخلية، وحمل الإنسان في رحم أمه وولادته ـ ثم آيات اللّه في جسده المخلوق وكذلك شرحنا عن النفس والروح والعقل والفؤاد ـ وتطرقنا إلى استنساخ البشر في هذا العصر العلمي وأخيراً بينا كيف يكون بعث الإنسان وحسابه عند اللّه سبحانه وهي نهاية المطاف ومن أجلها خلق الإنسان. . . الإنسان هو الكائن الحي الذي أكرمه اللّه وأعزه وهيأ له ما في الأرض وسخرها مقدرات الأمور فيها له بل وسخَّر له كل ما في السماوات والأرض فضلاً منه ونعمة ورحمة ولقد أكرمه اللّه سبحانه من بين مخلوقاته بل فضله على كثير ممن خلق تفضيلاً كبيراً ودرجات كثيرة يقول تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

والمادة الملموسة للإنسان هو هذا الجسد، لذا حاولنا بيان الإعجاز الإلٰهي في الجسد وقدَّمنا دراسة مستفيضة عنه وقدَّمنا كذلك أسرار الجسد وآيات معجزات عن الجسد تبهر العقول والألباب لما فيها من بيان قدرة اللّه سبحانه. . . الإنسان هذا المخلوق الذي أراد اللّه سبحانه بعلمه أن يكون الهدف من وجوده على هذه الأرض أن يبتلى ويمتحن في أعماله وتصرفاته وكذلك إيمانه بخالقه. . يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وقد أعطى اللَّه سبحانه للإنسان حرية العقيدة والإيمان من خلال ما وهبه من عقل يوصله إلى اللَّه سبحانه ويوصله إلى الإيمان وليس إلى الكفر.

يقول تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وكذلك أعطاه الحرية في العمل الذي سيحاسبه عليه يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

ومن خلال هذا الجزء توضحت بعض آيات إعجاز اللَّه سبحانه في خلقه للإنسان والغاية التي خلق من أجلها وهي أن اللَّه سبحانه جعل الحياة الدنيا على هذه الأرض دار ابتلاء وامتحان وأن هناك موتاً وبعثاً ونشوراً وحساباً من اللَّه سبحانه وبعدها جنة أو نار يخلد فيهما الناس وقد بين اللَّه سبحانه ذلك في كتابه فقال:

يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٣٩]

فأرجو اللَّه سبحانه أن أكون قد أحسنت فيما قدَّمت قدر الاستطاعة ولا يكلف اللَّه النفس الإنسانية إلا قدر استطاعتها. فهذا الجزء من الموسوعة مهم جداً لأنه يتكلم عنا نحن البشر وهذا ما يهمنا أولاً وأخيراً لأن كل ما خلقه اللَّه سبحانه على هذه الأرض إلى فناء أبدي إلا الإنسان فإنه إلى خلود

أبدي فأرجو اللّه سبحانه أن أكون وإياكم من أهل جناته نخلد في رحمة اللّه ونعم اللّه وما ذلك على اللّه بعزيز.. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الباحث
د. ماهر أحمد الصوفي

أسماء العلماء والباحثين الـذين شاركـوا بـآرائـهـم في هذه الموسوعة جزء ١ ـ ٢٠

الرقم	الاسم	العمل
١	**اندرولانج**	خبير الفيزياء الفلكية في معهد كاليفورنيا
٢	**باولو ديبيرنارويس**	عالم فلكي
٣	**جيمس دنلوب**	عالم فلكي (المرصد الفلكي البريطاني بأدنبره)
٤	**ريتشارد إيليس**	مدير معهد علم الفلك بجامعة كمبردج بانكلترا
٥	**د. فيليب لوكاس**	أستاذ علم الفلك جامعة هيرتفورد انكلترا
٦	**د. باتريك روتش**	أستاذ علم الفلك جامعة اكسفورد انكلترا
٧	**د. جاي ميلوش**	أستاذ علم الفلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٨	**د. ترافيس متكالفي**	عالم فلك مركز هارفارد سمييشويتان للفيزياء الفضائية
٩	**ستيفن هاوكنغ**	عالم فيزيائي
١٠	**هوجيم هارتل**	عالم فيزيائي
١١	**شلايخ برغامان**	مهندس فضائي . ألماني
١٢	**جول فيرن**	رائد الخيال العلمي
١٣	**آرثر سي كلارك**	كاتب الخيال العلمي
١٤	**براد أدواردز**	مهندس فضاء أمريكي
١٥	**قسطنطين تسيولكر. فسلكي**	عالم روسي فلكي ورياضي وأبو الرحلات الفضائية

الرقم	الاسم	العمل
١٦	**جان بول نيب**	عالم فلكي / معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا
١٧	**د. أيد ويلر**	عالم فلك/ الولايات المتحدة
١٨	**د. ألن هايل**	عالم فلك ومكتشف مذنب هايل بوب مختص بعلم الكواكب
١٩	**جيوردانو برونو**	راهب إيطالي خبير في علم الفلك
٢٠	**د. لابلاس**	عالم فيزياء ورياضي ـ فرنسا
٢١	**إيمانيول كانما**	فيلسوف ألماني وخبير في علم الفلك
٢٢	**بروفسور شارل العشي**	مدير مختبر الدفع النفاث وكالة ناسا الأمريكية
٢٣	**أرسطو**	عالم فلسفي يوناني
٢٤	**فرانسيسكو ربدي**	عالم فلك وأحياء إيطالي
٢٥	**لويس باستور**	عالم أحياء
٢٦	**كانت**	عالم فلك ألماني ١٧٥٥م
٢٧	**هابل**	عالم فلك ١٩٢٩م
٢٨	**ليروي تشاو**	عالم من وكالة ناسا الفضائية ورائد فضاء
٢٩	**ساليزان شابيروف**	مهندس في الملاحة الجوية وكالة الفضاء الروسية
٣٠	**جورج حلو**	مدير مركز أيباك الفضائي
٣١	**رون غريزلي**	عالم فلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٣٢	**كريس تشيبا**	عالم فلك معهد البحث العلمي الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٣٣	عدنان عضيمة	مختص بالشؤون العلمية والفلكية جريدة الاتحاد الإماراتية
٣٤	جون هومير	عالم فلك مختص بشؤون السفن الفضائية / أمريكا
٣٥	روبرت هارفين	عالم فلك/ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٦	جاك دوريل	عالم فلك ـ وكالة ناسا ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٧	معين أحمد محمود	كاتب في شؤون الفلك
٣٨	شاندراوبكرا ماسينج	عالمان ألّفا كتاب البذور الكونية
٣٩	أرهينوس	عالم فلك سويدي
٤٠	د. كارل سيجان	عالم فلك أميركي
٤١	مسلم شلتوت	عالم فلك ـ المعهد القومي للعلوم الفلكية مصر ـ حلوان
٤٢	أينشتاين	عالم رياضيات وفلك صاحب النظرية النسبية
٤٣	فان ألن	عالم فلك صاحب حزام ألن المغناطيسي فيزيائي أمريكي
٤٤	بروس جاكوسي	عالم فيزياء فلكي جامعة كولورادو الولايات المتحدة
٤٥	د. ديفيد شاربونو	عالم فلك ـ معهد سيموثنيان للفيزياء الفضائية الولايات المتحدة
٤٦	د. إل دريك ديمنج	عالم فلك مركز جودارد للطيران الفضائي الولايات المتحدة الأمريكية
٤٧	د. جيفري دبليو مارسي	عالم فلك مختص بشؤون الكواكب جامعة كاليفورنيا الولايات المتحدة
٤٨	د. آلان بي بوس	عالم النظريات الكوكبية ـ معهد كارنيجي واشنطن الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٤٩	د. جون موري	عالم فلك ـ باحث في جامعة منبيلتون
٥٠	بيتر آن أبسبوت	كاتب أمريكي متخصص في الشؤون العلمية
٥١	مايكل سواتويك	كاتب متخصص في الشؤون الفلكية والعلمية/ الولايات المتحدة
٥٢	لورانس أم كروسي	مدير مركز التعليم والبحوث في علوم الكون والفلك جامعة كينويسترون ريزيرن نيويورك
٥٣	د. ياسين محمد المليكي	عالم مشارك في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي دبي ٢٠٠٤م
٥٤	سعيد حوى	كاتب وعالم يتحدث في أمور الإعجاز من كتبه (اللّه جل جلاله)
٥٥	رودريغو إيباتا	عالم فلك مدير المرصد الفلكي ستراسبورغ / فرنسا
٥٦	كارل ماركس	من كتاب الفلسفة المادية الوجودية
٥٧	د. أنور عبد العليم	كاتب وباحث في الشؤون العلمية من كتبه (قصة التطور)
٥٨	رالف ألفر	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية الولايات المتحدة
٥٩	بيجر إنك	عالم نباتي ألماني
٦٠	البروفيسور سول سبيكمان	عالم كيميائي نباتي إنجليزي
٦١	هارولد يوري	عالم كيميائي فلكي حائز على جائزة نوبل ١٩٢٣م إنجليزي
٦٢	د. زغلول راغب النجار	عالم وكاتب مصري مختص بالشؤون الجيولوجية والفلكية

الرقم	الاسم	العمل
٦٣	د. محمد سعيد رمضان البوطي	كاتب وعالم إسلامي كبير حائز على جائزة شخصية العام الإسلامي/ سوريا
٦٤	إنجلز	كاتب وجودي من كتاب الفلسفة المادية من مؤلفاته (الأنتي دوهرنغ)
٦٥	الكسندر ايفانوفيتش	عالم في الكيمياء الحيوية بأكاديمية العلوم الروسية
٦٦	جورج جاموف	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية/ الولايات المتحدة
٦٧	ستيفن هوكنج	عالم مختص في الشؤون العلمية والفلكية / انكلترا
٦٨	الجاحظ	عالم عربي اجتماعي فلسفي من كتبه: كتاب الحيوان
٦٩	ابن النظام إبراهيم بن سيار	عالم عربي اجتماعي وفلسفي هو أستاذ الجاحظ
٧٠	د. معين صلاح الدين	كاتب عربي سوري
٧١	ستانلي ميلر	عالم كيميائي / إنجليزي
٧٢	الفرد دالاس	عالم اجتماعي/ ألماني
٧٣	هوستان ارينبوس	عالم فيزيائي/ السويد
٧٤	جيمس متشز	مستشرق له كتب ومؤلفات في القرآن الكريم وكان منصفاً في وصف القرآن الكريم
٧٥	الفيلسوف الكندي	فيلسوف عربي
٧٦	ميكاييل ترنر	عالم فلك الجمعية العلمية الوطنية أمريكا
٧٧	ابن رشد	كاتب وفيلسوف عربي من كتبه «تهافت التهافت»

الرقم	الاسم	العمل
٧٨	ابن سينا	عالم عربي في الطب والفلسفة من كتبه عيون المسائل
٧٩	إخوان الصفاء	أصحاب نظريات فلسفية من كتبهم (كتاب الرسائل)
٨٠	جليشر	عالم فلك إنجليزي ١٨٦٣ حاول الصعود إلى السماء بالمنطاد
٨١	د. أرنولد توينبي	باحث وكاتب اجتماعي بيئي فلسفي
٨٢	فرانك ألن	عالم الطبيعة البيولوجية
٨٣	تشارلز يوجين	عالم رياضيات سويسري
٨٤	بول كلارنس	عالم في الطبيعة الحيوية ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٥	جورج إيريل دافيز	عالم طبيعة/ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٦	العلامة الخنجواني	مفسر وعالم من كتبه (الفواتح الإلّهية)
٨٧	ريشارد هوفر	عالم فلك/ مركز آيمز للأبحاث وكالة ناسا
٨٨	الفارابي	فيلسوف وكاتب عربي
٨٩	فرانشيسكو	عالم فلك إيطالي حاول الصعود إلى السماء عن طريق البالون
٩٠	دونيس سكايما	عالم فلك من أشد أنصار نظرية الكون المستقر
٩١	ستيفن هوفكن	عالم فلك وفيزياء صاحب كتاب التاريخ المختصر للزمن
٩٢	جورج كرنشتاين	عالم فلك صاحب كتاب الكون التكافلي
٩٣	دوس	عالم فلك قام بدراسات كثيرة عن الجو الأرضي
٩٤	فرانك دراك	عالم فلك ١٩٦٠م كان يراقب الشموس الشبيهة بشمسنا

الرقم	الاسم	العمل
٩٥	**جورج كامو**	عالم فلك صاحب نظرية أن انفجاراً نووياً للنيترونات
٩٦	**مارتن رايلي**	عالم فلك جامعة كامبردج انكلترا درس كثافة المجرات
٩٧	**بنزياس**	عالم فلك ١٩٦٥ التقط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
٩٨	**أنطواني ملوف**	عالم فلك مؤيد دعاة الأزلية
٩٩	**بول ديفز**	عالم فلك أيد نظرية أن قوة عاقلة مدركة أنشأت الكون ـ بريطانيا
١٠٠	**ألكسندر فريدمان**	عالم فيزياء روسي برهن بنظريته بداية لهذا الكون
١٠١	**بجيران**	عالم فلك وفيزياء صاحب نظرية انتشار النظم الكوكبية في الكون
١٠٢	**ستيفن دول**	عالم فلك صاحب الإحصائية أربعة عشر نجماً أقرب إلى شمسنا لها كواكب وعليها حياة
١٠٣	**بروفسور بييرلس**	عالم فلك
١٠٤	**ولتر باد**	عالم فلك مدير مرصد بالومار كاليفورنيا
١٠٥	**ويلسون**	عالم فلك ١٩٦٥ اشترك مع بنزياس في التقاط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
١٠٦	**لوميتر**	عالم فلك بلجيكي أول من قدم نظرية حديثة عن نشأة الكون
١٠٧	**توم غولد**	عالم فلك ١٩٥٠ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١٠٨	**مولتون**	عالم فلك
١٠٩	**فايتز بكر**	عالم فلك صاحب نظرية أهم مظاهر عمر الأرض

الرقم	الاسم	العمل
١١٠	توني هيويش	عالم فلك أول من اكتشف أجرام كاوي بأقطار بحدود ١٦ كم في الفضاء تدور حول محورها
١١١	شابلي	عالم فلك ١٩١٧ قدر البعد بين الشمس ومركز المجرة ١٠ ك. فرسخ
١١٢	مستر جينز	عالم فلك صاحب نظرية أصل المجموعة الشمسية
١١٣	ريتشارد كوفي	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١١٤	هيرمان بوندي	عالم فلك ١٩٥٠ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١١٥	بازل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ قام بأول قياس لبعد النجوم
١١٦	جوسلين بل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ اشترك مع بازل بتصميم أول جهاز لقياس بُعد النجوم
١١٧	كاسينس	عالم فلك إيطالي
١١٨	كويير	عالم فلك صاحب نظرية أصل الكون
١١٩	مستر جيفرز	عالم فلك صاحب نظرية أصل الأرض
١٢٠	توماي ستافورد	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١٢١	مايكل لينباخ	عالم فلك مدير إطلاق محطة الفضاء ديسكفري
١٢٢	سكوت تشاجمان	عالم فلك جامعة كالتك الولايات المتحدة الأمريكية
١٢٣	أناالسيماندر	عمل بالفلك مساعداً لطاليس
١٢٤	عبد الحليم الخطيب	عالم عربي له مؤلفات منها (أسرار معجزة القرآن الكريم) وقد أخذنا من كتابه البراهين
١٢٥	أبيقور	عالم فلسفة اليونان ٥٠ سنة قبل الميلاد

الرقم	الاسم	العمل
١٢٦	**طاليس**	أول فيلسوف إغريقي تحدث عن علم الفلك قام بقياس قطر الشمس وتنبأ بالكسوف
١٢٧	**هيبا رخوس**	عالم فلك إغريقي ١٦٠ ـ ١٥٠ ق. م أول من قسم الأقدار الظاهرية للنجوم
١٢٨	**سند بن علي**	رئيس الفلكيين بمعهد الخليفة المأمون بنى مرصداً فلكياً وكان تحت إشرافه
١٢٩	**أحمد عبد اللّه المروزي**	عرف باسم الحاسب لدقة حساباته الفلكية أدخل طريقة تحديد الوقت أثناء النهار
١٣٠	**أبو الريحان المسعودي**	عالم فلك صاحب كتاب القانون المسعودي
١٣١	**عبد الرحمن بن يونس المصري**	عالم فلك عربي رصد كسوف الشمس وخسوف القمر
١٣٢	**ابن القزويني**	عالم فلك له مؤلفات كثيرة. وقسم الكون إلى علوي وسفلي واهتم بعلم السماء
١٣٣	**تايخو براهي**	عالم فلك أثبت نظرية كوبر نيكوس وعرف (بالنظام التايخوي)
١٣٤	**إدوارد ميلين**	عالم فلك وفيزياء ـ الولايات المتحدة
١٣٥	**أحمد زويل**	عالم كيمياء مصري حائز على جائزة نوبل للعلوم
١٣٦	**واطسون وكريك**	عالمان اكتشفا الحمض النووي
١٣٧	**فرانك ألن**	عالم الطبيعة البيولوجية/ كندا
١٣٨	**أيسد ويلر**	عالم فلك أمريكي تحدث عن نشأة المجرات في الكون

الرقم	الاسم	العمل
١٣٩	كوبر نيكوس	أول عالم نقد نظرية بطليموس ونقد نظرية أن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض
١٤٠	أبو العباس أحمد الفرنحاني	عالم فلك عربي ذاع صيته مؤلف كتاب الحركات السماوية وجوامع النجوم
١٤١	عبد الرحمن بن عمر الصوفي	عالم فلك عربي من مؤلفاته صدر الكواكب الثابتة
١٤٢	إسحاق نيوتن	١٧٢٧م عالم فلك وفيزياء وقد اقترن اسمه بقوانين الحركة وقانون الجاذبية
١٤٣	روجيه حجار	عالم فلك وأستاذ محاضر في مادة الفيزياء في جامعة نوتردام لبنان
١٤٤	د. كارل سيجان	عالم فلك رئيس معمل الدراسات الكونية بجامعة كورنل أصله هندي
١٤٥	فريد هويل	عالم فلك صاحب كتاب (البذور الكونية) بريطاني
١٤٦	جوهان كيبلر	عالم فلك ١٦٣٠م عالم رياضيات كان يحسب مدارات الكواكب بدقة
١٤٧	جاليلو جاليلي	عالم فلك ١٦٤٢م رصد بمرصده الفلكي وأكد أنّ الشمس مركز الكون وهو أول من رأى أربعة كواكب تدور حول المشتري
١٤٨	تشارلز يوجين جاي	عالم طبيعة وبيئة سويسري وهو القائل أنه لا يمكن تكوين جزيء بروتيني واحد عن طريق المصادفة
١٤٩	ح. ليثر	عالم طبيعة وبيئة القائل أيضاً أنه من المحال تكوين جزيء بروتيني عن طريق المصادفة

الرقم	الاسم	العمل
١٥٠	**محمد عبد السلام**	بروفسور باكستاني حائز على جائزة نوبل لتوحيده قوتين من قوى الطبيعة
١٥١	**أرهينيوس**	عالم فلك سويدي صاحب نظرية ترفض نظرية النشوء والارتقاء
١٥٢	**هويل وفادلار**	عالمان فلكيان الولايات المتحدة قدرا عمر الكون بين ١٢ و١٥ مليار سنة
١٥٣	**جان بول نيب**	عالم فلك مرصد ميدي بيرينيه ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٥٤	**سكوت تشاجمان**	عالم فلك جامعة كالتك أمريكا
١٥٥	**جيمس جينز**	عالم فلك صاحب نظرية أن الكون كان سديماً غازياً
١٥٦	**د. جامو**	عالم فلك أمريكي صاحب نظرية أن الكون كان أوله غازاً موزعاً توزيعاً منظماً
١٥٧	**بينزياس وويلسون**	عالمان فلكيان اكتشفا الأمواج الراديوية
١٥٨	**تشارلز داروين**	عالم طبيعة وفلسفة وصاحب نظرية النشوء والارتقاء
١٥٩	**تشارلز لينويفر**	عالم فلك نيو ساوث سدني أستراليا
١٦٠	**د. شكويف**	عالم فلك صاحب نظرية أن الحياة بزغت تحت سماء جهنمية لكوكب يعج بالاندفاعات البركانية/ روسي
١٦١	**بيتر كوبوتيكن**	تطوري معروف أمريكي
١٦٢	**هاينز ريخنر**	أستاذ علم أحياء فرنسي
١٦٣	**كينيث ووكر**	باحثي الطب الفيزيولوجي أمريكي
١٦٤	**فرديك سيارلينغ**	عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم أمريكي

الرقم	الاسم	العمل
١٦٥	وليام شافيز	رئيس دائرة الطب الوقائي أمريكي
١٦٦	توران بوزغان	تركي
١٦٧	ألن هاي	مدير مركز الأنفلونزا إنكليزي
١٦٨	ماريا زامبون	وكالة الحماية الصحية انكليزية
١٦٩	فرانوا ميسين	أحد خبراء منظمة الصحة العالمية
١٧٠	يوين كووك بانج	رئيس قسم الكائنات الدقيقة صيني
١٧١	شانورا ويكراماسينفهي	بروفسور بريطاني انكليزي
١٧٢	ديفيد أتنبوور	عالم طبيعة بريطاني
١٧٣	ديفيد نوبارا	منسق شؤون الأنفلونزا إنكليزي
١٧٤	مايك ديفيس	خبير بريطاني
١٧٥	جورج بولاند	طبيب أمريكي
١٧٦	بني هيتشكوك	خبير في الأمراض المعدية انكليزي
١٧٧	إزاك واير فيوز	إدارة الصحة الأميركية أمريكي
١٧٨	مايكولا هاداك	باحث سويسري
١٧٩	فاسيليا موسوك ليبفك	سيدة من يوغسلافيا تعمل في مجال بحوث البيئة والأمراض
١٨٠	رويال وكنسون	عالم تاريخ الطبيعة فرنسي
١٨١	عبد الحكم عبد اللطيف الصعدي	باحث عربي

الرقم	الاسم	العمل
١٨٢	دارفين	عالم بيئة إنكليزي
١٨٣	رلي توم	باحثة متخصصة بالبيئة فرنسية
١٨٤	الفريدر رسل لاسي	صاحب كتاب تعاقب الأنواع إنكليزي
١٨٥	مولار سير	عالم نبات فرنسي
١٨٦	الدميري	عالم عربي
١٨٧	بول وتس	عالم طبيعة مشهور من النروج
١٨٨	أدولف مور	عالم حيوانات سويدي أول من اكتشف رعاية الأبوين للصغار في عالم الحيوان
١٨٩	رون أودور	عالم طبيعي فرنسي
١٩٠	سير فنجر	عالم جيولوجي معروف انكليزي
١٩١	ابن الأثير	عالم إسلامي مشهور
١٩٢	د. علي العجلة	مدير مجلة منار الإسلام أبوظبي دولة الإمارات
١٩٣	كيري سيه	عالم جيولوجي معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٩٤	د. جون بد	عالم جيولوجي اليونيسيف إنكليزي
١٩٥	د. سير ريشتر	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس زلازل ريشتر
١٩٦	د. سير جوتنبرج	عالم جيولوجي إنكليزي
١٩٧	د. سير أوريختر	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس الزلازل أو ريختر
١٩٨	رينان	مستشرق وكاتب له العديد من المؤلفات تحدث عن القرآن الكريم وكان منصفاً في حديثه

الرقم	الاسم	العمل
١٩٩	المسعودي	عالم عربي جيولوجي صاحب كتاب مروج الذهب ٣٣٦ هجري
٢٠٠	بلينـي وإسترابو وهيرودوت	فلاسفة إغريق أكدوا أن نشأة البراكين تعزى إلى الغازات الساخنة الصاعدة من باطن الأرض
٢٠١	أ ـ د حسن أبو العينين	عالم وكاتب عربي مصري له كتب كثيرة في علوم الأرض والجيولوجيا منها مع آيات الله في الأرض
٢٠٢	ميا تيرنر	رئيسة برنامج الغذاء العالمي باحثة اجتماعية
٢٠٣	ج ن ليونارد	عالم طبيعة إنكليزي من مؤلفاته كتاب جولة عبر العلوم
٢٠٤	فيجان وشمارس	عالم طبيعة فرنسي
٢٠٥	د. أحمد فؤاد باشا	كاتب وعالم وباحث رئيس قسم الفيزياء جامعة القاهرة ـ مصر
٢٠٦	ولسون بعكي	عالم طبيعة إنكليزي اهتم جداً بدراسة (الكسف الثلجية)
٢٠٧	الأميرال بوفورت	واضع مقياس بوفورت لقياس الريح عالم طبيعة إنكليزي
٢٠٨	أ - د مستر ريل	عالم طبيعة إنكليزي اهتم بنشأة الزوابع المدارية ومسالكها
٢٠٩	الزمخشري	عالم ومفسر عربي معروف
٢١٠	ابن سيرين	عالم عربي اشتهر بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١١	مستر برجسون	عالم نفس مختص بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١٢	إيزابيل سمبسون	رئيسة منظمة أطباء بلا حدود باحثة في الطب ولها دراسات وكتب
٢١٣	ارخميدس	عالم مشهور من كتبه المشهورة (تعبير الرؤيا)
٢١٤	القاضي الباقلاني	عالم عربي له كتاب إعجاز القرآن

الرقم	الاسم	العمل
٢١٥	اللورد أفيري	عالم طبيعة انكليزي من مؤلفاته كتاب محاسن الطبيعة وعجائب الكون
٢١٦	فخر الدين الرازي	عالم عربي مشهور اعتني بتفسيره بالنواحي العلمية صاحب تفسير التفسير الكبير ومفاتيح الغيب
٢١٧	البروفيسور هوارد كريتشفيلد	عالم طبيعة إنكليزي له اهتمامات بآلية الرعد والبرق وقدَّم دراسات حول الموضوع
٢١٨	مستر ألفاريز الأب	عالم طبيعة وحيوان له نظريات حول انقراض الديناصورات
٢١٩	مستر ألفاريز الابن	عالم طبيعة وحيوان إنكليزي له نظريات حول انقراض الديناصورات والماموت
٢٢٠	د. خالص الجلبي	طبيب وباحث عربي له مؤلفات عديدة منها (الطب محراب الإيمان)
٢٢١	بروفيسور جيمس ترفل	عالم طب وتشريح له مؤلفات منها (نحن متفردون)
٢٢٢	بروفيسور فرويد	عالم نفس مشهور صاحب كتاب تفسير الأحلام عام ١٩١٠
٢٢٣	الشيخ محمد عبده	عالم وفقيه ومفكر عربي له كتب ومؤلفات كثيرة
٢٢٤	عامر الشعبي	عالم وفقيه عربي
٢٢٥	أبو الليث السمرقندي	عالم عربي له في التفسير واللغة مؤلفات كثيرة
٢٢٦	الإمام السيوطي	عالم وفقيه ومفسر عربي له مؤلفات تزيد عن ٣٠ مؤلف
٢٢٧	الإمام الشوكاني	عالم عربي وفقيه ومفسر له مؤلفات كثيرة
٢٢٨	د. محمد طلعت	باحث وكاتب عربي من كتبة المعروفة كتاب (محيط العلوم)

الرقم	الاسم	العمل
٢٢٩	البروفيسور إميل فيتشر	عالم وطبيب متخصص في دراسة البروتين حاصل على جائزة نوبل في دراسة البروتين
٢٣٠	د. محمد راتب النابلسي	باحث وكاتب عربي له مؤلفات كثيرة منها (آيات الله في الكون) (آيات الله في الإنسان)
٢٣١	الشيخ محمود شلتوت	عالم وفقيه وإمام للأزهر الشريف له مؤلفات كثيرة
٢٣٢	الحسن البصري	عالم وفقيه عربي وإمام وحجة في الإسلام
٢٣٣	بلاشير	مستشرق له أبحاث كثيرة في القرآن الكريم ولقد نقد نظرية تؤكد له بأن أوائل السور دخيلة على نص القرآن
٢٣٤	الشيخ عبد الغني النابلسي	عالم نفس وتفسير أحلام من كتبه (تعطير الأنام في تفسير الأحلام)
٢٣٥	كارل جوستاف يونج	تلميذ فرويد العالم النفسي عارض أستاذه في كثير من النظريات في عالم الرؤى والأحلام
٢٣٦	د. مستر أزرنسكي	باحث إنكليزي في الدراسات النفسية اعتنى بدراسة النشاطات البيولوجية والفيزيولجية في الدماغ والجسم
٢٣٧	الشيخ محمد بن علي خلف الحسيني	عالم عربي وشيخ القرَّاء بالديار المصرية له مؤلفات منها (إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن)
٢٣٨	شفالي	مستشرق ألماني له مؤلفات في اللغة
٢٣٩	كالفن هول	عالم نفس أمريكي استطاع أن يجمع عشرة آلاف من الأحلام على مدى عشر سنوات وقام بدراستها من كتبه (معنى الأحلام)
٢٤٠	ابن خلدون	عالم عربي مختص في علم الاجتماع وعلم النفس وله تفسيرات كثيرة حول الأحلام والرؤى. له كتاب مقدمة إبن خلدون
٢٤١	نصر بن عاصم الليثي	عالم لغة وفقيه عام ٨٩ هجري

الرقم	الاسم	العمل
٢٤٢	**ابن قيم الجوزية**	عالم كبير مشهور ومعروف درس النفس البشرية والروح ومن كتبه (الروح لابن القيم)
٢٤٣	**مستر بيرغر**	عالم طب إنكليزي مشهور اختص في دراسة الدماغ البشري أثبت أن نمط الكهرباء في الدماغ يتغير بين اليقظة والنوم
٢٤٤	**أرتميدوس الأقسوسي**	عالم نفس من أشهر من تكلموا في الأحلام وقام برحلات حول العالم مما ساعده على معرفة المفاهيم المختلفة لدى الناس
٢٤٥	**بروفيسور سير أزير ينسكي**	عالم طب وعلم نفس أول من أثبت أن بؤبؤ العين يتحرك ويتقلب بسرعة أثناء النوم
٢٤٦	**آن فارادي**	عالم نفس إنكليزي درس علم الأحلام وله آراء كثيرة حول الأمر
٢٤٧	**باتريشيا غارفيلد**	عالم نفس درس النوم والأحلام والرؤى وألف فيها مؤلفات روسي
٢٤٨	**غايل ديلاني**	عالم نفس وفيلسوف تحدَّث في علم الرؤى والأحلام بولوني
٢٤٩	**الدكتور ألن هوبسون**	عالم وطبيب أمريكي من جامعة هارفارد أول من نادى أن آليات عصبية في جذع الدماغ تقوم بصوغ الأحلام
٢٥٠	**سيبويه**	عالم لغة عربي معروف له مؤلفات في اللغة وآراء ونظريات
٢٥١	**الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**	عالم عربي مفسر له كتب عدة في الإعجاز
٢٥٢	**الإمام الزركشي**	عالم عربي وله كتب ومؤلفات كثيرة منها البرهان، ذكر عشرين وجهاً لتفسير أوائل السور

الرقم	الاسم	العمل
٢٥٣	هرشفيلد	مستشرق إنكليزي له دراسات موسعة في القرآن الكريم
٢٥٤	أحمد بن المبارك	عالم عربي فقيه له مؤلفات منها (الذهب الإبريز)
٢٥٥	الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي	عالم عربي له مؤلفات منها رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات
٢٥٦	عبد الصبور مرزوق	عالم عربي معاصر له مؤلفات كثيرة منها كتابه (عليها تسعة عشر)
٢٥٧	الدكتور فاضل السامرائي	عالم لغة معاصر له مؤلفات كثيرة من كتبه (معاني النحو)
٢٥٨	بُهل	مستشرق ألماني له مؤلفات وأبحاث في القرآن الكريم واللغة
٢٥٩	الخليل بن أحمد الفراهيدي	عالم لغة عربي
٢٦٠	سهل بن عبد الله التستري	عالم وفقيه عربي
٢٦١	الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	عالم وفقيه عربي من مؤلفاته مناهل العرفان في علوم القرآن
٢٦٢	ابن حجر العسقلاني	عالم وفقيه عربي إمام وحجة في العلم والفقه له مؤلفات كثيرة
٢٦٣	جوته	من الكتاب والمستشرقين انصف بكتبه القرآن الكريم ومن أقواله (إن تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية)
٢٦٤	نولد كه	مستشرق ألماني له مؤلفات كثيرة في اللغة له كتاب (تاريخ القرآن)
٢٦٥	محمد عبد اللطيف ابن الخطيب	فقيه عربي من كتبه (الفرقان)

الرقم	الاسم	العمل
٢٦٦	سعيد بن جبير	عالم وفقيه عربي معروف له كتب في التفسير وتحدث عن فواتح السور فقال (ولو عرف الناس تأليفها تعلموا اسم الله الأعظم)
٢٦٧	يو كاي	من الكتَّاب المشهورين مستشرق تحدث عن الإسلام والقرآن الكريم ، كان منصفاً وعادلاً في آرائه وحكمه على القرآن الكريم
٢٦٨	هنري دكاستري	مستشرق انكليزي له مؤلفات في دراسة القرآن من أهم أقواله (إن القرآن الكريم يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب)
٢٦٩	واشنطن يروينج	مستشرق انكليزي له مؤلفات في أبحاث القرآن الكريم من أهم أقواله (يحوي القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصاً)

مراجع
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ صحيح البخاري
٣ ـ صحيح مسلم
٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
٥ ـ سنن ابن ماجه
٦ ـ مسند الإمام أحمد
٧ ـ سنن الترمذي
٨ ـ سنن النسائي
٩ ـ سنن أبي داود
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير/ للسيوطي
١١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة/ للألباني
١٢ ـ المعجم الأوسط والكبير / للطبراني
١٣ ـ صحيح ابن خزيمة
١٤ ـ رياض الصالحين/ للإمام الحافظ النووي الدمشقي
١٥ ـ المستدرك/ للحاكم
١٦ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث الصحيحة/ للمؤلف
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ للشيخ إسماعيل العجلوني
١٨ ـ مختصر تفسير ابن كثير
١٩ ـ تفسير ابن جرير الطبري

٢٠ ـ تفسير الفخر الرازي/ التفسير الكبير ومفاتح الغيب/ دار الفكر
٢١ ـ التفسير الوسيط/ أ ـ د وهبة الزحيلي
٢٢ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ أبو بكر الجزائري
٢٣ ـ تفسير القرآن الكريم جزء عمَّ/ محمد بن صالح عثيمين
٢٤ ـ تفسير الجلالين/ للسيوطي
٢٥ ـ صفوة التفاسير/ للصابوني الدار العصرية
٢٦ ـ كلمات القرآن الكريم/ الشيخ حسنين محمد مخلوف
٢٧ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة/ دار الفكر دمشق
٢٨ ـ التفسير الواضح الميسر/ محمد علي الصابوني
٢٩ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن ناصر السعدي
٣٠ ـ تفسير الثعالبي/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن
٣١ ـ فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني
٣٢ ـ الروح/ ابن قيم الجوزية
٣٣ ـ كبرى اليقينيات الكونية / الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٣٤ ـ شرح النووي على مسلم/ الإمام النووي
٣٥ ـ مختار الصحاح/ دار المعارف مصر
٣٦ ـ آيات اللَّه في البحار/ للمؤلف
٣٧ ـ آيات اللَّه في السماء/ للمؤلف
٣٨ ـ آيات اللَّه في الروح والنفس والجسد/ للمؤلف
٣٩ ـ الهبوط على المريخ وبيان قدرة اللَّه/ للمؤلف
٤٠ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم/ للمؤلف
٤١ ـ موسوعة الآخرة/ للمؤلف
٤٢ ـ القرآن الكريم والعلم الحديث/ الدكتور منصور محمد حسب النبي
٤٣ ـ المنظومة الشمسية/ د. علي موسى د. مخلص الريس/ دار دمشق

٤٤ ـ إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان/ الدكتور منصور حسب النبي
٤٥ ـ الكون والحياة/ د. مخلص الريس د. علي موسى
٤٦ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ د. زكريا ياهيمي
٤٧ ـ آيات اللَّه في الآفاق/ أ ـ د محمد راتب النابلسي/ دار المكتبي دمشق
٤٨ ـ الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني/ د. سمير عبد الحليم
٤٩ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة/ يوسف الحاج أحمد
٥٠ ـ اللَّه يتجلى في عصر العلم/ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين
٥١ ـ رصيد العلم والإيمان/ الدكتور أحمد فؤاد باشا
٥٢ ـ علم الفلك والكون/ د. عواد الزحلف
٥٣ ـ تاريخ موجز للزمان/ ستيفن هوكنج/ ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي
٥٤ ـ الكون بداية ونهاية/ د. محمد الجزار
٥٥ ـ آيات اللَّه الكونية في القرآن الكريم/ الدكتور محمد بن جمعة بن سالم
٥٦ ـ موسوعة الكون والفضاء والأرض/ د. موريس أسعد شربل ـ د. رشيد فرحات
٥٧ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ محمد سامي محمد علي
٥٨ ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ د. كارم السيد غنيم
٥٩ ـ آيات اللَّه في السماء/ د. زغلول النجار
٦٠ ـ المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم/ د. زغلول النجار
٦١ ـ من آيات الإعجاز العلمي النبات في القرآن الكريم. جزء ٤ ـ ٥/ د. زغلول النجار
٦٢ ـ موجز تاريخ الكون من الانفجار العظيم إلى الاستنساخ البشري/ د. هاني رزق/ دار الفكر/ سورية
٦٣ ـ الموسوعة الحديثة كوكبنا في الكون/ عويدات للنشر والطباعة

٦٤ ـ كوكب الأرض/ سلسلة دليل المعرفة دار العلم للملايين
٦٥ ـ الأطلس الفلكي / محمد عصام الميداني دار دمشق للنشر والتوزيع
٦٦ ـ موسوعة الطبيعة الميسرة/ مكتبة لبنان
٦٧ ـ الموسوعة الذهبية من آدم إلى اختراع الآلات البسيطة/ مؤسسة سجل العرب
٦٨ ـ النجوم والكواكب سلسلة دليل المعرفة/ دار العلم للملايين
٦٩ ـ الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان / دار الكتاب اللبناني
٧٠ ـ جسم الإنسان/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والطباعة
٧١ ـ الكون/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والتوزيع
٧٢ ـ الموسوعة العلمية الحديثة/ كولين رونان الأهلية للنشر والتوزيع
٧٣ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن/ والسنة آيات الله في الإنسان/ أ ـ د محمد راتب النابلسي
٧٤ ـ خلق الإنسان/ أبو الحسن سعيد بن هبة الله/ دار الكتب العلمية
٧٥ ـ دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن / د. كريم حسنين ـ دار نهضة مصر
٧٦ ـ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة/ هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ مكة المكرمة
٧٧ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ فلينظر الإنسان إلى طعامه/ د. أحمد شوقي خليل
٧٨ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ أطوار الخلق وحواس الإنسان/ د. أحمد شوقي خليل
٧٩ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة الشفاء النفسي وأسرار النوم وعلم الجمال/ د. شوقي خليل
٨٠ ـ الطب النبوي/ ابن قيم الجوزية دار الفكر ـ بيروت ـ دمشق
٨١ ـ كيف نتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها/ د. نور الدين عتر
٨٢ ـ القرآن الكريم إعجاز تشريعي متجدد/ د. محمود أحمد الزين

٨٣ ـ مباحث في إعجاز القرآن الكريم/ أ ـ د مصطفى مسلّم
٨٤ ـ دلائل الإعجاز/ الإمام عبد القاهر الجرجاني تعليق/ د. محمد عبد المنعم خفاجي
٨٥ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي
٨٦ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي/ أ ـ د. أحمد شوقي خليل ١ ـ ٥
٨٧ ـ الإعجاز العلمي في الإسلام السنة النبوية/ محمد كامل عبد الصمد
٨٨ ـ كتاب الخبر اليقين في معجزات النبي الأمين/ د. أحمد عوض أبو الشباب ـ المكتبة العصرية
٨٩ ـ معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ/ محمد صالح مهندس
٩٠ ـ نبوءات الرسول ما تحقق منها وما لم يتحقق/ سماحة الشيخ أبو الحسن أحمد الندوي
٩١ ـ الإعجاز العلمي في السنة النبوية جزء أول/ جزء ثاني/ الدكتور زغلول النجار
٩٢ ـ معجزات محمد رسول اللَّه / محمد توفيق الحكيم
٩٣ ـ نهاية العالم/ الشيخ محمد متولي الشعراوي
٩٤ ـ دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة دار المعارف/ القاهرة
٩٥ ـ إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح. السحاب. المطر/ هيئة الإعجاز العلمي/ مكة المكرمة
٩٦ ـ أضواء على إعجاز القرآن الكريم/ د. عكرمة سليم صبري
٩٧ ـ آيات اللَّه في الآفاق/ عبد المجيد الزنداني
٩٨ ـ غزو الفضاء بين أهل الأرض والسماء/ عبد الرزاق نوفل
٩٩ ـ النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن/ حسان شمسي باشا
١٠٠ ـ الإشارات العلمية في القرآن الكريم/ السيد كارم السيد غنيم

١٠١ ـ الإسلام وقوانين الوجود / محمد جمال الدين الفندي
١٠٢ ـ الطب محراب الإيمان/ خالص جلبي
١٠٣ ـ كل شيء عن الصحراء/ سام ويريل إيشتين دار المعارف
١٠٤ ـ أشكال الصحارى المصورة/ د. محمد مجدي تراب
١٠٥ ـ كل شيء عن الأدغال/ أرمسترونج سيبري ـ ترجمة الدكتور علي علي المرسي
١٠٦ ـ قصة الإيمان/ الشيخ نديم الجسر
١٠٧ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم/ السيد الجميلي
١٠٨ ـ الإسلام والحقائق العلمية/ محمود القاسم
١٠٩ ـ التوحيد/ د. عبد المجيد الزنداني
١١٠ ـ القرآن وعلوم العصر/ إبراهيم عراجي ـ الموسوعات العالمية
١١١ ـ روح الدين الإسلامي/ عفيف طبارة/ الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١١٢ ـ سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلّهية/ ابن خليفة عليوي
١١٣ ـ محاضرات في الإعجاز العلمي في القرآن/ د. عبد المجيد الزنداني
١١٤ ـ القرآن والعلم الحديث/ عبد الرزاق نوفل
١١٥ ـ مع اللَّه في السماء/ أحمد زكي
١١٦ ـ مجلة منار الإسلام/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/
١١٧ ـ مجلة الوعي الإسلامي/ دولة الكويت
١١٨ ـ مجلة الإعجاز العلمي/ المملكة العربية السعودية/ مكة المكرمة
١١٩ ـ مجلة أكاديمية البحث العلمي/ القاهرة
١٢٠ ـ مجلة علم وعالم/ دولة الكويت
١٢١ ـ مجلة العلوم/ دولة الكويت/ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
١٢٢ ـ المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ دولة الإمارات العربية/ دبي

١٢٣ ـ الموسوعة العالمية/ دولة الإمارات
١٢٤ ـ الموسوعة البريطانية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٥ ـ الموسوعة الأمريكية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٦ ـ الموسوعة العربية/ دار الفكر/ دمشق ٨ أجزاء
١٢٧ ـ الموسوعة الإسلامية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٨ ـ الموسوعة البريطانية/ لعالم الطبيعة/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٩ ـ مجلة نيتشر العلمية المتخصصة
١٣٠ ـ موقع سبيس دوت كوم على الإنترنت Space.com
١٣١ ـ نشرات NASA وكالة ناسا الفضائية الأمريكية
١٣٢ ـ نشرات وكالة ESA إيسا الفضائية الأوروبية
١٣٣ ـ مجلة نيو بانتشت العلمية المتخصصة
١٣٤ ـ جريدة الاتحاد الإماراتية أبوظبي/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٥ ـ جريدة الخليج الإماراتية الشارقة/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٦ ـ نشرات معهد بروكهافن الوطني/ نيويورك
١٣٧ ـ نشرات مركز هارفارد سيمبشونيان للفيزياء الفضائية
١٣٨ ـ نشرات الجمعية الفيزيائية الأمريكية
١٣٩ ـ نشرات معهد علم الفلك / جامعة كمبريدج
١٤٠ ـ الكون ذلك المجهول/ جلال عبد الفتاح
١٤١ ـ الكون بين العلم والإيمان/ محمد صبحي
١٤٢ ـ الخيوط الخفية/ محمد عيسى داود

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

د. ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء ١+٢.
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.
١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

٢١ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٢ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٣ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٤ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٥ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٢٧ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٢٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢٩ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٣٠ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٣١ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللّه سبحانه.

٣٩ ـ الحوض ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار: أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد: نعيمها وقصورها وحورها.

الموسوعة الكونية الكبرى:

٤٢ ـ آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية.
٤٣ ـ آيات العلوم الكونية وفق أحدث النظريات العلمية.
٤٤ ـ آيات اللّه في خلق الكون ونشأة الحياة.
٤٥ ـ آيات اللّه في السماء الدنيا والسماوات السبع.
٤٦ ـ آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية.
٤٧ ـ آيات اللّه في خلق الأرض وتأمين معايشها.
٤٨ ـ آيات اللّه في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان.
٤٩ ـ آيات اللّه في البحار والمحيطات والأنهار.
٥٠ ـ آيات اللّه في الجبال والوديان والصحاري والغابات.
٥١ ـ آيات اللّه في النبات والثمار والأزهار والألوان.
٥٢ ـ آيات اللّه في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها.
٥٣ ـ آيات اللّه في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات.
٥٤ ـ آيات اللّه في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل.
٥٥ ـ آيات اللّه في خلق الإنسان وبعثه وحسابه.
٥٦ ـ آيات اللّه في النوم والرؤى والأحلام ورؤية الاستخارة.
٥٧ ـ آيات اللّه في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.
٥٨ ـ آيات اللّه في الإعجاز التشريعي والغيبي في القرآن الكريم.
٥٩ ـ آيات اللّه في الأرقام ومعانيها وفواتح السور من القرآن الكريم.
٦٠ ـ آيات اللّه في الموت ونهاية الكون.
٦١ ـ آيات اللّه في قيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل السماوات والأرض.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس